المقالات المنتخبة فی المؤتمر العالمی الثانی

للنظریة المهدویة

المؤتمر الدولی الثانی للنظریه المهدویة (دومین: ۱۴۲۷ ق. ۱۳۸۵: تهران)

المقالات المنتخبة فی المؤتمر الدولی الثانی للنظریة المهدویة/ اعداد المؤسسة المستقبل المضئی. قم: موسسه آینده روشن، پژوهشکده مهدویت، ۱۴۲۷ ق. ۱۳۸۵.

۲۱۹ ص.

ISBN978- 96A- 96610-1-8

فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا

کتابنامه

۱. مهدویت ـ کنگرهها. ۲. مهدویت ـ مقالهها و خطابهها. الف. موسسه آینده روشن. پژوهشکده مهدویت. ب. عنوان

۲۹۷/۴۶۲ Bp ۲۲۴/۴ /م۸

۱۳۸۵

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالات المنتخبة فى المؤتمر العالمى الثانى

للنظرية المهدوية

الفهرس

المقدمة ٨

المهدي المنتظر"وَهْمُ الانتظار و هَمُّ الفَرَج" ١٥
خالد زهري

المهدي المنتظر و فلسفة التاريخ ٥٩
أحمد راسم النفيس

البعد المقاصدي في ظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف ٨١
محمد عبدو

المهدوية مقاربة عقائدية ٩١
ادريس هاني

المهدوية و عقيدة المنجّي في الأديان الأخرى ١٤٩
مسي صبحي الخنساء

التلازم الذاتي بين المهدوية و كمال معاني الإنساني ١٦٥
محسن وهيب عبدة

الاعتقاد بالمهدى (عج) و معطياته التاريخية ١٩٥
فاطمة الخزرجي النجفي و مهدي النجفي

المقدمة

﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1].

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2].

قال رسول الله ﷺ: «أبشروا بالمهدى ـ قالها ثلاثاً ـ يخرج على حين اختلاف من الناس، وزلزال شديد، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ كما ملئت ظلماً وجوراً؛ يملأ قلوب عباده عبادة؛ ويسعهم عدله»[3].

وقال رسول الله ﷺ: المهدى يخرج فى آخر الزمان»[4].

بعد انحلال الشيوعية، ووصول الليبرالية إلى الطريق المسدود، وفضيحة أمريكا فى أبادة الشعوب واستغلالها من جهة، وضيق العالم المعاصر بسبب التطور العلمى والتكنولوجى، واتساع عالم الاتصالات من جهة أخرى، وفى عصر عطش الأرض والحاجة إلى إرواء غليل الاجيال المضطهدة والمتعبة، ينبغى وضع استراتيجية ونظريات وأساليب متنوعة بلغة حضارية وعالمية، لتواجه تحديات العصر والنظريات والاطروحات العالمية فى دراسة فترة أنتهاء التاريخ ومصير البشرية، ولتكون فى مصافها لتنجح فى ايجاد عوامل الوحدة، وكسب الكثير من الطبقات الواعية والمثقفة والشرائح الاجتماعية المليونية من الأمة.

وعليه، ينبغى البحث عن منهج اعتقادى، عالمى، شمولى، يتعدى الأطر الدينية والاقليمية؛ أصيل وذو حضارة عريقة؛ مثالى، حياتى، يبعث روح الأمل والحيوية فى الأمة؛ مصيرى، يعم عصرنا، ويربط حاضرنا بمستقبلنا، داعيا إلى توخى الحذر والترقب. وناهيا للخلافات المذهبية والطائفية وغيرها، وعاملاً على إنهاء مشاكل البشرية ومعاناتها، وباعثاً على تحقيق الامانى والآمال التى حرمت منها البشرية على مرّ التاريخ، ومنظّماً لحركة المجتمعات، وموجداً للتغيّر والتحوّل فى مسارها... وأسلوباً يقتدى به فى كل المجالات البشرية، وأخيراً له قابلية الاشعاع العظيم، والنموذج المثالى للامم والشعوب أمام تحديات الحكام والطواغيت، وأساليبهم الماكرة فى القمع والابادة.

ولا تتمثل كل هذه الصفات المذكورة وحالة التهيؤ والاستعداد إلا فى ظلّ المهدوية، ولا يمكن العثور عليها إلا فى هذه النظرية، وذلك بعد البحث والتنقيب عن المفردات والمصطلحات المعاصرة العالمية[5]. ان النظرية

---

(١) الاسراء: ٨١.

(٢) القصص: ٣.

(٣) الغيبة: للطوسى، ص١٧٩؛ مسند أحمد بن حنبل؛ ج٣: ص٣٧. باختلاف يسير، بحار الأنوار للمجلسى، ج٥١: ص٧٤.

(٤) المصدر السابق، ص١٧٨؛ البحار، ج٥١، ص٧٣.

(٥) (doctrin) كلمة أجنبية تعني لغة النظرية، المذهب، العقيدة والفكر (انظر القاموس المعاصر باللغة الانجليزية ـ الفارسية، ص٤٣٢). أما اصطلاحاً فلها معانٍ عديدة في المعاجم والعلوم المختلفة، نشير إلى بعضها:

أ ـ بمعنى الأصول والقواعد في بعض العلوم أو الاعتقاد الراسخ لإتباع مذهب أو فرقة.

ب ـ العقائد المكونة لبعض النظريات الدينية، والفلسفية.

ج ـ أصول فلسفة ما، نظام فكري أو سياسي، أو أسلوب ومنهج معين (انظر قاموس العلوم السياسية، ص٤٥٨).

وتعني (doctrin) لغة: المذهب، العقيدة، النظرية، وبالمعنى السياسي هي نوع التفكير، والاسلوب ومنهج الحكام لادارة الدولة والأمور السياسية، وهي لا تطلق على نشاطات الحكام ومنهجهم السياسي؛ لوجه الشبه مثلاً بينهم وبين من سبقهم أو لحقهم؛ وإنما هي لها جانب ابداعي لتلك السياسات والانجازات، فتترك تراثاً بعدها؛ وهذا كله بمعنى (doctrin) (انظر قاموس الجامع السياسي، ص٤٥٨).

ان لفظة (doctrin) مأخوذة من لفظة لاتينية هي: (doctrina)؛ وهي تعني: النظرية، التعاليم الفلسفية، العلمية، الدينية، وبعض الانظمة الفكرية المبنية على بعض الأصول المعينة، والنظرة حول العالم، واستناد بعض البرامج السياسية وقيامها على ضوئها.

وتطلق أيضاً هذه اللفظة (doctrin) على التنظيم الأصولي، حيث يضع الحكام أسلوباً ونظاماً من خلاله في التعامل الخارجي.

أما لفظة (doctrinaire)؛ فإنها تطلق على شخص يتبنى فكراً ومنهجاً خاصاً، ويعبّر عن هذا النهج «المذهب السياسي» أو «المنهج» «انظر القاموس السياسي؛ ص٢٨١».

أما التعريف الأول: فالمنهج في اللغة اليونانية إنما يعني «التدريس؛ والتعليم». وأما معناها المجازي فهي تعني المعلومات لتوجيه وتسيير بعض الأعمال الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والدينية، وغيرها، حيث أن جهتها الحقيقية إنما تعتمد على أسلوب العمل في المجتمع، ويعبّر عنه «بالمنهج أو النظرية».

أما التعريف الآخر: فإنها تعني به الأصول والقرارات، والآراء، والنظريات المتنوعة؛ التي ارتضاها المجتمع وعمل على تنفيذها.

وبعبارة أخرى: أن أي فكرة ما لم تصل إلى حقل التنفيذ فإنها تبقى في إطار النظرية، أما إذا ارتضتها الأمة وصيرته اعتقاداً سلوكياً وعملياً لها «لا اعتقاداً علمياً فقط»، فإنه يعني القيام بانجازه وتنفيذه، وتتحول هذه إلى فكرة ومنهج كالفكر الشيوعي، أو الشيوعية العالمية التي لم تثبت أحقيتها العلمية في عصرنا الحاضر، وفي نفس الوقت، يوجد الكثير من المجتمعات في العالم ممن تعمل بآرائها وتوصياتها الاجتماعية، ومن أمثلتها: تلك المذاهب والأفكار السياسية وغيرها «انظر القاموس المتطور، ص٤٠٨».

لقد ذكرنا أن لفظة (doctrin) هي لاتينية أصلها لفظة (doctrina) وتعني العقائد الاصولية، وتطلق مفهوماً على بعض الانظمة الفكرية المبنية على أصول خاصة، وتطلق أيضاً على بعض عقائد وأفكار مذهب معين، أو توجه فكري خاص، سواء كان حقوقياً، أو سياسياً، أو فلسفياً، أو أدبياً، أو علمياً، فترسخ أصول الاعتقادات الثابتة والتصورات الذهنية الراسخة

المهدوية هي النظرية الوحيدة التي تمتلك تلك المقومات والصفات المتنوعة؛ وهي السبيل والأنموذج الأوحد للتطبيق. «السلام عليك يا سبيل الله الذي من سلك غيره هلك. السلام عليك يا باب الله الذي لا يؤتى إلا منه. ولا ابتغى بك بدلاً؛ ولا اتخذ من دونك وليّاً»[٦].

إن المبادئ والأديان السماوية تهدف إلى بث روح الأمل والحياة في الشعوب والامم، وايصال البشرية إلى الكمال.

وقد اهتمت كثيراً بالجوانب المادية والمعنوية للبشرية، لكن هذا الاهتمام لم يكن في مستوى واحد، بل إنه يختلف من حيث الأهمية في مجال العمل. فالآيات القرآنية كلها إعجازية، لكنها ليست في مستوى واحد من الأهمية والفصاحة والبلاغة؛ فمتى كان قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾[٧].

في هذا الفكر والمنهج، وقد وضعت لها تسميات لتلك الانظمة الفكرية والمذهبية الخاصة. فسميت بالمنهج الفكري والمذهبي. أمثال: مبدأ بقاء الروح، وبعض المبادئ الحقوقية والسياسية والاقتصادية.

وتطلق لفظة (doctrin) أيضاً على من يحمل فكراً أو رأياً واعتقاداً معيناً، ويدعو له ويحافظ عليه «انظر نقد وتحليل قاموس الاصطلاحات العلمية ـ والاجتماعية، ص٥٥٢».

وأضافت المعاجم والقواميس اللغوية معنيين آخرين أيضاً هما:

١ ـ تأييد وتصديق حقيقة ما..

٢ ـ التعليم.. ويمكن الجمع بين هذين المعنيين، باعتبار ان تصديق حقيقة ما هو أسلوب وممرٌ للتعليم أيضاً. وأن الشيء الذي يقبل التعليم لاشك فيه أنه أمر حقيقي غالباً. فالمنهج و النظرية هنا إنما يعني بيان حقيقة ما في قالب فلسفي، ويسمى «التعليم»، على أنه أكثر تجربة وأسلوباً. فالمبادئ الدينية توضح أهدافها العملية وتبينها، وان كان لهذا المنهج شرح وبيان نظري وأسلوب معقد، لان العلاقة النظرية غالباً ما تتبع العلاقة المعنوية تماماً. فيلحقه الشعور بالقلق؛ «دائرة المعارف ميرجا إلياده؛ أنظر مدخل (doctrin)».

(٦) انظر مفاتيح الجنان؛ زيارة صاحب العصر عليه السلام.

(٧) يوضح هذا الشعر مدى الاختلاف في بلاغة الآيات القرآنية مع بعضها وهو:

در بيان و در فصاحت كى بود يكسان سخن — گرچه گوينده بود چون حافظ و چون اصمعى

از كلام ايزد بى چون كه وحى منزل است — كى بود (تبت يدا) چون (قيل يا ارض ابلعى)

وترجمته:

منى تشابهت الفصاحة والبلاغة في الكلام — وان كان المتكلم هو الجاحظ أو الاصمعي

فكلام الله وحي منزل — فمتى كانت (تبت يدا)، مثل «يا ارض أبلعي»

ان النظرية المهدوية هي الاكسير والمحلول الذي يصقل جوهر البشرية ويبدلها ذهباً صافياً، رغم اختلافها واختلافاتها، ويعمل على تغيير الامم والشعوب في العالم.

إن النظرية المهدوية هي عصا موسى السحرية التي تبطل عمل السحرة في آخر أزمنة التاريخ، وتسحر وتسخّر القلوب والالباب. وفي هذا العصر الذي تستثمر فيه اللحظات، وتمنح قيمة وأهمية للاعوام والسنون المثالية؛ ينبغي عرض ذلك المحلول وتلك النظرية المفعمة بالحياة وروح الأمل، والقيم المثالية والسامية المبنية على أسس وقواعد عالمية ثابتة لتلك الاجيال.

تلك النظرية المهدوية بما تمتلك من «ماهوية» و«اطروحة» و«أساليب»، فلعل يداً غيبية تهبط من السماء لتنفذ الإرادة الإلهية، وترفع الموانع المادية لتهيئة الأرضية لذلك النور الساطع ان شاء الله تعالى[٨].

العالمية[٩]

النظرية المهدوية هي نظرية عالمية واعتقادية، يتم على ضوئها تفسير كثير من النظريات التي تعنى البشرية في مجالات حياتها العامة، فتوجد التحولات والتغييرات الأساسية والهامة في مجال الفكر، الهدف، الحياة المادية والمعنوية للبشرية.

ان النظرية المهدوية: هي المقولة الشمولية والتكاملية ذات الأساليب والأهداف المتنوعة، والاستراتيجيات المتعددة.

انظر تفسير روح البيان، ج٤، ص١٣٧، في ذيل الآية ٤٤ من سورة هود قوله تعالى: «وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي».

(٨) مضافاً إلى ما ذكرنا في بيان النظرية المهدوية وماهيتها؛ والتساؤلات المطروحة؛ فإن طريقين آخرين يمكن اقتراحهما في قضية تعجيل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، هما:

١ ـ اتّساع دائرة التشيع، وازدياد عدد الشيعة في العالم للمساهمة في تحقيق الظهور.

٢ ـ عرض النظرية المهدوية بين الأديان، ومفهوم ضرورة وجود المصلح والمنجي العالمي بملامح شيعية، واتحاد الامم والشعوب والتفافها حول هذا المحور الاساسي والهام.

والرأي الثاني هو أكثر واقعية واستراتيجية في ظل الظروف العالمية والوقائع التاريخية، وأكثر انسجاماً مع بعض الأخبار والروايات. وبعبارة أخرى: إن النظرية المدوية هي البوابة لدعوة الشعوب والامم إلى الإسلام، لأن ظهور الإمام عليه السلام ومجيئه سيجعل من الإسلام شمولياً وعالمياً «اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله»، وأن الرغبة الجماعية والعالمية هي الأرضية في تحقيق الدولة الكريمة وظهور الإمام المهدى(ع)، وحينها تكون العزّة للإسلام والمسلمين.

(٩) التعريف يتم مرة بالجنس والفصل، والحد والرسم، وأخرى: ببيان الفوائد والآثار لكثير من الموارد؛ وهذا الثاني هو أكثر استعمالاً.. وقد استفدنا منهما معاً.

النظرية المهدوية: هي خروج العالم من المتاهات والمآزق،

والطرق الملتوية والمسدودة، والسياسات الضالة، وحالات الإنحراف، وهي دعوة شعوب العالم إلى النهوض والتحرر من ظلم السلطات وجور الحكام والمستكبرين.

النظرية المهدوية: هي المستقبل الزاهر وتحقيق أمل الشعوب؛ وهي فلسفة الحياة وتاريخ البشرية.

النظرية المهدوية: هي ايجاد الخوف والرعب في قلوب الظلمة والمستكبرين، وهي رمز وحدة الشعوب وقوة الأمم المستضعفة.

النظرية المهدوية: هي الاطروحة والفكر الأصيل الذي يوصل البشرية نحو العالم المثالي بمسايرة الصالحين وأسوة المصلحين.

النظرية المهدوية: هي استمداد عالمي من السماء في تعجيل ظهور المخلص السماوي؛ وانقاذ البشرية من المعاناة والاضطهاد.

النظرية المهدوية: هي حالات البلوغ والتكامل البشري؛ وفهم الضرورة والحاجة لوجود المخلّص الإلهي؛ والمصلح المعصوم.

النظرية المهدوية: هي تخليص الأرض والسماء من شر النفوس السفيانية والشيطانية.

النظرية المهدوية: هي تخليص البشرية وانقاذها من تلك الهموم والمخاوف التي تعاني منها في مختلف ميادينها الفردية والاجتماعية.

النظرية المهدوية: هي الطريق الأوحد في فترة انتهاء التاريخ؛ والنظرة المتكاملة حول نهاية ومصير البشرية. ١١

النظرية المهدوية: هي بداية النهاية، فهي بداية تاريخ جديد للشعوب والأمم، ونهاية آخر فصل من حياتها.

النظرية المهدوية: هي اعتقاد أن كل ما في الأرض هو ملك للبشرية من دون تمييز بين لون أو طائفة.

النظرية المهدوية: هي ان كل شيء في الأرض إنما هو ملك للجميع، فالعدالة، الاستقرار؛ الأمن، الثروة، العزّة؛ والحكمة هي ملك للجميع.

النظرية المهدوية: هي وحدة العالم؛ واجتماع كلمة الأمة.

النظرية المهدوية: هي اتساع الأفق ذو الصبغة الخضراء؛ والمليء بالحيوية والنزاهة والنشاط في عالم الإنسان.

النظرية المهدوية: هي الملجأ الأخير الذي يلتجأ إليه الإنسان للخلاص من حالات الانحراف والضلال.

النظرية المهدوية: هي انهاء كافة الخلافات، واعطاء الاجابة عن كل التساؤلات.

النظرية المهدوية: هي ان يمتلك الإنسان المعاصر شحنة وقابلية انفجارية مثالية، في عصر العولمة، وانسداد السبل امام المذاهب المادية والمسميات.

النظرية المهدوية: هي نفي كافة أنواع التسلّط والاضطهاد، أو الحدود الجغرافية، وهي العالم المتحد والموحد.

النظرية المهدوية: هي خروج العالم من عصر الاختزال المليء بالظلم والجور، والدخول إلى عصر الربيع المليء بالقسط والعدل النظرية المهدوية: هي انزعاج الإنسان من الظلم، وادراكه الحاج والضرورة إلى وجود المخلص والمنجي العالمي.

النظرية المهدوية: هي شعار ورمزحياة الإنسان، والخروج عن حالات الانفعال والأطر الضيقة.

النظرية المهدوية: هي سفينة النجاة؛ وأمل الإنسان في مواجهة الأمواج المتلاطمة والمغرقة في آخر الأزمنة.

النظرية المهدوية: هي الارادة البشرية العالمية التي تجلي الغمام لبزوغ الشمس في سماء الحرية.

النظرية المهدوية: هي البوّابة الرئيسية نحو مستقبل البشرية، وهي شعار المدينة الفاضلة العالمية.

النظرية المهدوية: هي امتداد واستمرار لحركة الأنبياء والأوصياء والأولياء للوصول إلى أعلى درجات الكمال الإنساني.

النظرية المهدوية: هي تحقيق الوعود الإلهية الحتمية في تخليص البشرية؛ وسنته القاطعة في انتهاء فترة التاريخ.

النظرية المهدوية: هي فوق الأسلحة المتطورة النووية الذي تستخدمه الشيعة أخيراً لتسخير العالم.

النظرية المهدوية: هي السبيل الوحيد لانتشار الإسلام واتساعه في العالم؛ وهي البوابة المهمة التي من خلالها تعتنق كافّة الشعوب والامم الاسلام وتجعله دينا لها ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[١٠]؛ ومن ثم اعتلاء كلمة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» في ربوع العالم.

النظرية المهدوية: هي النافذة التي يشع من خلالها النور، والبواية نحو إطلالة الفجر ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[١١].

المباني والآليات:

تعتمد النظرية المهدوية على أساليب وآليات متينة وقوية في أدائها العام ومن أهمها:

١ ـ العولمة والشعوربصغر حجم العالم.

---

(١٠) سورة النصر: الآية: ٢.

(١١) سورة هود: الآية: ٨١.

٢ ـ عجز البشرية عن ادارة العالم.

٣ ـ فشل المدعين العالميين.

٤ ـ حاجة الأرض إلى السماء؛ وضرورة وجود الحجة الحي في المجتمع.

٥ ـ اصالة الاعتقاد بوجود المنجي الموعود «مع وجود الخلفية الفطرية، والعقلية، والنقلية، وكذلك المشتركات الدينية في المذاهب السماوية».

٦ ـ ضرورة ايجاد وبناء الحكومة العالمية. وسيأتي بيان هذه المفاهيم من خلال البحث عن النظرية المهدوية وآلياتها وأساليبها في علم النفس والتربيوجيا، وعلم الاجتماع، والسياسة والاقتصاد والفن وغيرها من المجالات العامة... في الأعداد القادمة من هذه المجلة ان شاء الله تعالى.

مؤسسة المستقبل المضيء

المهدى المنتظر"وَهْمُ الانتظار و هَمُّ الفَرَج"

خالد زَهْرى

الرباط، المغرب

لم يكن اختياري لعنوان البحث عَبَثًا، لِما قد يظهر فيه من تعارض ظاهر بين الـــوَهْم و الهَمّ. فقد يقال:

كيف يمكن الجمع بين و هْم الواهم و هَمّ المتطلع؟

وكيف يمكن للواهم المترهل أن يكون مشحوذا بحوافز الهَمّ؟

وكيف يمكن لمن يحمل هَمّا أن كون و اهما؟

هذه الأسئلة مشروعة، و طرحها و جيه. لكن، سنبين، في هذا البحـــث، التعـــارض الظاهر، بين الوَهْم و الهَمّ، من أجل أن نبدد هذا التعارض، عند الكشف عـــن الخيـــوط الدقيقة، التي تربط بينهما.

فحتما من كان ذا هَمّ، فإنه يعمل و يجدّ، في سبيل تحقيق ما يهدف إليه. و هو بذلك لا يعتبر و اهما، بل إنه، بمواقفه هاته، خصم لذود للوهم. و الواهم لا يمكن أن يكون ذا همٍّ البتة، لأن من يعيش في الوهم، كمن يحلم في سكره. أما من يحمل مشروع هَمِّـــه، فإنـــه يسير بمقتضى نباهة صحوه. 15

وشتان بين السكر و الصحو، كما أنه شتان بين الحالم و اليقظان.

لكن، هل يمكن أن نقول: إن و هْمَ الانتظار طعن في عقيدة المهدي؟ و أن هَمَّ الفـــرج، لا يزول إلا بظهور صاحب الفرج؟

إن البحث سيؤكد خلاف هذا المفهوم، المتبادر لأول و هلة إلى الأذهان، بل سيؤكد أن عقيدة المهدي من صميم العقائد، التي تبني حضارة المسلم، و تصقل شخـــصية المـــؤمن، فتحفزه نحو العمل، و تدفعه لبناء صرح العدل. لكن الانتظار، دون عمل — أعني الانتظار السلبي —، لا يكون إلا و هْما، بل إنه أكبر عقبة تقف في طريق ظهور المهدي.

فلو انتظر المسلمون هذا الانتظار، لجزمنا؛ بدون تردد؛ أن ظهورَ المهدي و هُمٌّ في و همٍ، و خروجه ضرب من ضروب الخيال، و شخصه رمز في أسطورة من نسج الخيال.

إذن، فالانتظار لا يكون ذا بال، و الظهور لا يكون أجنبيا عن المحال، إلا بحمل همّ الفرج. و الهمّ لا و زن له، إلا بخوض غمار الواقع، و التمهيد لظهور صاحب الزمان، و خلق الأجواء و الظروف، التي تُعَجّل بظهوره.

ولن يكون ذلك، إلا بتحمل و ظائفه، كما تحمل الأنبياء عليهم السلام و ظائف الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قبل ظهوره، و مهدوا له تمهيدا.

ومن هاهنا، قال النبي عليه و على آله أفضل الصلاة و أزكى السلام: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[12].

فبيَّن عليه الصلاة و السلام، أن غاية بعثته، إتمام ما جاء به النبيون قبله، من الأعمال الصالحة، و الأخلاق الربانية، و أن مكارم الأخلاق، التي جاء بها، مهَّد لها الأنبياء و الأولياء و الصالحون قبله، و استأنفوا العمل بمقتضاها، و الدعوة إليها.

فتحصل من هذا، أن مسألة الانتظار، من غير تمهيد للحجة عليه السلام، بالباقيات الصالحات، و الأعمال التي تقرب إلى الله عز و جل، كمن يطلب الأبلق من الأنوق.

ثم أقول: احتدم النقاش بين العلماء المسلمين، حول عقيدة المهدي، و ذلك بسبب الأحاديث و الأخبار الكثيرة، الواردة بشأن ظهوره آخر الزمان، حيث تَسَبَّبَ الاضطراب، الحاصل في كثير منها، و التعارض القائم، بين قسم و افر منها، في تعدد الآراء، فتفرقوا طرائق قددا، بشأن و قت ظهوره[13]، و شخصيته[14]، و علاقته بالسيد المسيح[15].

---

[12] – قال السخاوي: "أورده مالك، في "الموطأ" بلاغا، عن النبي صلى الله عليه و سلم، و قال ابن عبد البر: "هو متصل من و جوه صحاح، عن أبي هريرة" (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ٣، ١٤١٧ / ١٩٩٦، ص. ١٣١ – ١٣٢).

[13] – من الخلافات الواقعة بين المسلمين في ذلك، أن أهل السنة و الجماعة يذهبون إلى أن المهدي، لم يظهر بعد، و سيظهر في آخر الزمان، بالأوصاف المذكورة في أحاديثهم. كما أنهم لا يشترطون فيه العصمة، و لا يوجبون التعبد بانتظاره. أما الشيعة الإمامية، فقد ظهر عندهم المهدي في شخص محمد بن الحسن العسكري، الذي غاب غيبتين صغرى و كبرى، و هو حي يرزق، لكنه خافٍ عن الأنظار، مستور عنهم، و سيظهر في آخر الزمان، حين يصير الوقت مناسبا لظهوره (ذكر ابن بابويه القمي، أنه صنف كتابا، روى فيه الأخبار، في معنى غيبة المهدي، و سمّاه بـ "كتاب الغيبة": "علل الشرايع، دار البلاغة، ١٣٨٦ / ١٩٦٦، ج. ١، ص. ٢٤٤، باب ٧٩ – علة الغيبة). و يعتقدون فيه العصمة، كسائر الأئمة الأحد عشر قبله، و من الأحاديث النبوية، التي رووها في ذلك: "الأئمة بعدي اثنا عشر، عدد نقباء بني إسرائيل، كلهم أمناء، أتقياء،

فكيف؛ إذن؛ يمكن أن نحول هذه النقطة الخلافيـــة إلى رأي جـــامع بـــين المـــذاهب الإسلامية[16]؟

بادئ ذي بدء، نشير إلى أن أصل الفكرة لا خلاف فيه، بين المذاهب الإسلامية. و إنما الخلاف فقط في طريقة تمثُّله. كما أن الاتفاق حاصل، في الوظيفة، التي سيؤديها المهدي. فكل من مهدي أهل السنة و مهدي الشيعة سيؤدي الوظيفة نفسها، من رفـــع للظلـــم و الجور، و إثبات للعدل و الحق، و إزهاق للباطل.

مهما يكن من أمر، فإن و ظيفة المهدي و احدة، عند الجميع، و إن اختلفـــت طـــرق التعبير عنه، و تباينت سبل تحديد شخصيته.

معصومون" (جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين لمحمد بن محمد السبزواري، تحقيق عـــلاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط. ١، ١٤١٣ / ١٩٩٣، ص. ٦٢). كمـــا أن المهدوية عقيدة راسخة عندهم، و ركن من أركان مذهبهم (انظر تفصيل ذلك في كتابنا "تذليل العقبـــات فـــي طريق التقريب بين أهل السنة و الشيعة الإمامية"، مطبعة أكدال المغرب، الربـــاط، ط. ١، ١٤١٨ / ١٩٩٨، ص. ٥٨ – ٦٢).

[14] – حيث اتفقوا على أنه من آل البيت، من نسل فاطمة، بل "أجمعوا كلهم على أنه حفيد النبي صـــلى الله عليه و سلم" (المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس و المغرب لأبي العبـــاس الونشريسي، منشورات و زارة الأوقاف و الشرون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، ١٤٠١ / ١٩٨١، ج. ٢، ص. ٤٥٤)، و ذلك لأحاديث عدة و ردت في ذلك، منها قوله عليه الصلاة و السلام: "المهدي من عترتي، من و لد فاطمة" (رواه أبو داود، في "سننه"، إعداد و تعليق عزت عبيد الدعاس، و عادل السيد، دار الحديث، حمص، ط. ١، ١٣٩٣ / ١٩٧٣، ج.٤، ص. ٤٧٤، حديث ٤٢٨٤. و عزاه السيوطي إلى أبي داود،، و ابـــن ماجه، و الحاكم في "المستدرك"، عن أم سلمة، و رمز إليه بالصحة: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤١٠ / ١٩٩٠، ج. ٢، ص. ٥٥٢، حديث ٩٢٤١. و قولـــه صـــلى الله عليه و آله و سلم: "المهدي رجل من و لدي: و جهه كالكوكب الدري" (رواه الروياني، عن حذيفة، و رمـــز إليه السيوطي بالصحة: الجامع الصغير، ج. ٢، ص. ٥٥٣، حديث ٩٢٤٥) . لكـــنهم اختلفـــوا فـــي تعيين شخصه. فعينه الشيعة الإمامية في محمد بن الحسن العسكري، المولود سنة ٢٥٥ هـــ، و الذي اختفى، ليظهر في آخر الزمان (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد للمفيد، مؤسسة انتشاريان محبين، قم، ط. ١، ١٤٢٦ / ٢٠٠٥، ص. ٥١٢ – ٥١٣). لكن، ذكر المقداد السيوري، ان و لادته كانت سنة ٢٥٦ هـــ (النـــافع يـــوم الحشر في شرح "الباب الحادي عشر للعلامة الحلي"، دار الأضواء، بيـــروت، ط. ١، ١٤٠٩ / ١٩٨٨، ص. ١١٧). بيد أن أهل السنة لم يعينوا شخصه. و جاء في أحاديث كثيرة عندهم، انه حسني النسب، قال تقي الدين بن تيمية: "فكذلك الخليفة الراشد المهدي، الذي هو آخر الخلفاء، يكون من ذرية الحسن" (حقـــوق آل البيـــت، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ٢، ١٤٠٧ / ١٩٨٧، ص. ٥٣).

[15] – حيث ذهب الجمهور من المسلمين إلى أن المهدي هو غير المسيح، و ذهب البعض إلى أنهما شخص و احد، بناء على حديث : "لا مهدي، إلا المسيح بن مريم" (رواه ابن ماجه و الحاكم). و ممن نُسب إليهم هـــذا القول، من التابعين: مجاهد، و الحسن البصري. و ممن قال به، من المُحْدَثين: محمد رشيد رضا.

[16] – اتخذ بعض أعداء التقريب بين المسلمين عقيدة إخواننا الشيعة الإمامية غَرَضا لتوجيه سهام التكفير و التضليل، و ذريعة لتبزهم بمخالفة أهل السنة في الأصول و الفروع. و من هـــؤلاء المـــدعو محمـــد كامـــل الهاشمي، في كتاب طائفي متعصب و سَمَّه بعنوان "عقائد الشيعة في الميزان" (د. ت.، ص. ١٢٢ – ١٢٨). و ممن تولى كِبْرَ ذلك أيضا إحسان إلهي ظهير، في جل كتبه (انظر مثلا كتابه "الشيعة و أهل البيـــت"، إدارة ترجمان القرآن، لاهور، د. ت.، ص. ٢٤٤ – ٢٤٦، ٢٩٤ – ٢٩٦).

من ظهور إيليا، إنما هو ظهور نبي على شاكلته، يحمل صفاته الروحية و الأخلاقية، و هو يوحنا المعمدان[٢٦].

فقد جاء في "إنجيل متى": "وما أن انصرف تلاميذ يوحنا، حتى أخذ يسوع يتحدث إلى الجموع، عن يوحنا: ماذا أخرجتم إلى البرية لتروا؟ أقصبة تهزها الريح؟ بل ماذا خـــرجتم لتروا؟ أوَ إنسانا يلبس ثيابا ناعمة؟ ها إن لابسي الثياب الناعمة هم في قصور الملوك. إذن، ماذا خرجتم لتروا؟ أنبيا؟ نعم، أقول لكم: و أعظم من نبي. فهذا هو الذي كتب عنه: ها إني مرسل قدامك رسولي، الذي يمهد لك طريقك الحق. أقول لكم: إنه لم يظهر، بين من و لدتهم النساء، أعظم من يوحنا المعمدان، و لكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظـــم منه. فمنذ أن بدأ يوحنا المعمدان خدمته، و ملكوت السماوات معرض للعنف، و العنفاء يختطفونه. فإن الشريعة و الأنبياء تنبؤوا جميعا، حتى ظهور يوحنا. و إن شئتم أن تصدقوا، فإن يوحنا هذا، هو إيليا، الذي كان رجوعه منتظرا. و من له أذنان، فليسمع"[٢٧].

معالم انتظار يوحنا للمسيح

وعندما ظهر يوحنا المعمدان، إيذانا من الله تعالى بظهور السيد المسيح، لم يكتف بمجرد إعلان البشارة، بل كان خير ممثل لأعمال المسيح و وظائفه. فقد تجرد من الدنيا، و أعرض عن ملذاتها و شهواتها، حيث كان "يلبس ثوبا من و بر الجمال، و يشد و سطه بحزام من جلد، و يقتات الجراد و العسل البري"[٢٨].

وعلى هذا السبيل أيضا كان السيد المسيح، فقد قال له أحد الكتبة: "يا معلم، سأتبعك حيثما تذهب!"، فأجابه: "للثعالب أوجار، و لطيور السماء أوكار، أما ابن الإنسان، فليس له مكان يسند إليه رأسه"[٢٩].

---

[٢٦] – يعرف عند المسلمين بالنبي يحيى عليه الصلاة و السلام.
[٢٧] – إنجيل متى، الإصحاح ١١، الأعداد ٧– ١٥.
[٢٨] – إنجيل متى، الإصحاح ٣، العدد ٤.
[٢٩] – سفر متى، الإصحاح ٨، العددان ١٩ – ٢٠.

ولم يربط يوحنا المعمدان المعمودية بظهور السيد المسيح، بل قام بها قبل ظهوره، فكان يُعَمِّد الناس بالماء، و يقول لهم: "أنا أعمدكم بالماء، لأجل التوبة، و لكن الآتي بعدي هو أقدر مني، و حذاءَهُ، لا أستحق أن أحمل. هو سيعمدكم بالروح القدس، و بالنار"[٣٠].

حتى إذا ظهر المسيح، بارك عمل يوحنا، بل عندما جاء من منطقة الجليل إلى نهر الأردن، قصده "ليتعمد على يده. لكن يوحنا أخذ يمانعه قائلا: "أنا المحتاج أن أتعمد على يدك، و أنت تأتي إلي!"، و لكن يسوع أجابه: "اسمح الآن بذلك، فهكذا يليق بنا أن نتم كل بر". عندئذ سمح له. فلما تعمد يسوع، صعد من الماء في الحال، و إذا السماوات قد انفتحت له، و رأى روح الله هابطا، و نازلا عليه، كأنه حمامة"[٣١].

لقد ارتبط ظهور المبشَّر به بظهور النموذج، الذي يُعَبِّر عن البشارة، بلسانه، و قلبه، و جوارحه. و موقف السيد المسيح، بإصراره على أن يتعمد على يد يوحنا، يذكرنا بموقفه بالصلاة خلف الإمام المهدي، عند ظهورهما في آخر الزمان.

ولا جرم أن الظهور المُسْبَق للمهدي، يوحي بأنه يقدم نموذجا حيا، يستحق أن ينال به شرف الإمامة في الصلاة بالسيد المسيح.

إن البشارة السلوكية، التي قدمها يوحنا، هي التي جعلته محلاً للتشرُّف بالنبوءة، التي ذكرها النبي إشعياء: "صوت يصرخ، و يقول: "أعدوا، في البرية، طريق الرب، و أقيموا طريقا مستقيما لإلهنا. كل و اد يرتفع، و كل تل ينخفض. و تُمَهَّد كل أرض معوجة، و تُعَبَّد كل بقعة و عرة. و يتجلى مجد الله، فيشاهده كل ذي جسد، لأن فم الرب قد تكلم"[٣٢]، و أكدها بشارة الإنجيل: "في تلك الفترة من الزمان، ظهر يوحنا المعمدان، في برية اليهودية، يبشر قائلا: "توبوا، فقد اقترب ملكوت السماوات"، و يوحنا هذا، هو الذي قيل عنه، بلسان النبي إشعياء القائل: "صوت مناد في البرية: "أعدوا طريق الرب! و اجعلوا سبله مستقيمة!"[٣٣].

---

[٣٠] – إنجيل متى، الإصحاح ٣، العدد ١١.
[٣١] – سفر متى، الإصحاح ٣، الأعداد ١٣ – ١٦.
[٣٢] – كتاب إشعياء، الإصحاح ٤٠، الأعداد ٣ – ٥.
[٣٣] – إنجيل متى، الإصحاح ٣، الأعداد ١ – ٣.

وروى أيضا، بسنده، "عن الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: لما بعث الله عز و جل هودا عليه السلام، أسلم له العقب، من و لد سام. و أما الآخـــرون، فقالوا: من أشد منا قوة، فأهلكوا بالريح العقيم، و أوصاهم هود، و بشرهم بصالح عليـــه السلام"[٤٢].

وفي كثير من الأخبار، أن الإنجيل بشر بالنبي محمد عليه و على آله الصلاة و السلام، و قال أقوالا فيه، منها: "صَدِّقُوا النبيَّ الأميَّ"[٤٣].

ولا معنى للأمر باتباع النبي اللاحق، و العمل بوصاياه، و تصديقه، قبـــل ظهـــوره، إلا العمل بمقتضى الوظائف و الوصايا و الأخلاق، التي عزاها إليه النبي السابق، و بكلمـــة: التمهيد لظهوره، و تعبيد الطريق له.

البُعْد العملي للعقيدة المهدوية

إن استحضارَ الأبعادِ العملية للبشارات السابقة، قَمِين بأن يقدم لنا فهما راقيا للعقيـــدة المهدوية، و ذلك عن طريق استحضار القيم الروحية، و الأخلاقية، و الجهاديـــة، للإمـــام المهدي، و أَخْذ زمام البادرة، بالقيام بالوظائف، التي سيأتي من أجل تحقيقها.

ولذا، فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، لم يخبرنا فقـــط عـــن ظهـــور المهدي، و أنه من آل بيته، و إنما حدثنا أيضا عن أقوام سيظهرون قبله، ممهدين له طريـــق التمكُّن في الأرض، فقد روى أبو داود، بسنده، "عن هلال بن عمرو، قال: سمعت عليـــا رضي الله عنه يقول: قال النبي صلى الله عليه و سلم: يخرج رجل من و راء النهر، يقـــال له: "الحارث بن حَرَّاث"، على مقدمته رجل، يقال له: "منصور"، يوطِّيء؛ أو يمكِّن؛ لآل محمد، كما مكَّنت قريش لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و جب على كـــل مـــؤمن نصره"، أو قال: "إجابته""[٤٤].

---

[٤٢] – كمال الدين و تمام النعمة، ج. ١، ص. ١٣٦.
[٤٣] – كمال الدين و تمام النعمة، ج. ١، ص. ١٥٩.
[٤٤] – سنن أبي داود، ج. ٤، ص. ٤٧٧، حديث ٤٢١٩.

وخرَّج ابن ماجه، عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدي" يعني: "سلطانه"[٤٥].

وخرَّج الطبراني، في "معجمه الأوسط"، عن ابن عمر، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم في نفر، من المهاجرين و الأنصار، و علي بن أبي طالب عن يساره، و العباس عن يمينه، إذ تلاحى العباس و رجل من الأنصار، فأغلظ الأنصاري للعباس، فأخذ النبي صلى الله عليه و سلم بيد العباس، و بيد علي، و قال: "سيخرج من صلب هذا، حتى يملأ الأرض جورا و ظلما. و سيخرج من صلب هذا، حتى يملأ الأرض قسطا و عدلا. فإذا رأيتم ذلك، فعليكم بالفتى التميمي، فإنه يُقْبِل من قِبَلِ المشرق، و هو صاحب راية المهدي"[٤٦].

وروى المفيد، بسنده، "عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خروج الثلاثة: السفياني، و الخراساني، و اليماني، في سنة و احدة، في شهر و احد، في يوم و احد. و ليس فيها راية أهدى من راية اليماني، لأنه يدعو إلى الحق"[٤٧].

فتقدم ظهور اليماني على المهدي، إن لم يكن زمنيا، فهو رتبي. فالتقدم حاصل على كل حال، و لذا قال المفيد: "قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي عليه السلام، و حوادث تكون أمام قيامه، و آيات، و دلالات"، منها "خروج اليماني"[٤٨].

وقد تفطن ابن خلدون لهذا البُعْد العملي للعقيدة المهدوية، فربط ظهور المهدي، بتهيىء الظروف و الأجواء المناسبة للتمكين في الأرض، فقد قال: "والحق، الذي ينبغي أن يتقرر لديك، أنه لا يتم دعوة من الدين و الملك، إلا بوجود شوكة عصبية، تظهره، و تدافع عنه من يدفعه، حتى يتم أمر الله فيه"[٤٩]، و قال: "فإن صح ظهور هذا المهدي، فلا و جه لظهور دعوته، إلا بأن يكون منهم[٥٠]، و يؤلف الله بين قلوبهم، في اتباعه، حتى تتم له شوكة، و عصبية و افية، بإظهار كلمته، و حمل الناس عليها. و أما على غير هذا الوجه،

---

[٤٥] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣٢١.
[٤٦] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣٢٢.
[٤٧] – الإرشاد، ص. ٥٣٥.
[٤٨] – الإرشاد، ص. ٥٣١.
[٤٩] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣٢٧.
[٥٠] – أي: من قريش.

و نمثل لذلك بواقع الهزيمة، التي مُنِيَ بها المسلمون، في آخر معقل إسلامي في الأندلس، و هوإمارة بني الأحمر، حيث سيطرت على أذهانهم فكرة المهدي المنتظر، و طفقوا ينتظرونه، و يترقبون خروجه، لينصرهم على الإسبان، و يثأر لهم.

لكن، و ضِعت رؤوسهم تحت مقصلة محاكم التفتيش، و طردوا من الأندلس شر طردة، و فقد المسلمون فردوسهم، دون أن يظهر للمهدي أثر، و دون أن تُشَم له رائحة.

إن هذا النوع من الانتظار، إن كان له دور، فهو دور الخيلولة دون ظهـــور المهـــدي، لكونه إعلانا صريحا، بأن أجواء ظهوره، لم تتيسر بعدُ. بل إنه مخالف للمنهج القرآني، في الإصلاح و التغيير، القائم على ثلاث دعائم:

أولها: دفع الفساد من الأرض، لقوله تعالى: ﴿ولولا دفاع الله الناس بعـــضهم بـــبعض لفسدت الأرض، و لكن الله ذو فضل على العالمين﴾[٦٢]؛

ثانيها: مجاهدة النفس و تهذيبها، لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مـــا بأنفسهم﴾[٦٣]؛

ثالثها: مراعاة التدرج، و اعتبار المرحلية. و لا جرم أن انتظار المهدي، ليحدث التغـــيير المفاجئ، رأسا على عقب، مخالف لهذه السنة الكونية، التي استفاض بتقريرهـــا القـــرآن الكريم، و السنة النبوية الشريفة، و سار على هديها السلف و الخلف.

لقد أفضى هذا الموقف السلبي ببعض فرق الشيعة، ممن يصنَّفون بأنهم غلاة، إلى تعطيل الفرائض، و الأحكام الشرعية، و الجهاد، و الحدود، و صلاة الجماعة، و الجمعة، بدعوى أن القيام بها رهين بخروج المهدي.

وأما الموقف الإيجابي، فهو الذي يُشْرَب قلبُ صاحبِه بالعقيدة المهدوية، فيُسَلِّم بها نظريا، و يعتبرها من موجبات – أو مُكَمِّلات – الإيمان، لكنه لا يقف مكتوف الأيدي، أمـــام الواقع المنحرف، الذي يتقلب فيه، بل يعتبر نفسه ممهدا لطريق المهدي، و معبدا له طريـــق الوظيفة الإلهية، التي سيضطلع بها في آخر الزمان.

---

[٦٢] – سورة البقرة، الآية ٢٥١.

[٦٣] – سورة الرعد، الآية ١١.

ويمكن أن نستشف هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿من كفر فعليه كفره، و من عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾[٦٤].

فقد ذكر المفسرون، أن معنى ﴿يمهدون﴾: "يوطئون لأنفسهم، في الآخرة، فراشا، و مسكنا، و قرارا، بالعمل الصالح"[٦٥]، قال ابن عطية الأندلسي: "و﴿يمهدون﴾: معناه يوطئون، و يهيئون، و هي استعارة منقولة من الفرش؛ و نحوها؛ إلى الأحوال و المراتب"[٦٦]. و ذكروا أن مجاهدا فسرها بـ "التمهيد للقبر"[٦٧].

فما المانع من اعتبار التمهيد في الآية الكريمة يشمل أيضا التمهيد بالعمل الصالح، استعدادا لمواجهة الفتن السابقة للساعة، و المواكبة لها، و للجهاد في صف الإمام المهدي، الذي قد يظهر في أي وقت من الأوقات؟!

بل يمكن لهذا الموقف أن يتطور إلى مستوى أسمى و أرقى، عندما يعتبر صاحبه نفسه ممثلا للمهدي، و نائبا عنه، عن طريق القيام بكل الوظائف، التي سيقوم بها، بحسب ما هو منصوص في الروايات و الأخبار.

وهذا الانتظار الإيجابي، هو المقصود من الخبر، الذي رواه ابن بابويه القمي، بسنده، "عن أبي عبد الله، قال: من مات منكم على هذا الأمر، منتظرا له، كان كمن كان في فسطاط القائم عليه السلام"[٦٨].

كما توجد أخبار، تُشَبِّه المنتظِر للمهدي، بالمجاهد في سبيل الله، كالخبر، الذي رواه ابن بابويه القمي أيضا، بسنده، "عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: المنتظر لأمرنا، كالمتشحِّط بدمه، في سبيل الله"[٦٩].

---

[٦٤] – سورة الروم، الآية ٤٤.

[٦٥] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ضبطه و علق عليه محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ / ٢٠٠٢، ج. ١٤، ص. ٣٦٦. و انظر أيضا "الكشاف عن حقائق التنزيل" للزمخشري، دار الفكر، ط. ١، ١٣٩٧ / ١٩٧٧، ج. ٣، ص. ٢٢٥، و تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، و آخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٢٢ / ٢٠٠١، ج. ٧، ص. ١٧٢.

[٦٦] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بمكناس، منشورات و زارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، ١٤٠٨ / ١٩٨٨، ج. ١٢، ص. ٢٦٦.

[٦٧] – تفسير البحر المحيط، ج. ٧، ص. ١٧٢. الجامع لأحكام القرآن، ج. ١٤، ص. ٣٦٦. المحرر الوجيز، ج. ١٢، ص. ٢٦٦.

[٦٨] – كمال الدين و تمام النعمة، ج. ٢، ص. ٦٤٤.

[٦٩] – كمال الدين و تمام النعمة، ج. ٢، ص. ٦٤٥.

سلمة، و ثوبان، و قرة بن إياس، و علي الهلالي، و عبد الله بن الحارث بن جزء، بأسانيد..."[٧٦].

لكنه، بالرغم من ذلك، طعن في أحاديث المهدي، و صرّح بأنه لم يسلم من الطعن منها، إلا أقل القليل[٧٧].

وهذا لا يستقيم، حيث رواه كبار أئمة الحديث، و صرحوا بلقبه (المهدي)، و لم يماروا في التسليم بها. يقول تقي الدين بن تيمية: "فأما المهدي، الذي بشر به النبي صلى الله عليه و سلم، فقد رواه أهل العلم، العالمون بأخبار النبي صلى الله عليه و سلم، الحافظون لها، الباحثون عنها، و عن رواتها، مثل أبي داود، و الترمذي، و غيرهما، و رواه الإمام أحمد في "مسنده"[٧٨]".

وجاء في "المعيار": "فهذه الأحاديث كلها في أبي داود، و في مسلم، و هم أئمة الحديث"[٧٩].

ويقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء: "والأخبار في "المهدي"، عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، من الفريقين[٨٠]، مستفيضة"[٨١].

وذكر القاضي عياض، أن خروج المهدي، من الأمور، التي أَطْلَعَ اللهُ عليها نبيَّه محمدا صلى الله عليه و سلم، من الغيب، و ما يكون[٨٢].

ومن هذه الأحاديث:

روى أبو داود، بسنده، عن علي، عن النبي صلى الله عليه و سلم، قال: "لو لم يبق من الدهر، إلا يوم، لبعث الله رجلا من أهل بيتي، يملأها عدلا، كما ملئت جورا"[٨٣].

---

[٧٦] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣١١.
[٧٧] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣٢٢.
[٧٨] – حقوق آل البيت، ص. ٥١.
[٧٩] – المعيار المعرب، ج. ٢، ص. ٤٥٤.
[٨٠] – أي: أهل السنة و الشيعة الإمامية.
[٨١] – أصل الشيعة و أصولها، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط. ٤، ١٤١٣ / ١٩٩٣، ص. ٧٤.
[٨٢] – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق محمد أمين قره علي، و آخرين، دار الفيحاء، عمّان، ط. ٢، ١٤٠٧ / ١٩٨٦، ج. ١، ص. ٦٥٥.
[٨٣] – سنن أبي داود، ج. ٤، ص. ٤٧٣ – ٤٧٤، حديث ٤٢٨٣. و عزاه السيوطي إلى أحمد في "المسند"، و أبي داود، عن علي، و رمز إليه بالحسن (الجامع الصغير، ج. ٢، ص. ٤٥٩، حديث ٧٤٨٩).

وروى، بسنده، "عن أبي إسحاق قال: قال علي رضي الله عنه؛ و نظر إلى ابنه الحسن؛ فقال: إن ابني هذا سيد، كما سماه رسول الله صلى الله عليه و سلم، سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق، و لا يشبهه في الخَلْق – ثم ذكر قصةً– يملأ الأرض عدلا"[٨٤].

وروى أيضا، في حديث و صف فيه المهدي، بأنه "يقسم المال، و يعمل في الناس، بسُنة نبيهم صلى الله عليه و سلم، و يُلْقِي الإسلامَ بِجِرَانه في الأرض"[٨٥].

وروى، بسنده، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "المهدي مني: أجلى الجبهة، أقنى الأنف. يملأ الأرض قسطا و عدلا، كما ملئت جورا و ظلما. و يملك سبع سنين"[٨٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم – من طريق زيد العمي –: "إن في أمتي المهدي، يخرج و يعيش خمسا، أو سبعا، أو تسعا، – زيد الشاك–، قال: "قلنا: و ما ذاك؟"، قال: "سُنِيْن"، قال: "فيجيء إليه، فيقول: يا مهدي! اعطني!"، قال: "فيحثو له في ثوبه ما استطاع أن يحمله" لفظ الترمذي، و قال: "هذا حديث حسن"[٨٧].

ولفظ ابن ماجه و الحاكم: "يكون في أمتي المهدي، إن قصر، فسبع، و إلا فتسع. فتنعم أمتي فيه نعمة، لم يسمعوا بمثلها قط. تؤتي الأرض أكلها، و لا يدخر منه شيء. و المال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل، فيقول: "يا مهدي! اعطني!"، فيقول: "خذ!"[٨٨].

وروى مسلم، في "صحيحه"، من حديث جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يكون في آخر أمتي خليفة، يحثي المال حثيا، لا يعدُّه عددا"[٨٩].

---

[٨٤] – سنن أبي داود، ج. ٤، ص. ٤٧٧، حديث ٤٢٩٠.

[٨٥] سنن أبي داود، ج. ٤، ص. ٤٧٥ – ٤٧٦، حديث ٤٢٨٦.

[٨٦] – رواه أبوداود (ج. ٤، ص. ٤٧٤ – ٤٧٥، حديث ٤٢٨٥). و عزاه السيوطي إلى أبي داود، و الحاكم في "المستدرك"، عن أبي سعيد، و رمز إليه بالصحة (الجامع الصغير، ج. ٢، ص. ٥٥٢ – ٥٥٣، حديث ٩٢٤٤).

[٨٧] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣١٥.

[٨٨] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣١٥.

[٨٩] – صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار عالم الكتب، الرياض، ط. ١، ١٤١٧ / ١٩٩٦، ج. ٤، ص. ٢٢٣٤، حديث ٢٩١٣.

وروى أيضا، من حديث أبي سعيد و جابر بن عبد الله، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يكون في آخر الزمان خليفة، يقسم المال، و لا يعدُّه"[٩٠].

وروى الحاكم، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، و تخرج الأرض نباتها، و يعطي المال صحاحا، و تكثر الماشية، و تعظم الأمة، يعيش سبعا، أو ثمانيا. يعني: حِجَجا".

وحديث الرايات، الذي خرّجه ابن ماجه، في كتاب "السنن"، عن عبد الله بن مسعود، قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه و سلم، إذ أقبل فتية، من بني هاشم. فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، ذرفت عيناه، و تغير لونه، قال: فقلت: ما نزال نرى في و جهك شيئا نكرهه، فقال: إنا أهل البيت، اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، و إن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء، و تشريدا، و تطريدا، حتى يأتي قوم من قِبَلِ المشرق، معهم رايات سود، فيسألون الخَيْر، فلا يُعْطَوْنَه، فيقاتلون، و يُنصَرون. فيُعطَون ما سألوا، فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطا، كما ملأها جورا. فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم، و لو حبوا على الثلج"[٩١].

وخرّج الطبراني، في "معجمه الأوسط"، عن علي رضي الله عنه، أنه قال للنبي صلى الله عليه و سلم: "أمنّا المهدي؟ أم من غيرنا؟ يا رسول الله!"، فقال: "بل منا! بنا يختم الله، كما بنا فتح، و بنا يستنقذون من الشرك، و بنا يؤلف الله قلوبهم، بعد عداوة بَيْنة، كما بنا ألف بين قلوبهم، بعد عداوة الشرك"، قال علي: "أمؤمنون؟ أم كافرون؟"، قال: "مَفْتون و كافر"[٩٢].

وفي رواية الحاكم، في "المستدرك": "...ثم يظهر الهاشمي، فيرد الله الناس إلى إلْفَتهم، و نعمتهم، و قاصيتهم، و رأيهم"[٩٣].

وفي حديث علي، عندما سأله رجل عن المهدي، فقال له: "هيهات"، ثم عقد بيده سبعا، فقال: "ذلك يخرج، في آخر الزمان، إذا قال الرجل: "الله الله"، قتل. و يجمع الله له

---

[٩٠] – صحيح مسلم، ج. ٤، ص. ٢٢٣٥، حديث ٢٩١٣ / ٢٩١٤.
[٩١] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣١٧.
[٩٢] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣١٨.
[٩٣] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣١٨.

قوما قزعا كقزع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم، فلا يستوحشون على أحد، و لا يفرحون بأحد دخل فيهم، عدتهم على عدة أهل بدر، لم يسبقهم الأولون، و لا يدركهم الآخرون، و على عدد أصحاب طالوت، الذين جاوزوا معه النهر..."[٩٤].

وخرّج البزار، في "مسنده"، و الطبراني، في "معجمه الأوسط"؛ و اللفظ للطبراني؛ عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه و سلم، قال: "يكون في أمتي المهدي، إن قصر، فسبع، و إلا فثمان، و إلا فتسع. تنعم فيها أمتي نعمة، لم ينعموا بمثلها، ترسل السماء عليهم مدرارا، و لا تذخر الأرض شيئا من النبات، و المال كدوس، يقوم الرجل، يقول: "يا مهدي! اعطني!"، فيقول: "خذ!"[٩٥].

وخرّج أبو يعلى الموصلي، في "مسنده"، عن أبي هريرة، قال: حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه و سلم، قال: "لا تقوم الساعة، حتى يخرج عليهم رجل، من أهل بيتي، فيضربهم، حتى يرجعوا إلى الحق"، قال: قلت: "وكم يملك؟"، قال: "خمسا و اثنين"، قال: قلت: "وما خمسا و اثنين؟"، قال: "لا أدري"[٩٦].

وروى المفيد، في "الإرشاد"، "عن سعيد بن جبير، قال: إن السنة، التي يقوم فيها المهدي عليه السلام، تمطر الأرض أربعا و عشرين مطرة، تُرَى آثارها و بركاتها"[٩٧].

من مقاصد أحاديث ظهور المهدي

عند التأمل في هذه الأحاديث، ندرك أن و ظيفة المسلم؛ سواء المهدي أم غيره؛ تحدّد فيما يلي:

١. محاربة الظلم؛

٢. إرساء العدل؛

٣. تأليف القلوب؛

٤. رد الناس إلى إلفتهم؛ و نعمتهم، و قاصيتهم، و رأيهم؛

---

[٩٤] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣١٩.
[٩٥] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣٢١.
[٩٦] – مقدمة ابن خلدون، ص. ٣٢١.
[٩٧] – الإرشاد، ص. ٥٣٥.

٥. ضرب من لا يرجع إلى الحق؛

٦. إحياء العمل بسنة النبي صلى الله عليه و على آله و سلم.

كما و صفت الأحاديث عهد المهدي، بصفات، أهمها:

١. نزول الغيث؛

٢. ملء الأرض بالرزق؛

٣. الرخاء المالي؛

٤. عظمة الأمة.

وهذا لا معنى له، إلا أن تكون و ظيفة المسلم، المنتظِر للمهدي انتظارا إيجابيا، أن يجاهد على الأرض، في سبيل رفع الظلم بكل أشكاله، و تحقيق الرخاء الاقتصادي، و التوسعة بالرزق على العباد، و التخطيط، من أجل تخليصهم من الضائقة الاقتصادية.

هذا، و إن الصفات الملازمة لعهد المهدي، ارتبطت في القرآن الكريم، بالاستغفار، فقد قال سبحانه و تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهارا﴾[٩٨].

مما يعني، أن نجاح الجهاد – الشامل لكل الأصعدة –، الذي يقوم بـه المهـدي – أو بالأحرى: الذي يقوم به، من يمهدون له سبيل الظهور –، و تتحقق به عظمة الأمة، رهين بربط الناس بخالقهم، ليتخلوا عن عاداتهم الفاسدة، و يقلعوا عن موجبـات الـذنوب و الخطايا، و يتزجروا عن غيهم و ضلالهم.

فيكون الجهاد ذا مستويات متعددة، تهدف إلى تحقيق التوازن، بين مطالب الـروح، و مطالب الجسد، و أيضا القضاء على التوجهات الإلحادية، التي قطعت الوصال بين السماء و الأرض، و نسبت كل رخاء، أو ازدهار، أو تقدم، إلى العقـل البـشري، و تخطيطـه الاقتصادي، و الاجتماعي، و السياسي.

---

[٩٨] – سورة نوح، الآيات ١٠ – ١٢.

هذا، و إن بعض الأخبار، و صفت الفترة، التي سيظهر فيها المهدي، بأنهـــا ســـتكون مقرونة بعلامات، منها الظلم السياسي، و الكساد الاقتصادي، و فشو الخوف، و انعـــدام الأمن.

فقد روى ابن بابويه القمي، بسنده، "عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "إن قدَّام القائم علامات، تكون من الله عز و جل للمؤمنين"، قلت: "ومـــا هي؟ جعلني الله فداك!"، قال: "ذلك قول الله عز و جل: ﴿ولنبلونكم﴾، يعني: المـــؤمنين، قبل خروج القائم عليه السلام ﴿بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات، و بشر الصابرين﴾[٩٩]، قال: "يبلوهم ﴿بشيء من الخوف﴾، من ملوك بـــني فلان، في آخر سلطانهم، ﴿والجوع﴾ بغلاء أسعارهم، ﴿ونقص من الأمـــوال﴾، قـــال: "كساد التجارات، و قلة الفضل، و نقص من ﴿الأنفس﴾، قال: "موت ذريع"، و نقـــص من ﴿الثمرات﴾، قال: "قلة ريع ما يزرع"،﴿وبشر الصابرين﴾ عند ذلك، بتعجيل خروج القائم عليه السلام". ثم قال لي: "يا محمد، هذا تأويله: إن الله تعالى يقول: ﴿ومـــا يعلـــم تأويله إلا الله، و الراسخون في العلم﴾[١٠٠][١٠١].

وروى المفيد، بسنده، "عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن قُدَّام القائم عليه الـــسلام لَسنة غيداقة، يفسد فيها الثمار، و التمر في النخل، فلا تشكّوا في ذلك"[١٠٢].

وهذا المعنى هو الذي قرره الإمام الخميني، في إحيائه لنظرية "ولاية الفقيه"، و توسيعها بحيث تشمل كل مناحي الحياة، معتبرا الفقيه المجتهد نائبا عن الإمام المهدي، في كل شيء، و ألف في ذلك كتابه "الحكومة الإسلامية أو و لاية الفقيه"[١٠٣].

---

[٩٩] – سورة البقرة، الآية ١٥٥.

[١٠٠] – سورة آل عمران، الآية ٧.

[١٠١] – كمال الدين و تمام النعمة، ج. ٢، ص. ٦٤٩ – ٦٥٠. و انظر أيضا "الإرشاد"، ص. ٥٣٧.

[١٠٢] – الإرشاد، ص. ٥٣٦ – ٥٣٧.

[١٠٣] – بيد أن بعض الأعداء اللدّ لمشروع التقريب بين المسلمين، زعموا أن الخميني؛ بهذا الاجتهاد؛ قـــد ادعى لنفسه المهدوية بشكل ذكي، يقول أحدهم مفتريا: "وهو؛ بهذا الرأي؛ يخلق من الأسطورة و اقعا، يتمثـــل في الفقيه المجتهد. و عمله هذا، في و اقع الأمر، ادعاء للمهدية، بشكل ذكي، و بطريقة محنكة. فهو قد و ضع نفسه موضع الإمام، الذي تخلع عليه كتب الشيعة، و مدوناتها، صفات أسطورية، تذكرك بمعبودات اليونـــان الوثنية، و ليس هناك فرق بين الخميني و مراجع الشيعة و آياتها، فإن كل آية من آياتهم له الحق فـــي النيابـــة عن الإمام المهدي" (الخميني بين التطرف و الاعتدال للمدعو عبد الله محمد الغريب، مطبعة النجاح الجديـــدة، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص. ٤٥).

إنه؛ عند النظر بعمق؛ في الوظائف المذكورة، بُعدها ليست خاصة بالمهدي المنتظر، بل إنها مطلوبة، بنصوص الشرع، من كل المسلمين.

فهل يشك أحد في أن المسلم و اجب عليه عدم السكوت عن الظلم، و عـــدم الرضـــا بالباطل؟!

ألم يجعل الله المؤمنين طُرًّا مسئولين عن إصلاح ذات البين، و التأليف بين القلـــوب، و التصدي لمن يكيد لأهل الحق، و الذّب عن سنة رسول الله، و العمل بها، و إحيائهـــا، و السعي في مناكب الأرض، بحثا عن الرزق للتوسعة على العباد، و تحقيق الرخاء في البلاد، و الجهاد من أجل عزة الأمة و كرامتها، إلخ؟!

بل إنها و ظائف كل المبشَّر بهم، من الأنبياء و الأولياء، بحيث يمكن أن يكون النبي محمد صلى الله عليه و آله و سلم مهديا منتظرا بهذا الاعتبار، بالنسبة لمن كانوا يترقبون ظهوره. و مما يشفع لذلك و يزكيه، أن من أسمائه صلى الله عليه و آله و سلم "المَهْدِيّ"[١٠٤]، و جاء في صلوات "دلائل الخيرات": "وأن تصلي عليه و على آله، منذ كان في المهد صبيا، إلى أن صار كهلا مهديا"[١٠٥].

ومما و صف به المهدي، في الأخبار النبوية، التي بشرت به — كما سنرى بعد حين —، أنه سيقيم السنة. و مما و صف به النبي صلى الله عليه و آله و سلم، في الكتب الســـماوية السابقة، التي بشرت به، أنه "مقيم السنة".

فقد ذكر القاضي عياض، و محمد المهدي الفاسي، أن مما و قع في كتب الأنبياء (التوراة و الزبور)، قول داود عليه السلام: "اللهم ابعث لنا محمدا، مقيمَ السنة، بعد الفترة"[١٠٦].

---

[١٠٤] – دلائل الخيرات، ص. ٦١. مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات لمحمد المهدي بن أحمد الفاســـي القصري، المطبعة الشرفية المصرية، القاهرة، ١٢٩٨، ص. ١٠٠. و قال ابن الفارض في ذلك:
أ جبريل قل لي كان دحية إذ بدا * * * لمهْديّ الهدى في صورة بشرية؟!
(نقلا من "مطالع المسرات"، ص. ١٠٠). و قال ابن النحوي، في "القصيدة المنفرجة":
صلوات الله على المهْديّ * * * الهادي الخلق إلى النّهج
(القصيدة المنفرجة، منشورة ضمن ذيول "دلائل الخيرات"، ص. ٢٠٧).

[١٠٥] – دلائل الخيرات، ص. ١٧١.

[١٠٦] – الشفا، ج. ١، ص. ٤٥٠. مطالع المسرات، ص. ١١٩. و بناء على ذلك، اعتبر كثير من العلمـــاء المسلمين اسم "مقيم السنة" من أسماء النبي – صلى الله عليه و سلم – (انظر مثلا: "الشفا"، ج.١، ص. ٤٥٥. "دلائل الخيرات"، ص. ٦٢).

وقال البوصيري: "وفي الزبور: يقول الله تعالى لداود – عليه السلام –: سيولد لك و لد أُدْعى له أبا، و يُدْعَى لي ابنا، فقال داود: اللهم ابعث جاعلَ السنة، كيما يعلم الناس أنـــه بشر"[١٠٧].

وقال محمد بن إدريس الدباغ في صلاته على النبي صلى الله عليه و آله و سلم: "اللـــهم صل على سيدنا محمد، و على آل سيدنا محمد، الذي بعثه الله لإقامة السنة و الحد"[١٠٨].

وتفيدنا مصادر الحديث، لدى الشيعة الإمامية، أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، كان السابق منهم يسمي اللاحق بـــ "القائم"، و هو من أسماء المهدي كما ذكرنا.

يقول ابن بابويه القمي: "فأول الغيبات غيبة إدريس النبي عليه السلام المشهورة، حتى آل الأمر بشيعته إلى أن تعذر عليهم القوت، و قتل الجبارُ مَنْ قتل منهم، و أفقر، و أخـــاف باقيتهم. ثم ظهر عليه السلام، فوعد شيعته بالفرج، و بقيام القائم من و لده، و هو نـــوح عليه السلام. ثم رفع الله عز و جل إدريس عليه السلام. فلم تزل الشيعة يتوقعون[١٠٩] قيام نوح عليه السلام، قرنا بعد قرن، و خلفا عن سلف، صابرين من الطواغيـــت[١١٠]، علـــى العذاب المهين، حتى ظهرت نبوة نوح عليه السلام"[١١١].

و مما رواه في ذلك أيضا، بسنده، "عن علي بن سالم، عن أبيه، قال: قـــال الـــصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: "لما حضرت نوحا عليه السلام الوفاة، دعا الشيعة، فقـــال لهم: "اعلموا أنه ستكون من بعدي غيبة، تظهر فيها الطواغيت، و أن الله عز و جل يفرج عنكم بالقائم من و لدي، اسمه "هود"، له سَمْت، و سكينة، و وقار، يشبهني في خَلْقي و

٣٩

---

[١٠٧] – المخرج و المردود على النصارى و اليهود، منشور ضمن "ديوان البوصيري"، تعليق أحمد حـــسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤١٦ / ١٩٩٥، ص. ١٣٩. و أورد ابن القيم هذا الخبر، مـــع اختلاف في بعض اللفظ، ثم علق عليه بقوله: "يريد: ابعث محمدا، حتى يعلم الناس، أن المسيح بـــشر، لـــيس إلها، و أنه ابن البشر، لا ابن خالق البشر. فبعث الله هادي الأمة، و كاشف الغمة، فبين للأمـــم حقيقـــة أمـــر المسيح، و أنه عبد كريم، و نبي مرسل، لا كما ادعته فيه النصارى، و لا كما رمته به اليهود" (هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى، "مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – ٢"، مؤسسة مكة للطباعـــة و الإعلام، ١٣٩٦، ص. ٧٢. و انظر أيضا "المخرج و المردود"، ص. ١٣٩).

[١٠٨] – مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٢٥ / ٢٠٠٥، ص. ٥٥.

[١٠٩] – في المطبوع: تتوقعون.

[١١٠] – خصيصة انتظار القائم (نوح)، مع التحلي بالصبر من الطواغيت، يعني أن انتظارهم، كان انتظارا إيجابيا جهاديا، لا انتظارا سلبيا استسلاميا.

[١١١] – كمال الدين و تمام النعمة، ج. ١، ص. ١٢٧.

خُلُقي، و سيهلك الله أعداءكم، عند ظهوره، بالريح". فلم يزالوا يترقبون هـودا عليـه السلام، و ينتظرون ظهوره، حتى طال عليهم الأمد، و قست قلوب أكثرهم. فأظهر اللهُ – تعالى ذكرُه – نبيَّه هودا عليه السلام، عند اليأس منهم، و تناهى البلاء بهـم، و أهلـك الأعداء بالريح العقيم، التي و صفها الله – تعالى ذكره –، فقال: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾[112]. ثم ظهرت الغيبة به، بعد ذلك، إلى أن ظهر صـالح عليـه السلام"[113].

وروى أيضا، بسنده، عن جعفر الصادق، أنه قال: "... و إنما مثل القائم عليه السلام مثل صالح"[114].

وبهذا الاعتبار، فإن نبينا محمدا صلى الله عليه و آله و سلم هو سيد المهـديين. و قـد نستفيد هذا المعنى من الصلاة، التي ذكرها الجزولي، في "دلائل الخيرات"، و هي: "فاجعل سيدنا محمدا في الأصدقين قيلا، و الأحسنين عملا، و في المهديين سبيلا"[115].

ولذا، فإن الألقاب، التي حازها المهدي، ما هي إلا حيازة بالتَّبَع، لأن الرسول الأكرم قد حازها بالأصالة.

ناهيك عن الاشتراك في الصفات، حتى إن الحكيم الترمذي و ضع مقابلة رائدة، بـين ختم النبوة، التي اختص بها النبي محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و بين ختم الولاية، التي اختص بها المهدي عليه السلام، لا بنحو التسوية، لكن بنحو العنوان المشير إلى استمداد و لاية المهدي لوظائفه، من خلال إدراكه للحقيقة المحمدية.

ومما قاله في ذلك: "أو ليس المهدي كائنا في آخر الزمان؟! فهو في الفترة يقوم بالعدل، فلا يعجز عنه. أو ليس كائن في الزمان من له ختم الولاية؟! و هو حجة الله على جميـع الأولياء يوم الموقف، كما أن محمدا صلى الله عليه و سلم آخر الأنبياء. فأعطي ختم النبوة،

---

[112] – سورة الذاريات، الآية ٤٢.

[113] – كمال الدين و تمام النعمة، ج. ١، ص. ١٣٥ – ١٣٦.

[114] – كمال الدين و تمام النعمة، ج. ١، ص. ١٣٧.

[115] – دلائل الخيرات، ص. ١٢٥. و قد فسر محمد المهدي الفاسي عبارة: "المهـديين سـبيلا" بقولـه: "والمراد: هداية صاحبها، أو سالكها" (مطالع المسرات، ص. ٣٩٩). و لا جرم أنه تفسير ضيق، لأنه صـلى الله عليه و آله و سلم كان هداية لنفسه و لغيره، فيكون مهديا بكل الاعتبارات. و لذا، ذكر الجزولي من أسمائه المائتين و واحد اسمَي: "الهادي" و "المُهْدِي" (دلائل الخيرات، ص. ٦٣).

فهو حجة الله تعالى على جميع الأنبياء. فكذلك هذا الولي، الذي هو آخر الأولياء، في آخر الزمان"[١١٦].

كما اصطفى الله تعالى النبي محمدا صلى الله عليه و آله و سلم، و اجتباه، لوظيفة الرسالة الخاتمة، فقد اصطفى المهدي، و اجتباه، لوظيفة الولاية الخاتمة، يقول الحكيم الترمذي: "حتى إذا انقرض عددهم[١١٧]، و أتى و قت زوال الدنيا، ابتعث الله و ليا، اصطفاه، و اجتباه، و قربه، و أدناه، و أعطاه ما أعطى الأولياء، و خصه بخاتم الولاية"[١١٨].

وسمى مصطفى بنُ كمال الدين الصديقي البكري المهديَّ بـ"ولده[١١٩] الختم"[١٢٠]، و "ختم البيت المحمدي الأحمد"[١٢١]، و "ختم أهل البيت"[١٢٢]، و "ختم البيت الطاهر"[١٢٣]، و "الختم قرة العين، و خليفة ممهد الخافقين"[١٢٤].

كما تكون له أيضا خصيصة الشفاعة،"فيكون حجة الله يوم القيامة، على سائر الأولياء"[١٢٥]، و هي أيضا من خصائص النبي محمد صلى الله عليه و آله.

ومما تميز به الحكيم الترمذي؛ أو كاد؛ عن أهل السنة – و هو من كبار علمائهم– أنه و افق الشيعة، في القول بعصمة المهدي، كما هو مفاد قوله: "فيوجد عنده بذلك الختم صدق الولاية، على سبيل ما و جد عند محمد صلى الله عليه و سلم، من صدق النبوة. فلم ينله العدو[١٢٦]، و لا و جدت النفس سبيلا إلى الأخذ بحظها من الولاية"[١٢٧].

---

[١١٦] – كتاب ختم الأولياء، تحقيق عثمان إسماعيل يحيى، منشورات بحوث و دراسات بإدارة معهد الآداب الشرقية في بيروت"، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٥، ص. ٤٣٦.

[١١٧] – أي: عدد الأربعين صديقا.

[١١٨] – كتاب ختم الأولياء، ص. ٣٤٤.

[١١٩] – الضمير يعود إلى محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

[١٢٠] – حزب الحماية و الاعتصام، الأوراق ٣٢ ب، ٤٠ ب، ٤٢ أ، ٥٠ ب.

[١٢١] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٣٧ ب.

[١٢٢] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٦ أ.

[١٢٣] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٨ ب.

[١٢٤] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٣٩ أ.

[١٢٥] – كتاب ختم الأولياء، ص. ٣٤٤.

[١٢٦] – أي: الشيطان.

[١٢٧] – كتاب ختم الأولياء، ص. ٣٤٤.

والرأي نفسه نجده عند مصطفى بن كمال الدين، حيث و صفه بقوله: "المطهـــر مـــن نجس الشرك، بيت التقديس"[١٢٨].

هذا، و قد اشترك النبي و المهدي، في كثير من الصفات الأخرى. فمن أسمائه صلى الله عليه و سلم "سيف الله"[١٢٩]، و "صاحب السيف"[١٣٠]. و هي أيضا من صفات المهدي[١٣١].

ومن أسمائه صلى الله عليه و سلم: "صاحب الحجة"[١٣٢]، و "حجة الله"[١٣٣]، و مما يُصَلَّى به عليه: "اللهم صل على صاحب الحجة"[١٣٤]. و من أسماء المهدي: "الحجة"[١٣٥] أيضا.

ومن صفاته صلى الله عليه و آله و سلم "الطاهر، المطهَّر"[١٣٦]. و وُصف المهدي بصفات من هذا القبيل، منها: "ختم البيت الطاهر"، "الطاهر في الزمان الآخر"، "الأطهر"، "المطهر من نجس الشرك"، "بيت التقديس"[١٣٧].

ومن أسمائه صلى الله عليه و سلم: "القيم"[١٣٨]، و هي صيغة أخرى للفظة "القائم"، فمما قاله سليمان الجمل في تفسير كلمة "القيم": "القائم بأمور الخلق، و مدبر العالم، في جميـــع أمورهم. و قيم الدار، هو الذي يُمَوِّن أهلها، و يقوم بـــشأنهم و مـــصالحهم، و يراعـــي احتياجهم إلى النفع و الدفع، فيوصل ذلك إليهم، على مقتضى النظر"[١٣٩].

وقد جاء في "دلائل الخيرات": "اللهم صل على المصطفى القائم"[١٤٠]، و جـــاء فيهـــا: "اللهم صل و سلم و بارك على سيدنا محمد [...] أفضل قائم بحقك"[١٤١]. و قـــال عبـــد السلام بن مشيش في "الصلاة المشيشية": "اللهم إنه سرك الجامع، الدال عليك، و حجابك

---

[١٢٨] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٨ أ.
[١٢٩] دلائل الخيرات، ص.٦٢.
[١٣٠] – دلائل الخيرات، ص. ٦٣.
[١٣١] – الإرشاد، ص. ٥١٨. علل الشرايع، ج. ١، ص. ٢٤٥، باب ١٧٩: علة الغيبة.
[١٣٢] – الشفا، ج. ١، ص. ٤٩٥. دلائل الخيرات، ص. ٦٣.
[١٣٣] – دلائل الخيرات، ص. ١٨٠.
[١٣٤] – دلائل الخيرات، ص. ٩٣.
[١٣٥] – الإرشاد، ص. ٥١٨.
[١٣٦] – دلائل الخيرات، ص. ١٠٩.
[١٣٧] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٨ أ.
[١٣٨] – الشفا، ج. ١، ص. ٤٤٩. دلائل الخيرات، ص. ٦٠.
[١٣٩] – المنح الإلهيات بشرح دلائل الخيرات، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحـــت رقم "١٣٦٢"، و رقة ٤٥ ب.
[١٤٠] – دلائل الخيرات، ص. ٩٦.
[١٤١] – دلائل الخيرات، ص. ١٠٧.

الأعظم، القائم لك، بين يديك"[١٤٢]. و وصفه محمد بن إدريس الدباغ بقوله: "القائم بأمر الله، في سره و نجواه"[١٤٣].

ومن معاني اسمه صلى الله عليه و آله و سلم "القيم": القائم بالعدل و الإنصاف، حيث جاء في صلوات الجزولي: "اللهم صل على سيدنا محمد أكرم الأسلاف، القائم بالعـدل و الإنصاف ..."[١٤٤].

وهذا منسجم مع علة تسمية المهدي بـــ "القائم"، فقد جاء في حديث رواه المفيـد، بسنده، عن أبي عبد الله: "... و سمي بالقائم، لقيامه بالحق"[١٤٥].

ومن أسمائه صلى الله عليه و سلم: "سيد"[١٤٦]، و وُصف بأنه "سيد الكـونين"[١٤٧]، و "سيد الأكوان"[١٤٨]، و "سيد و لد آدم على الإطلاق"[١٤٩]، و "السيد النبيل"[١٥٠]، و "سيد الأبرار"[١٥١]، و "سيد الأمة"[١٥٢]، و "سيد الثقلين"[١٥٣]، و "سيد أهل الدنيا و الآخرة"[١٥٤]، و "مقيم السنة"[١٥٥]، و "المصلح"[١٥٦]، و "الصالح"[١٥٧]، و "المهيمن"[١٥٨]، و "البشرى"[١٥٩]، و

[١٤٢] – الصلاة المشيشية، ص. ٢١٤.
[١٤٣] – مفتاح الأسرار، ص. ٣٩.
[١٤٤] – دلائل الخيرات، ص. ١٢١.
[١٤٥] – الإرشاد، ص. ٥٤١.
[١٤٦] – دلائل الخيرات، ص. ٦٠. قال صلى الله عليه و آله و سلم: "أنا سيد و لد آدم، و لا فخر ..." (رواه أحمد في "المسند"، و الترمذي، و ابن ماجه، عن أبي سعيد، و رمز إليه السيوطي بالحسن: الجامع الـصغير، ج. ١، ص. ١٦١، حديث ٢٦٩٣).
[١٤٧] – دلائل الخيرات، ص. ٦٤. حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٣٩ أ.
[١٤٨] – مفتاح الأسرار، ص. ٢٢.
[١٤٩] – مفتاح الأسرار، ص. ٢١.
[١٥٠] – دلائل الخيرات، ص. ١٨٥.
[١٥١] – دلائل الخيرات، ص. ١١٨، ١٨٧.
[١٥٢] – دلائل الخيرات، ص. ١١٥، ١١٧.
[١٥٣] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٠ أ.
[١٥٤] – مفتاح الأسرار، ص. ٢٥.
[١٥٥] – الشفا، ج. ١، ص. ٤٥٥، ٤٥٥. دلائل الخيرات، ص. ٦٢.
[١٥٦] – الشفا، ج. ١، ص. ٤٥٥. دلائل الخيرات، ص. ٦٢.
[١٥٧] – دلائل الخيرات، ص. ٦٢.
[١٥٨] – الشفا، ج. ١، ص. ٤٥٥، ٤٦٩. دلائل الخيرات، ص. ٦٢.
[١٥٩] – دلائل الخيرات، ص. ٦١.

"صاحب السلطان"[١٦٠]، و "صاحب البرهان"[١٦١]، و "البرهان"[١٦٢]، و "أوضحهم حجة"[١٦٣].

و وصف بأنه ذو "منطق عدل، و خطة فصل، و برهان عظيم"[١٦٤]، و "صاحب الفرج"[١٦٥]، و "غوث"، و "غيث"، و "غياث"[١٦٦]، و أنه "كاشف الغمة"، و "مجلي الظلمة"، و "مولي النعمة"[١٦٧]، إلخ.

ولا جرم أن مهدي آخر الزمان، سيتحلى بهذه الصفات، كما قررت ذلك الأخبار، و استفاضت بذكره الآثار، حيث تصفه بأنه، "سيد"، لأنه من و لد فاطمة، و أنه سيقيم السنة، و يكون صالحا، و يصلح الناس، و يهيمن على أهل البغي و الضلال، و يكون بشرى للمؤمنين، و مفرجا عنهم الكرب، و كاشفا عنهم الغم، و مجليا عنهم ظلمات الظلم و الجور، و منوِّرا سُدَفَ ظلمات الضلال، و سببا في و رود النعم على الخَلْق، فيغيثهم بالخير العميم و البركة، و يملك الأرض، و يكون ذا برهان لا يُدْحَض، إلخ.

وهذه الصفات هي؛ عند التحقيق؛ و ظائف ملقاة على كاهله، و موكلة إليه، من قِبَل رب العزة، على جهة التَّبَع، كما أنها موكلة إلى النبي محمد صلى الله عليه و سلم، على جهة الأصالة.

ولا جرم أن هذا التشابه من مصاديق الأخبار، التي تنص على أنه يشبه النبي صلى الله عليه و سلم في الخُلُق، و لا يشبهه في الخَلْق.

فلا غرو؛ إذن؛ أن يذكر مصطفى بن كمال الدين البكري صلوات على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، في و رد ليلة الثلاثاء، و اضعا إياها تحت عنوان يحيل إلى المهدي، و هو: "الإمدادات المهدية غياثا في و رد ليلة الثلاثاء"[١٦٨].

---

[١٦٠] – دلائل الخيرات، ص. ٦٣.
[١٦١] – الشفا، ج. ١، ص. ٤٥٥. دلائل الخيرات، ص. ٦٤.
[١٦٢] – الشفا، ج. ١، ص. ٤٥٥. حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٥١ ب.
[١٦٣] – مفتاح الأسرار، ص. ٤١.
[١٦٤] – دلائل الخيرات، ص. ٧٤.
[١٦٥] – دلائل الخيرات، ص. ٦٤.
[١٦٦] – دلائل الخيرات، ص. ٦١. حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٣ ب.
[١٦٧] – دلائل الخيرات، ص. ٩٢.
[١٦٨] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٠ ب.

و لعل هذا التأويل يسهم في درء التعارض الظاهر، بين الأحاديث المميِّزة، بين شخص المهدي و شخص المسيح من جهة، و الحديث الذي يعتبرهما شخصا و احدا من جهة أخرى، و هو قوله صلى الله عليه و آله و سلم: "لا مهدي، إلا المسيح ابن مريم"[١٦٩].

بل إن هذه الأسماء و الصفات، سِيقت في مقام أن يتخلق بها المسلم، و يعمل بمقتضاها، فيكون متبعا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و ممهدا لختم أهل بيته المهدي عليه السلام.

ومن نماذج ذلك، ان مصطفى بن كمال الدين البكري و صف رسول الله، بـ"الذي سماه القدوس السلام: غوثا، و غيثا، و غياثا"[١٧٠]، لكنه؛ مع ذلك؛ طلب من الله تعالى أن يجعله ممن اتصفوا بهذه الأسماء الثلاثة، فقال: "وأقمني راغبا بين يديك، لأكون غوثا لمن استغاث، و غيثا، و غياثا"[١٧١].

وعليه، فإن كل من قام بالوظيفة المُوكَلة بالمهدي المنتظر، فهو مهدي. و قد يدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا، و كانوا بآياتنا يوقنون﴾[١٧٢]، و قوله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[١٧٣]، و قوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى، فمالكم، كيف تحكمون﴾[١٧٤]، و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: "أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم، اهتديتم"[١٧٥].

بل إن من كان هذا شأنه، يستحق نوال الشركة، مع الرسول الأكرم و آل بيته الأطهار، في الصلاة عليه، ما دام نجما هاديا في ظلمات الضلال، و قوّالا للحق في أجواء الظلم و الجور، و قائما بالإصلاح في فترات الفتن و الهرج و المرج. و هذا هو المعنى الذي

---

[١٦٩] – رواه ابن ماجه و الحاكم. و انظر تعليقنا على هذا الحديث، و ما و رد فيه من ضعف و اضطراب، في "تذليل العقبات في طريق التقريب بين أهل السنة و الشيعة الإمامية" (ص. ٦١).

[١٧٠] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٣ ب.

[١٧١] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٣ أ.

[١٧٢] – سورة السجدة، الآية ٢٤.

[١٧٣] – سورة الأنعام، الآية ٩٠.

[١٧٤] – سورة يونس، الآية ٣٥.

[١٧٥] – قال إسماعيل العجلوني: "رواه البيهقي، و أسنده الديلمي، عن ابن عباس، بلفظ: "أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، بأيهم اقتديتم، اهتديتم" (كشف الخفاء و مزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١، ج. ١، ص. ١٣٢).

تؤديه صلاة الجزولي على النبي محمد، "وعلى آله، و أصحابه، و أتباعه، السالكين في منهجه القويم. فأعظم الله به منهاج نجوم الإسلام، و مصابيح الظلام، المهتدى بهم في ظلمة ليل الشك الداج، صلاة دائمة مستمرة، ما تلاطمت في الأبحر الأمواج"[١٧٦].

الملامح المهدوية في الصلوات النبوية

لا جرم أن ظهور المهدي، في آخر الزمان، كان مثار استلهام الكثير من الصوفية، الذين سجلوا حضورا بارزا للمهدي في صلواتهم، فمما قاله مصطفى بن كمال الدين الصديقي البكري: "وارض اللهم عن ختم البيت المحمدي الأحمد، محمد المهدي، السذي و جهه كالكوكب الدري يتوقد، المتخلق بأخلاق جَده، في جِده و هزله، و المتحقق في نفسه، بفتح أغلاق ما لها أحد يحد، و عن و زيره الأكبر الممجد، الذي به ثواب الدين يتجدد، ممهد الأرضين، و أنعم به من عارف للقاصر عصر، و للعامر غصر، ببره و ما مدد، سيد من كل البحور يمتد، و من حظائر النور يمد ما به يعد، و اجد و جد ما طلب، من موجده و جد"[١٧٧].

وقال: "وصل اللهم و سلم على سيدنا و مولانا محمد، الذي جاءنا حبه إنعامات حاكت أمطار أول السنة إحداثا، صلاة هامية، نامية، تُمدم من العطايا تراثا، و على آله، و أصحابه، و أتباعه، و أحزابه، ما فهم عارف قدره، مكين سرّ غطّ الأمين للنور المبين ثلاثا، و على و لده الختم، الذي جعله الله للمقربات محراثا، ما أضحى جيوشه المنصورة، و راياته المنشورة بعاثا، و الحمد لله رب العالمين، ما أمسى للعلوم في الفهوم ثباتا"[١٧٨].

وقال: "اللهم بمدد ختم البيت الطاهر، الظاهر في الزمان الأخر، حاوي المآثر، و المحامد، و المفاخر، محمد المهدي، التقي، النقي، البحر الزاخر، المشبه خُلُق جده، لا خَلْقه. فهو أحلى الوجه، أقنى الأنف، ضخم الكراديس. و أسعدني بالممهد، المهدي، الأطهر، الوزير، الأكبر، الأفخر، المطهر من نجس الشرك، بيت التقديس"[١٧٩].

---

[١٧٦] – دلائل الخيرات، ص. ١٠٩ – ١١٠.
[١٧٧] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٣٧ ب.
[١٧٨] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٢ أ.
[١٧٩] – حزب الحماية و الاعتصام، و رقة ٤٨ أ.

كما ارتبط ظهوره بعلامات و آيات تؤذن بقرب فناء الدنيا. و من هنا، صاغ الكثير من الصوفية صلواتهم النبوية بآيات فناء العالم الدنيوي، مع و جوب الأخذ بعين الاعتبار الحضور العميق للعقيدة المهدوية في الفكر الصوفي.

وقد جاء في إحدى الصلوات النبوية[180] تقرير هذا الربط بوضوح: "... صل و سلم على سيدنا النبي القرشي، صل و سلم على سيدنا مع الشمس إذا كورت، صل و سلم على سيدنا مع النجوم إذا انكدرت، صل و سلم على سيدنا مع الجبال إذا سيرت، صل و سلم على سيدنا مع العشار إذا عطلت، صل و سلم على سيدنا مع الوحوش إذا حشرت، صل و سلم على سيدنا مع البحار إذا سجرت، صل و سلم على سيدنا مع النفوس إذا زوجت، صل و سلم على سيدنا مع الموؤودة إذا سئلت، صل و سلم على سيدنا مع الصحف إذا نشرت، صل و سلم على سيدنا مع السماء إذا كشطت، صل و سلم على سيدنا مع الجحيم إذا سعرت، صل و سلم على سيدنا مع الجنة إذا أزلفت، صل و سلم على سيدنا مع السماء إذا انفطرت، صل و سلم على سيدنا مع الكواكب إذا انتشرت، صل و سلم على سيدنا مع البحار إذا فجرت، صل و سلم على سيدنا مع القبور إذا بعثرت ...".[181]

وذُكِر في آخر هذه الصلاة، ما يشير أيضا إلى بعض علامات ظهور المهدي، و هو انتشار الهرج و المرج، و الإغراق في ارتكاب المعاصي، و الضيق الاقتصادي، و انعدام الأمن، فقد جاء فيها: "... و تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، و أحسن خلاص المسجونين، و فك أسر المأسورين، و تب على العصاة من المذنبين، و أوف الدَّيْن على المدينين، و اكتب السلامة و العافية علينا، و على الحجاج، و الغزاة، و المسافرين ...".[182]

تدل هذه القبيسة على مدى الترابط العميق بين الصلاة على سيد المهديين محمد صلى الله عليه و آله و سلم و مهدي آخر الزمان. و هذا يدل أيضا على أن العقيدة المهدوية لا تكتسب مصداقيتها، إلا إذا تحولت إلى حوافز إيمانية تربط الخالق بالمخلوق، و

---

[180] – صلوات نبوية لمؤلف غير مذكور، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم ١٠٧٣٨، ضمن مجموع، من و رقة ٣ أ إلى ٥ أ.

[181] – صلوات نبوية، المخطوط المذكور سابقا، الورقة ٣ ب.

[182] – صلوات نبوية، المخطوط المذكور سابقا، الورقة ٤ ب.

تحرك فيه عوامل الرفض للواقع المختل، ثم التوكل على الله تعالى من أجل الإسهام في تغييره.

وبذلك، ندرك سر ربط بعض الأولياء بين الصلاة على الرسول الأكرم و طلب الفرج، فمما قاله محمد بن إدريس الدباغ في صلواته: "اللهم صل على سيدنا محمد، و على آل سيدنا محمد، صلاة عبد ينتظر الفرج"[١٨٣].

وهذا ما نلمسه أيضا في الدعاء المروي في كتب إخواننا الشيعة، و المعروف بـ "دعاء إمام العصر"، و هذا نصه:

من مقاصد "دعاء إمام العصر"

"اللهم ارزقنا توفيق الطاعة، و بُعد المعصية، و صدق النية، و عرفان الحرمة. و أكرمنا بالهدى و الاستقامة، و سدد ألسنتنا بالصواب و الحكمة، و املأ قلوبنا بالعلم و المعرفة، و طهر بطوننا من الحرام و الشبهة، و اكفف أيدينا عن الظلم و السرقة، و اغضض أبصارنا عن الفجور و الخيانة، و اسْدُد أسماعنا عن اللغو و الغيبة، و تفضل على علمائنا بالزهد و النصيحة، و على المتعلمين بالجهد و الرغبة، و على المستمعين بالاتباع و الموعظة، و على مرضى المسلمين بالشفاء و الراحة، و على موتاهم بالرأفة و الرحمة، و على مشايخنا بالوقار و السكينة، و على الشباب بالإنابة و التوبة، و على النساء بالحياء و العفة، و على الأغنياء بالتواضع و السعة، و على الفقراء بالصبر و القناعة، و على الغزاة بالنصر و الغلبة، و على الأسراء بالخلاص و الراحة، و على الأمراء بالعدل و الشفقة، و على الرعية بالإنصاف و حسن السيرة، و بارك للحجاج و الزوار في الزاد و النفقة، و اقض ما أوجبت عليهم من الحج و العمرة، بفضلك، و رحمتك، يا أرحم الراحمين"[١٨٤].

لا شك أن الدعاء تفويض لله تعالى، و تعلق بإرادته، و تسليم لمشيئته. فهو — كما يقول ولي الله الدهلوي —"يفتح بابا عظيما من المحاضرة، و يجعل الانقياد التام و الاحتياج إلى

---

[١٨٣] – مفتاح الأسرار، ص. ٥٨.

[١٨٤] – دعاء إمام العصر، منشور مع "دعاء كميل"، منشورات أنصاريان، قم، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣، ص. ٤٨ – ٥٢.

رب العالمين، في جميع الحالات، بين عينيه، و هو قوله صلى الله عليه و سلم: "الدعاء مخ العبادة"[١٨٥]، و هو شبح توجه النفس إلى المبدإ، بصفة الطلب، الذي هو السر، في جلب الشيء المدعو إليه"[١٨٦].

وهذا هو مؤدى قول ابن عطاء الله السكندري: "لا يكن طلبك تسببا للعطاء منه، فيقل فهمك عنه، و ليكن طلبك، لإظهار العبودية، و قياما بحقوق الربوبية"[١٨٧].

وهذا يقدم لنا صورة عن المقصد الأساس من الدعاء، و هو تحقيق العبودية لله تعالى.

وتتفرع عن هذا المقصد مقاصد أخرى، أهمها:

رجاء قضاء الحاجة؛

الرغبة في جلب الخير و درء الشر؛

تهذيب النفس و تزكيتها.

بيد أن الدعاء، ما كان ليحوي هذه المقاصد، إلا إذا كان في مقام العمل. بل إن التعبد بالدعاء مستلزم للتعبد بالعمل بمقتضاه. فقد روى ابن أبي الدنيا، بسنده، "عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن أحب عباد الله إلى الله عز و جل، من حبب إليه المعروف، و حبب إليه أفعاله"[١٨٨]. و لا جرم أن الدعاء من أسمى تجليات المعروف. و قد نص القرآن الكريم على تمام الجمع بين الكلم الطيب – و منه الدعاء –، و بين العمل الصالح[١٨٩].

ومتى كان الدعاء مجردا عن البُعْد العملي، كان تسويغا للعجز، و إتباعا للنفس هواها، و تمنيا على الله الأماني.

---

[١٨٥] – رواه الترمذي، عن أنس، و رمز إليه السيوطي بالضعف (الجامع الصغير، ج. ٢، ص. ٢٥٩، حديث ٤٢٥٦).

[١٨٦] – حجة الله البالغة، تعليق محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط. ١، ١٤١٠ / ١٩٩٠، ج. ١، ص. ٢٢٤.

[١٨٧] – الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، منشور في آخر كتاب "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" لابن عجيبة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط. ١، ١٤١٩ / ١٩٩٩، ص. ٦٤٢ – ٦٤٣. المنهج الأتم في تبويب الحكم للمتقي الهندي، اعتناء حسن السماحي سويدان، دار القادري، دمشق – بيروت، ط. ١، ١٤١٨ / ١٩٩٨، ص. ٦٩.

[١٨٨] – قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا، تحقيق سعيد اللحام، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط. ١، ١٩٩٢، ص. ١٢.

[١٨٩] – يقول الله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب، و العمل الصالح يرفعه﴾ (سورة فاطر، الآية ١٠).

وإذا كانت "الأمور بأسبابها و شروطها"، كما يقرر الفقهاء و الأصوليون، فمن أهم شروط الدعاء، أن يحفز على العمل، و تتجسد معانيه في أرض الواقع.

إن الدعاء يستلزم تحمل المسؤولية، و الشعور بالواجب، عن طريق التدبر في معانيه، و تحويلها إلى مصاديق و اقعية، و تفعيلها بتقصي المغزى العملي فيها.

فالدعاء لا يغني عن العمل، و لا يسد مَسَدَّه، بل هما و جهان لعملة و احدة، إذ كلاهما يعتبر و سيلة للآخر، و مقصدا له. يقول ابن عطاء الله السكندري: "خير ما تطلبه منه، ما هو طالبه منك"[١٩٠]. فالطلب في الدعاء رهين بالتزام ما يطلبه الله تعالى من الداعي، و هو العمل بمقتضى هذا المطلوب، "وهو الطاعة و الاستقامة"[١٩١]، و بعبارة أخرى: "امتثال أمره، و اجتناب نهيه، و الإكثار من ذكره، و الاستسلام لقهره"[١٩٢].

فإذا نظرنا في "دعاء إمام العصر"، مستحضرين التأثير العملي في الداعي به، و منتبهين إلى مقاصده، نستطيع أن نؤكد ما أقررناه سابقا، و هو أن انتظار المهدي، لا و زن له، إلا بتمثل صفاته، و الاجتهاد في القيام بوظائفه.

فمن العبث أن نعتبر هذا الدعاء حُفظ في الكتب بقصد التبرك و حسب، و التقاعس عن و اجب الشعور بالمسؤولية، و كما قال ابن عطاء الله السكندري: "الرجاء: ما قارنه عمل، و إلا فهو أمنية"[١٩٣].

إن ألفاظ "دعاء إمام العصر"، تلوح منها مقاصد جمة، تجعل الانتظار انتظارا جهاديا، بل انتظارا من مصاديق "الجهاد الأكبر"، أعني: "جهاد النفس"، المتضمن ضرورة لـ "الجهاد الأكبر"، أعني: "جهاد العدو".

ومن هذه المقاصد: التأمل في النفس و أحوالها، و صرف العقل و القلب إلى النظر في الذات، و مدى عملها بمقتضى الطاعة و الاستقامة، كما هو منطوق بداية الدعاء: "اللهم ارزقنا توفيق الطاعة، و بُعْدَ المعصية، و صدق النية، و عرفان الحرمة، و أكرمنا بالهدى و الاستقامة".

---

[١٩٠] – الحكم العطائية، ص. ٦٤٠. المنهج الأتم، ص. ٦٩.
[١٩١] – إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص. ١٧٤.
[١٩٢] – إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص. ١٧٣.
[١٩٣] – الحكم العطائية، ص. ٦٤٠. المنهج الأتم، ص. ٦٥.

ومنها: تطهير القلب، و تزكية النفس، و تقويم الجوارح، و اتقاء الحرام، و التحذير من آفات اللسان، و البطن، و الفرج، و طلب الحكمة و المعرفة: "وسدد ألسنتنا بالصواب و الحكمة، و املأ قلوبنا بالعلم و المعرفة، و طهر بطوننا من الحرام و الشبهة". و يلوح من ذلك أيضا مقصد لطيف شريف، و هو أن العلم النافع هو ما ثبت أثره الباطني في القلب، و ظهر أثره الظاهري في الجوارح، بربطه بالطاعة و الاستقامة. و قد قرره الدعاء، إذ جاء فيه أيضا: "وتفضل على علمائنا بالزهد و النصيحة، و على المتعلمين بالجهد و الرغبة، و على المستمعين بالاتباع و الموعظة".

ومنها: ملء الأرض عدلا و حقا، و درء ما فيها مما كان ظلما و جورا: "واكفف أيدنا عن الظلم"، "وتفضل على [...] الأمراء بالعدل و الشفقة، و على الرعية بالإنصاف و حسن السيرة".

ومنها: إصلاح المجتمع، بنشر العفة و الفضيلة، بين كل شرائحه، من شباب و نساء و شيوخ: "وتفضل على [...] مشايخنا بالوقار و السكينة، و على الشباب بالإنابة و التوبة، و على النساء بالحياء و العفة".

ومنها: حفظ نفوس المسلمين. و لا جرم أن حفظ النفس من الضروريات الخمس، و أولاها بالاعتبار، في كل الشرائع: "وتفضل على [...] مرضى المسلمين بالشفاء و الراحة".

ومنها: حفظ الدين، و هو من الضروريات الخمس أيضا، و أولاها بالاعتبار: "وتفضل على [...] الغزاة بالنصر و الغلبة، و على الأسراء بالخلاص و الراحة".

ومنها: مراعاة حرمة المسلم، و لو كان ميتا: "وتفضل على [...] موتاهم بالرأفة و الرحمة".

ومنها: حفظ كيان الأمة من الاختلال، و الحرص على توازنه، و استقراره، فلا يطغى غني على فقير، و لا يحقد فقير على غني: "وتفضل على [...] الأغنياء بالتواضع و السعة، و على الفقراء بالصبر و القناعة".

ومنها: تحقيق الأمن من الخوف و الجوع: "وبارك للحجاج و الزوار في الزاد و النفقة، و اقض ما أوجبت عليهم من الحج و العمرة".

ومنها: تحقيق الوحدة الإسلامية، و تمتين الشعور بالانتماء، كما يدل عليه ضمير الجمع المستعمَل في الدعاء برمته، مما يعني أن الدعاء يشمل المسلمين كافة، بغض النظر عن انتمائهم المذهبي أو الطائفي.

علاوة على المقاصد التوحيدية[١٩٤]، الحاضرة في "دعاء إمام العصر"، إذ كله رجاء من الله تعالى، أن يبعد عن المسلمين كُرَب المعاصي، و الظلم، و الفجور، و الخوف، إلخ. و قد ذكر العلماء أن "الدعاء المفرج للكرب محض التوحيد"[١٩٥].

فإذا تفاعلنا تفاعلا إيجابيا مع "دعاء إمام العصر"، كان لمقاصده حضور في القلب، و ظهور في مقام العمل. فيكون محفزا للداعي به أن يتحلى بما فيه، من و اجبات و أخلاق، و يجتهد في القيام بالوظائف الدينية و الدنيوية التي يتضمنها. أما إذا تلوناه لمحض التبرك، و اكتفينا بطلب الحصول على ما فيه من نِعَم، منتظرين انتظار المتقاعسين ظهور المهدي، لنوال المطلوب، و الظفر بالمرغوب، فحتما سيُفرَغ الدعاء من محتواه الحقيقي، و تَغْرُبُ عن الداعي مقاصده، فلا يكون له تأثير البتّة.

علة ادعاء بعض المصلحين للمهدوية

٥٢

من هذا المنطلق، فإن ادعاء الكثير من المصلحين للمهدوية، لم يكن من قبيل الادعاء الكاذب، و إنما كان تمثلا لشخصية المهدي، من خلال الاضطلاع العملي بوظائفه، و تحويلها إلى مشاريع عمل سياسية، و اجتماعية، و دينية. بل تحوّل هذا الادعاء، في الكثير من الأحيان، إلى مصدر لإنجاح الثورات على الأنظمة الاستبدادية، و لتغيير الواقع الفاسد إلى و اقع سليم.

وقد تمثل لذلك بأحد كبار المصلحين، الذين ادعوا المهدوية، و هو محمد بن تومرت، الذي أتى على الدولة المرابطية، بعد انحطاطها و تخلفها، و سعى إلى إقامة الدولة الموحدية على أنقاضها.

---

[١٩٤] – أي: المتعلقة بتوحيد الله عز و جل.

[١٩٥] – شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل لابن قيم الجوزية، تحقيق عصام فارس الحرستاني، دار الجيل، بيروت، ط. ١، ١٤١٧ / ١٩٩٧، ص. ٦٧٨.

يقول عبد الواحد المراكشي، لدى كلامه على محمد بن تومرت: "وقيـــل: إنـــه لقـــي أباحامد الغزالي بالشام، أيام تزهده، فالله أعلم. و حكي أنه ذكر للغزالي ما فعـــل أمـــير المسلمين[١٩٦] بكتبه، التي و صلت إلى المغرب، من إحراقها و إفسادها، و ابـــن تـــومرت حاضر ذلك المجلس، فقال الغزالي، حين بلغه ذلك: "ليذهبن عن قليل ملكه، و ليقـــتلن و لده، و ما أحسب المتولي لذلك، إلا حاضرا بمجلسنا"، و كان ابن تومرت يحـــدث نفـــسه بالقيام عليهم، فقوي طمعه"[١٩٧].

ونجد لهذه الحكاية مصداقا فيما قاله أبو حامد الغزالي، في كتابه "سر العالمين و كشف ما في الدارين": "فأول من استحسنه[١٩٨]، و قرأه علي، في النوبة الثانية، بعد رجوعي مـــن السفر، رجل من أرض المغرب، يقال له: "محمد بن تومرت"، من أهل سلمية. و توسمـــت منه الملك"[١٩٩].

ولا جرم أن الإمام الغزالي، عندما توسم منه الملك، فإنه قصد بذلك المُلْك العادل، الذي يهدف إلى إقامة الخلافة على منهاج النبوة. و الحاكم، و فق هذا المنهاج، يـــشترط فيـــه شروط، يمكن أن نجملها في القدرة على الوظائف التي سيقوم بها المهدي آخر الزمان.

لقد توسم الإمام الغزالي في محمد بن تومرت الرجل المجسد للمهدوية في بُعْدَيْها اللغوي و الوظيفي.

يمكن أن نستنتج ذلك، من خلال العنوان التوحيدي، الذي بنى عليـــه ابـــن تـــومرت مشروع دولته، مما يحيلنا إلى المقصد الأساس، الذي يجيء من أجله المهدي، و هو أن يعيد للتوحيد صفاءه، و يقضي على مظاهر الشرك.

لكن، هل ادعى محمد بن تومرت المهدوية حقا؟

---

[١٩٦] – يقصد: السلطان علي بن يوسف المرابطي.

[١٩٧] – المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، مطبعة الثقافة، سلا (المغرب)، ١٣٥٧ / ١٩٣٨، ص. ١٠٧. و انظر أيضا "النبوغ المغربي" لعبد الله كنون، دار الثقافـــة، ١٣٨٠ / ١٩٦٠، ج. ١، ص. ٩٩.

[١٩٨] – الضمير يعود إلى كتاب "سر العالمين و كشف ما في الدارين".

[١٩٩] – سر العالمين و كشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي، المجموعة السادسة من رســـائل الإمـــام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٠٩ / ١٩٨٨، ص. ٣.

ممن نسب إليه ذلك، عبد الواحد المراكشي، فقد قال، في كتابه "المعجب": "وأمر رجالا منهم، مَن استصلح عقولهم بنصب الدعوة، و استمالة رؤوس القبائل، و جعل يذكر المهدي، و يشوق إليه، و جمع الأحاديث، التي جاءت فيه، من المصنفات. و لما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي، و نسبه، و نعته، ادعى ذلك لنفسه، و قال: "أنا محمد بن عبد الله"، و رفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه و سلم، و صرح بدعوى العصمة لنفسه، و أنه المهدي المعصوم، و روى في ذلك أحاديث كثيرة، حتى استقر عندهم، أنه المهدي. و بسط يده، فبايعوه على ذلك، و قال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم"[٢٠٠].

بيد أن هذه الدعوى فيها نظر، حيث لا يخلو هذا الخبر من تناقضات، منها:

– لا جرم أن أحاديث المهدي، التي كان يشوق بها محمدُ بنُ تومرت أصحابَه، فيها أن المهدي المنتظر اسمه محمد بن عبد الله[٢٠١]، و كنية الرجل "ابن تومرت"، لا "ابن عبد الله"؛

– تفيد الأخبار الإمامية، أن المهدي المنتظر، سيكون حسيني النسب[٢٠٢]، و الحال أن ابن تومرت حسني النسب[٢٠٣]، كما صرح بذلك هو نفسه: "ومحمد بن تومرت نسبة متصلة

٥٤

[٢٠٠] – المعجب، ص. ١١٢.

[٢٠١] – روى أبو داود، بسنده، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه و سلم: "لو لم يبق من الدنيا، إلا يوم [...] لطول ذلك اليوم [...] حتى يبْعث فيه رجل مني – أو من أهل بيتي –، يواطئ اسمه اسمي، و اسم أبيه اسم أبي [...] يملأ الأرض قسطا و عدلا، كما ملئت ظلما و جورا" (سنن أبي داود، ج. ٤، ص. ٤٧٢ – ٤٧٣، حديث ٤٢٨٢. و انظر أيضا "الجامع الصغير"، ج. ٢، ص. ٤٥٩، حديث ٧٤٩٠). و جاء في حديث سفيان الثوري: "لا تذهب – أو لا تنقضي – الدنيا، حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي" (سنن أبي داود، ج. ٤، ص. ٤٧٣، حديث ٤٢٨٢).

[٢٠٢] – من ذلك، الخبر الذي رواه ابن بابويه القمي، بسنده، عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق: "... قال المفضل: فقلت: يا ابن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عز و جل: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ [سورة الزخرف، الآية ٢٧]، قال: يعني بذلك الإمامة، جعلها الله تعالى في عقب الحسين، إلى يوم القيامة، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله، فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين، دون ولد الحسن عليهما السلام، و هما جميعا ولدا رسول الله صلى الله عليه و آله، و سبطاه، و سيدا شباب أهل الجنة؟، فقال عليه السلام: إن موسى و هارون، كانا نبيين و رسولين و أخوين، فجعل الله عز و جل النبوة في صلب هارون، دون صلب موسى عليه السلام، و لم يكن لأحد أن يقول: لم فعل الله ذلك؟، و إن الإمامة خلافة الله عز و جل في أرضه، و ليس لأحد أن يقول: لم جعل الله في صلب الحسين، دون صلب الحسن عليهما السلام، إن الله تبارك و تعالى هو الحكيم في أفعاله: ﴿لا يسأل عما يفعل، و هم يسألون﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٢٣]" (كمال الدين و تمام النعمة، ج. ٢، ص. ٣٥٩). و انظر تفصيل ذلك في "علل الشرايع"، ج. ١، ص. ٢٠٥ – ٢١٠، باب ١٥٦: العلة التي من أجلها صارت الإمامة في الحسين دون الحسن.

[٢٠٣] – أنكر ابن خلدون النسب الشريف لمحمد بن تومرت، كما هو مؤدى قوله: "ولا تجعل من هذا الباب إلحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية، فإن المهدي لم يكن من منبت الرئاسة في هرثمة قومه، و إنما رأس عليهم، بعد اشتهاره بالعلم، و الدين، و دخول قبائل المصامدة في دعوته، و كان مع ذلك من أهل المنابت

بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، و جدت بخطه"[٢٠٤]. و هذا يتناقض مع ما نسبه إليه، من أنه "كان يبطن شيئا من التشيع"[٢٠٥]؛

– أخبار المهدي، تفيد أنه سيصلي بعيسى[٢٠٦]. و محمد بن تومرت لم يدَّع ذلك، بل كان يقول لأتباعه: "وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس و الروم، و يقتل الدجال، و منكم الأمير، الذي يصلي بعيسى بن مريم، و لا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة"[٢٠٧]. فلو كان الأمر كما زعم عبد الواحد المراكشي، لادعى لنفسه، أنه هو الذي سيصلي بعيسى؛

– نسب محمد بن تومرت إلى أتباعه قتل الدجال في المستقبل، و لم ينسب ذلك لنفسه، و لم يدع أنه سيقتله في زمنه. و معلوم أن الأخبار تقرر أن المهدي سيكون ردءاً لعيسى بن مريم في قتل الدجال؛

– يقول محمد بن تومرت، في رسالته الموسومة بـ "الرسالة المنظمة"، لدى كلامه على فساد و ضلال المرابطين: "فلولا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، عيَّن الدجال بصفته، لقلنا: "إن هذا هو الدجال، و هؤلاء أتباعه"[٢٠٨].

المتوسطة فيهم" (مقدمة ابن خلدون، ص. ١٣٣). و ممن أنكره أيضا أبو العباس الونشريسي، فقد جاء في "معياره"، "أن المهدي المعلوم حقيد رسول الله صلى الله عليه و سلم، من ولد فاطمة، و ابن تومرت ليس كذلك" (المعيار المعرب، ج. ٢، ص. ٤٥٥). و اكتفى عبد الله كنون بتأكيد نسبه إلى آل البيت، دو تعيين (النبوغ المغربي، ج. ١، ص. ٩٩).

[٢٠٤] – المعجب، ص. ٢٠٧.

[٢٠٥] – المعجب، ص. ١١٢. لكن توجد أخبار سنية تفيد أن المهدي حسني النسب، منها الخبر الذي ذكرناه آنفا "عن أبي إسحاق السبيعي قال: قال علي؛ و نظر إلى ابنه الحسن: إن ابني هذا سيد، كما سماه رسول الله صلى الله عليه و سلم، سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق، و لا يشبهه في الخلق، يملأ الأرض عدلا". و علق تقي الدين بن تيمية على هذا الحديث بقوله: "وقول أمير المؤمنين صريح في أنه حسني، لا حسيني" (حقوق آل البيت، ص. ٥٣).

[٢٠٦] – نزول عيسى بن مريم آخر الزمان لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٠٥ / ١٩٨٥، ص. ٥٦ – ٥٨، فصل "ثبوت صلاة عيسى خلف المهدي". و جاء في حديث رواه ابن بابويه القمي، بسنده، عن الصادق، أنه قال: "... ثم يظهره الله عز و جل، فيفتح الله على يده مشارق الأرض و مغاربها، و ينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام، و يصلي خلفه، و تشرق الأرض بنور ربها، و لا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عز و جل، إلا عبد الله فيها، و يكون الدين كله لله و لو كره المشركون" (كمال الدين و تمام النعمة، ج. ٢، ص. ٣٤٦).

[٢٠٧] – المعجب، ص. ١١٢ – ١١٣.

[٢٠٨] – رسائل موحدية، تحقيق و دراسة أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة نصوص و وثائق – رقم ٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. ١، ١٤١٦ / ١٩٩٥، ص. ٤٨.

وهذا دليل على أنه كان يعتقد أن الدجال لم يظهر بعدُ، و الحال أن الأخبار تفيد أن ظهور الدجال سابق لظهور المهدي. كما أن ابن تومرت اعتبر أفضل جهاد يقوم به هو محاربة الدولة المرابطية[٢٠٩]، و لم يدع محاربة الدجال، و لا حاربها بوصفها هي الدجال، بعينه أو صفته.

– نسب المؤرخون إلى محمد بن تومرت الكثير من الشعوذة و الخزعبلات، مما هو منه براء، و لا يماري في بطلانه المؤرخ البصير المحقق. فبعد أن أشاد عبد الله كنون بمناقبه، و فضائله، و زهده ، و ورعه، و يده البيضاء على الإسلام و المسلمين، قال: "وبذلك، تعلم أنه فوق ما تُقوّل عليه، و رُمي به، من التلبيس، و الشعوذة، و عظائم[٢١٠] الأمور"[٢١١].

و عليه، فلا نستبعد أن تكون دعوى ادعائه العصمة، و أنه المهدي ذاته، الموعود في الأخبار، من قبيل ما تُقوّل عليه، و رُمي به، أيضا. و القول ببطلان هذا دون ذاك، ترجيح بدون مرجح.

– لو ادعى محمد بن تومرت المهدوية المعصومة، لكانت عقيدته مدخولة، بل فاسدة، و لما نالت عقيدته التي صنفها قبولا طار في الآفاق، و أثنى عليها العلماء و الأولياء في المشارق و المغارب. فقد قال محمد بن يوسف السنوسي في مقدمة شرحه عليها: "اجتمعت الأئمة على صحة هذه العقيدة لا غير، و أنها مرشدة رشيدة، و لم يترك المهدي أحسن منها و سيلة. نفعه الله؛ و إيانا؛ بعقد عقيدتها الجميلة"[٢١٢].

– كان عبد الواحد المراكشي أديبا، قبل أن يكون مؤرخا. و لهذا، تضمن كتابه التاريخي "المعجب" أخطاء و أوهاما. و لا نستبعد أن يكون ما ادعاه في حق محمد بن تومرت من جملة أوهامه و أخطائه.

---

[٢٠٩] – يقول محمد بن تومرت امرا اتباعه بجهاد المرابطين (الملثمين): "واعلموا؛ و فقكم الله؛ أن جهادهم فرض على الأعيان، على كل من فيه طاقة على القتال. و اجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين، فجهادهم أعظم من جهاد الروم، و سائر الكفرة، بأضعاف كثيرة" (كتاب أخبار المهدي لأبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق، تحقيق لافي بروفنسال، المكتبة الاستشراقية، باريز، ١٩٢٨، ص. ٩).

[٢١٠] – في المطبوع: و عضائله.

[٢١١] – النبوغ المغربي، ج. ١، ص. ١٠٠.

[٢١٢] – شرح عقيدة المهدي بن تومرت، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم "١٠٨٨٠"، و رقة ٣ ب.

بيد أننا عندما نقرأ أخلاق محمد بن تومرت، و دعوته الإصلاحية، و ثورته على الظلم و الفساد، و أمره بالمعروف، و نهيه عن المنكر، نستشف؛ من خلالها؛ أنه كان يقدم نفسه نائبا عن الإمام المهدي، و ممهدا له طريق الظهور، لا أنه ادعى المهدوية.

ويلحق بهذا أيضا، إبطال دعوى أنه ادعى العصمة.

ولو سلمنا أنه صرح بأنه المهدي المنتظر، فليس هناك أي مانع من أن ندعي أنه من قبيل إطلاق المسبَّب و إرادة السبب، أعني إرادة أنه، بتمثّله لوظائف المهدي المنتظر، سيكون سببا في التعجيل بظهوره. و لا مانع أيضا من أن ندعي أنه من قبيل التَّسَمّي باسم المبشَّر به، و استعارة المنتظِر (بكسر الظاء) لاسم المنتظَر (بفتح الظاء). و هذا جائز في المجال التداولي العربي، و مستفيض في كلام العرب. و منه، أن أول منْ جاء بدين الإسلام، هو محمد صلى الله عليه و آله، لكن هذا لم يمنع من تسمية الأنبياء و أتباعهم من الموحدين قبله بالمسلمين، حيث تلقبوا بلقب النبي الذي كانوا يبشرون به.

أما ما نقلناه من "المعجب"، بأنه كان يبشر أتباعه، بأن الله سيفتح لهم ملك فارس و الروم، و أن الأمر لا يزال فيهم إلى قيام الساعة، فهو لا يزيد عن كونه تذكيرا بالبشرى النبوية لأهل المغرب، حيث قال النبي صلى الله عليه و آله: "لا يزال أهل الغرب، ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة"[٢١٣]. و قد ذكر عبد الواحد المراكشي، أن ابن تومرت كان يذكّر أتباعه بهذا الحديث النبوي[٢١٤]. ٥٧

لكن، قد يقال: إن ابن تومرت صرح تصريحا بادعاء المهدوية، حيث أمر أعداءه من المرابطين، بأن لا يكف عن قتالهم، إلا بعد إقرارهم بالمهدي المعصوم، فقد قال عبد الواحد المراكشي: "ولما كانت سنة ٥١٧، جهز جيشا عظيما من المصامدة، جلهم من أهل تينمل، مع من انضاف إليهم من أهل سوس، و قال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين، المبدلين،

---

[٢١٣] – رواه مسلم، بسنده، عن سعد بن أبي و قاص، مرفوعا (صحيح مسلم، ج. ٣، ص. ١٥٢٥، حديث ١٩٢٥. و بهذا اللفظ أيضا ذكره محمد بن تومرت، في كتابه "أعز ما يطلب" (د. ت.، ص. ٣٦٩، باب في أن الطائفة التي تقاتل على الحق في آخر الزمان في المغرب). بيد أن عبد الواحد المراكشي ذكره بهذا اللفظ: "لا تزال طائفة بالمغرب، ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله" (المعجب، ص. ١١٢). و يفيدنا القاضي عياض، لدى تعليقه على حديث مسلم، أن لفظ "المغرب"، قد و رد أيضا، في الحديث، بمعناه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج. ١، ص. ٦٥٥).

[٢١٤] – المعجب، ص. ١١٢.

الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، و إحياء المعروف، و إزالة البـــدع، و الإقرار بالإمام المنهدي المعصوم. فإن أجابوكم، فهم إخوانكم، لكم ما لهم، و عليهم مـــا عليكم. و إن لم يفعلوا، فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السنة قتالهم"[٢١٥].

والتأمل في هذا الخبر، يجعلنا نلاحظ، أنه أمرهم بالإقرار بالمهدي المعصوم، على جهـــة الإطلاق، لا على جهة التقييد و التعيين، فلم يقل لهم: "الإقرار بأن محمد بن تومرت هـــو المهدي المعصوم"، و لا قال لهم: "الإقرار بأنني أنا هو المهدي المعصوم". مما يُفهَم منه، أنه حَوَّل العقيدة المهدوية إلى فكرة سياسية، ينظم بها جيشه، و يفعِّل بها و ظائف المهدي. و سبيل الأمر بالإقرار بالإمام المهدي المعصوم كسبيل الأمر بالإقرار بشريعة النبي محمد صلى الله عليه و آله. فلو قال قائل: "أنا أدعوكم للإقرار بنبوة محمد"، فهل يعني هذا، أنه يدعي النبوة؟!

أما العبارة الواردة في آخر كتاب محمد بن تومرت "أعز ما يطلب"، و هي: "كمل جميع تعاليق الإمام المعصوم المهدي المعلوم رضي الله عنه"[٢١٦]، فهو من قول النُّسَّاخ، لا من قوله.

وقد استنتجنا، قبل حين، أن من قام بالوظائف الموكلة بالمهدي المنتظر، يسمى مهـــديا بهذا الاعتبار، على جهة التجاوز و الاتساع في اللغة.

و يمكن أن نمثل لذلك أيضا، بمحمد أحمد بن السيد عبد الله، الذي ادعى المهدويـــة في السودان[٢١٧]، فتجمع حوله ناس كُثُر، و ألهب عواطفهم، و شحذ هممهم، ضد الاستعمار، إلى أن طردوه من بلادهم[٢١٨]، حيث يمكن أن نقرر، بأن ادعاءه المهدوية، لم يكن ادعـــاء للشخص المبشَّر به بعينه و خطمه، و إنما ادعاؤه لها بمعنى القيام بوظائف المهـــدي، هـــذه الوظائف التي مثلها خير تمثيل، فجاهد بها المستعمر خير جهاد.

---

[٢١٥] – المعجب، ص. ١١٥.

[٢١٦] – كتاب أعز ما يطلب، ص. ٤٠١.

[٢١٧] – تاريخ السودان الحديث لضرار صالح ضرار، دار مكتبة الحيـــاة، بيـــروت، ط. ٤، ١٩٦٨، ص. ١٠٩ – ١١٧.

[٢١٨] – تاريخ السودان الحديث، ص. ١٥٣ – ١٧٤.

المهدى المنتظر و فلسفة التاريخ

دكتور أحمد راسم النفيس

في إحدى الندوات التليفزيونية طرح مقدم البرنامج سؤالا عن صحة الاتهـــام الموجـــه للشيعة بأنهم ينسبون لأئمتهم علم الغيب!!.

كان الرد أن القرآن الكريم قد احتوى على الكثير من الآيات التي تتحدث عن أمـــور مستقبلية مثل قوله تعالى:

(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ و لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَـــبِيرًا * فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الـــدِّيَارِ و كَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً) الإسراء (٤-٥)...

وقوله تعالى (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّـــاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) النمل(٨٢)..

وغيرها من الآيات التي تتحدث عن المستقبل و عن حتمية تحقق الوعد الإلهي بنـــصرة عباده الصالحين (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ٥٩
الأنبياء ١٠٥..

أو تلك الآيات التي تتحدث عن خروج يأجوج و مأجوج و اقتران ذلك باقتراب الوعد الحق (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ و مَأْجُوجُ و هُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * و اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا و يْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَـــلْ كُنَّـــا ظَالِمِينَ) الأنبياء (٩٦-٩٧).

الثابت أيضا أن القرآن هو كتاب هداية للناس أجمعين (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) البقرة ٢ و أن من ضرورات هذه الهداية أن يكون القرآن مفـــسرا و واضـــحا للقارئ سواء كان هذا البيان و التفسير متاحا من الوهلة الأولى أو من خلال ما يقدمـــه العلماء من شرح لآيات الكتاب الحكيم حيث يقول تعالى:

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) (٣٢) القمر

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) محمد

(كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا و نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) (٣- ٤) فصلت

(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ و لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) ص (٢٩).

السؤال المترتب على هذه المقدمة هو:

من هم الراسخون في العلم الذين توفر لديهم العلم الضروري بتأويل كتاب الله عز و جل و ما فيه من شرائع و أحكام و آداب و حكمة و موعظة حسنة و علم ما كان و علم ما يكون إلى يوم القيامة؟؟!!.

إنهم المعنيون بقوله تعالى (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ و أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ و ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ و مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ و الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا و مَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) آل عمران (٧).

يرى المؤمنون من شيعة أهل البيت أن المعني بهذه الآية هم أئمة أهل البيت عليهم السلام في حين يترك الآخرون تلك المساحة فارغة من أي رد أو جواب!!.

علم غيب أم تعلم من ذي علم؟؟

بينما يشهد العالم المتحضر الآن طفرة بدأت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فيما أصبح يعرف بعلوم المستقبليات فلا زال باع المسلمين في هذا المجال قصيرا.

وبينما تتم أغلب هذه الدراسات في العالم الغربي تنفق دول العالم الثالث على هذا المجال أقل من ٣% من نسبة الإنفاق العالمي الموجه لأبحاث المستقبل.

كما أن هناك ارتباطا و اضحا بين هذه الدراسات و مجال التخطيط الاستراتيجي و من ثم فإن الإنفاق على هذه الأبحاث يأتي أساسا من المؤسسات العسكرية.

والشاهد أن الدراسات المستقبلية تسهم في تشكيل و عي صناع القرار بطبيعة المجتمع الذي يسعون إلى تشكيله و إقامته و رغم أن هذه الدراسات ليست علما في حد ذاتها فإنها تستفيد من مجالات العلوم الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية المختلفة.

وكما يؤكد الباحث المغربي (مهدي المنجرة) فالقيم الثقافية تمثل مكونا رئيسا من مكونات التطور الاجتماعي... و الإسلام بكل تأكيد صاحب دور حيوي في إحداث هذا التطور في المجتمعات الإسلامية.

قراءة المستقبل ليست بالضرورة و حيا يوحى بل هو عمل يمكن تشبيهه بالمعادلات الرياضية و إن أردت الدقة أسميتها بالمعادلات الاجتماعية.

مثال ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * و كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ و كَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (١٦-١٧).

إنها نتيجة لا بد أن تصل إليها تلك المجتمعات ذات الأوضاع المختلة و التي يمسك بزمام السلطة فيها الظلمة و المترفون و تزداد الأوضاع سوءا و يزداد معدل الانهيار سرعة عندما تفقد هذه المجتمعات منعتها و قدرتها على مقاومة الظلم و الفساد.

في هذا الإطار نقرأ كلمات الإمام علي بن أبي طالب عندما قال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب! فضحك (عليه السلام)، و قال للرجل ـــ و كان كلبياً:

يَا أَخَا كَلْب، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْب، و إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْم...

وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ و مَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ..)الاية فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَر أَوْ أُنْثَى، و قَبِيح أَوْ جَمِيل و سَخِيٌّ أَوْ بَخِيل، و شَقِيٌّ أَوْ سَعِيد، و مَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَبًا، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا؛ فَهذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، و مَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ (صلى الله عليه و آله) فَعَلَّمَنِيهِ، و دَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، و تَضُمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي. خطبة ١٢٨ نهج البلاغة.

علم الغيب هو الأقدار التي يقدرها العزيز الجبار (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) و هو شأن مختلف عن استشراف مستقبل الأمم و الأفراد (forecasts) و هو ليس ممارسة للتنجيم كما أنه ليس محض تنبؤات (prophecies).

الجماعات و الأفراد هي كيانات حية و موجودة و كل (موجود) له حاضر و مستقبل يتعين استشرافه و التأمل في الخيارات المطروحة أمامه التي هي ليست محض غيب بحال من الأحوال.

ورغم أننا لا نسوي بين علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استقاه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بين ما تقوم به مراكز أبحاث المستقبليات المنتشرة الآن في نصف الكرة الشمالي حيث يتسم علم الإمام بالشمولية بينما يهتم الآخرون بشئونهم الحياتية التفصيلية و وضعها في خدمة الاستراتيجية, إلا أن قراءة المستقبل في الحالتين تقوم على أساس معطيات و اقعية و ثقافية و اجتماعية و اقتصادية ما تزال فاعلة في عالم الواقع أو أصبحت جزءا من الماضي يقوم العقل الإنساني بدرسها و التأمل فيها ثم عرض الاحتمالات و المسارات المختلفة أما في حالة أئمة أهل البيت فالعلم الإلهي الذي نزل على محمد بن عبد الله و انتقل منه إلى و صيه علي بن أبي طالب هو الذي يكشف نهاية المسارات و لكنه لا ينشؤها أو يفرضها فالإرادة و الاختيار الإنساني هي من يقود الإنسان فردا كان أو مجتمعا نحو مصيره الذي سعى إليه بإرادته.

إنها قراءة للمسار و ليست فرضا له بأي حال كما أنها ليست نوعا من التنجيم أو الكهانة حيث يقول سبحانه:

(مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * و مَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ و سَعَى لَهَا سَعْيَهَا و هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء و هَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ و مَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا) الإسراء (١٨-٢٠).

إلى أين يذهب المسلمون؟؟.

ذكر الشريف الرضي في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رد على من سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله و قدر؟ فقال:

وَيْحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لاَزِماً، و قَدَراً حَاتِماً! و لَوْ كَانَ ذلِكَ كَذلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ و الْعِقَابُ و سَقَطَ الْوَعْدُ و الْوَعِيدُ.

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، و نَهَاهُمْ تَحْذِيراً، و كَلَّفَ يَسِيراً، و لَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، و أَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، و لَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، و لَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، و لَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِباً، و لَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، و لاَ خَلَقَ السَّماوَاتِ و الْأَرْضَ و مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً (ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ). خطبة ٧٣ نهج البلاغة.

المسار البشري سواء كان جماعيا أو فرديا هو من صنع الإنسان نفسه و لم يكن يوما ما (قضاء لازما) و لا (قدرا حاتما) لا فكاك منه و لا اختيار فيه!!.

(وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ و الَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) الأعراف (٥٨).

لا مجال إذن في الرؤية الإسلامية للقول بالجبرية السياسية determinism و لا للاعتذار بخطيئة الآباء الأولى (أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ و كُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) الأعراف (١٧٢-١٧٣).

إنها مسئولية إنسانية متجددة: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * و أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى * و أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى) النجم (٣٩-٤٢).

العمى الاختياري!!

من باب أولى ليس هناك مجال للقبول بالنظرية التبريرية و التي تدفع دوما بغياب الرؤية و انعدام البصيرة و الزعم بأن الأمر كان فتنة اختلط فيها الحق بالباطل و عمي السبيل و لا داعي لإثارتها أو التحدث فيها لأن افتقاد الرؤية للمسارات السياسية التي سارت فيها الأمة هو نوع من العمى السياسي و الأخلاقي الإرادي و ليس الجبري الذي يمنع المصاب به من رؤية الواقع و من ثم استشراف آفاق المستقبل على حقيقتها مهما كانت مرارتها بهدف الحيلولة دون و قوع المزيد من الكوارث (وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى و أَضَلُّ سَبِيلاً) الإسراء (٧٢).

الرؤية الإسلامية لحركة التاريخ القديم و المعاصر تقوم على أساس تحمل الجماعة البشرية لمسئولياتها التضامنية بصورة تامة و كاملة و ترفض قبول تلك التعللات و الاعتذارات

الواهية التي ما تفتأ أجهزة الإعلام و إن شئت الدقة أجهزة التبرير القديمة و المعاصرة تدفع بها في وجه طلاب الحقيقة و العدالة (قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ و مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا و مَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) الأنعام ١٠٤.

القول بأن أحداث التاريخ كانت (فتنة لا يجوز لنا البحث في أسبابها أو الحديث عن تفاصيلها) هو عمى اختياري (ومن عمي فعليها) لا يقارن بحال بمن ابتلاه الله بفقدان نعمة البصر أو العقل و هؤلاء لا جناح عليهم و لا مجال لمحاسبتهم خارج إطار قدراتهم التي هي مناط التكليف و الثواب و العقاب.

لذا يتعين على الباحثين عن مستقبل هذه الأمة دراسة ماضيها دراسة واعية متأنية بعيدة عن الشتم و التخوين العشوائي من جهة و بعيدا عن محاولات التبرير و الاعتذار نيابة عن الأقدمين في جهد مستميت من أجل تقديم و هم يوتوبيا الخلافة الإسلامية كمثل أعلى و نموذج يتعين الاحتذاء به و العودة إليه هو و ملحقاته الخرافية مثل خيرية القرون الثلاث و غيرها من الأساطير التي كبلت العقل الإسلامي و حالت بينه و بين مراجعة ما جرى و إدانة من يتعين علينا إدانته و إعلاء شأن من يتعين علينا إعلاء شأنه كمقدمة ضرورية و لازمة من أجل بناء مستقبل الأمة بدلا من الجلوس على شاطئ نهر التاريخ المتدفق و الاكتفاء بتدخين نارجيلة ذكريات البطولات و الأمجاد في انتظار أن يتحقق ما ورد في كتب الأثر من تنبؤات.

المسئولية الجماعية:

المسئولية الجماعية للأمة الإسلامية يفصلها لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع عندما يقول:

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِه، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ، و جُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَى و السُّخْطُ، و إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ و احِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَى فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ)، فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَالسِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ و رَدَ الْمَاءَ، و مَنْ خَالَفَ و قَعَ فِي التِيهِ!. خطبة ٢٠١ نهج البلاغة.

قراءة المستقبل إذا ليست تنجيما و لا إغراقا في عالم الوهم و الخيال بل هـي تأمـل و استشراف لعاقبة الأعمال فما تزرعه الجماعات من بذور لا بد أن تجني ثماره الطيبة أو المرة غدا أو بعد غد و لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يرى الإنسان بسأم عينيه ما قدمت يداه و ما ربك بظلام للعبيد.

مسارات الأمة المستقبلية

في مقاله المنشور بعنوان (خمس احتمالات لمستقبل المسلمين) **Five Futures for Muslims**

يطرح الدكتور سهيل عنايت الله خمس احتمالات مستقبلية يتجه نحوها المسلمون بناء على ما هو متداول من أفكار في العالم الإسلامي.

الاحتمال الأول: و هو العودة إلى ما كان عليه المسلمون الأوائل في القـرن السـابع الميلادي و هي عودة خارج السياق كما أنها بالنسبة إلى الكثيرين تعد تراجعا عن سـياق التطور الإنساني.

الاحتمال الثاني: و هو احتمال كارثي يتمثل في انهيار العلاقـات بـين المـسلمين و الانزلاق نحو حرب مذهبية داخل الحضارة الإسلامية و بينها و بين الغرب. ٦٥

الاحتمال الثالث: هو مسار (تقدمي) يصبح العالم الإسلامي فيه جزءا مـن منظومـة الدول العلمانية.

الاحتمال الرابع: هو تبادل المواقع الحضارية بين الإسلام و الغرب فيتقهقر العالم الغربي و ينطلق العالم الإسلامي ليصبح في مقدمة ركب الحضارة الإنسانية.

أما الاحتمال الخامس و الأخير: حيث يتقبل المسلمون و الغرب مبدأ التعددية داخـل الحضارة الواحدة و داخل النظام العالمي و يحتل العالم الإسلامي موقعه اللائق به في المنظومة الدولية سواء من الناحية السياسية أو الحضارية.

الاحتمال الأول يقوم على تلك الفرضية التي يؤمن بها القوم و التي أصبحت جزءا مـن عقيدتهم الدينية و السياسية.

إنها الفرضية القائمة على أن البشرية قد بلغت قمة كمالاتها السياسية و الأخلاقية إبان فترة (الخلفاء الراشدين) و أن يوتوبيا الراشدين بقيت مستمرة حتى سقوط الخلافة العثمانية بداية القرن الماضي و من ثم و جب على كل مسلم أن يسعى لاستعادة ذلك الفـــردوس الضائع!!.

إنها عقيدة جاءت و معها توابعها مثل نظرية المؤامرة الكونية على الإسلام و المـــسلمين كتفسير رسمي و حيد و مقبول لحركة التاريخ يمكن من خلاله شرح الأسباب الـــتي أدت إلى خروج المسلمين من سباق الحضارة العالمي عندما فقدوا تفـــوقهم العـــسكري علـــى منافسيهم فالعبء دوما يقع على هؤلاء المتآمرين الذين يمكن العثـــور علـــيهم أو حـــتى اختلاقهم إن لم يتيسر العثور عليهم بين صفحات الأحداث.

فالتشيع لأهل البيت هو من صنع اليهودي ابن السوداء و سقوط الخلافة العباسية تحت سنابك خيل التتار كان بسبب تآمر الوزير الشيعي مؤيد الدين ابن العلقمي أما ســـقوط الخلافة العثمانية فيسأل عنه يهود الدونمة و المهم هو إثبات أن المسلمين السائرين على نهج الخلفاء الراشدين و المصرين على العودة إليه لا يخطئون و لا يضلون و على ربهم يتوكلون و هم و رثة الأرض!!...

وهم عباد الله الصالحين!!!.

الحالة الراهنة من و جهة نظر القوم لا تعدو كونها ثمرة للتآمر الصليبي الصهيوني علـــى خير أمة اخرجت للناس رغم أنها و منذ لحظات ميلادها الأولى تخلت عن أهـــم شـــروط الخيرية و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كما أنها أسقطت ركن العدالة و أحلـــت محله الفتوحات العسكرية كعنوان و دليل على التزام الشريعة الإسلامية و هي رؤية تاريخية جبرية تبريرية لا تقيم و زنا للعمل الإنساني خيرا كان أو شرا و لا ترغب في تحمـــل أدنى مسئولية عن خياراتها الظالمة المرقاء التي انتهجتها طيلة أغلب هذه الفتـــرات كمـــا أنهـــا تناصب كل من يحاول كشف المستور و يدعو إلى تصحيح هذه الأخطاء أبـــشع أنـــواع العداء و تعتبره عدوا إمبرياليا صهيونيا رافضيا!!.

التمدد العسكري للمسلمين و الذي استمر عدة قرون من و جهة نظر القوم هو دليـــل قاطع و برهان ساطع على نقائهم الأخلاقي و الديني و شهادة إلهية بحسن السير و السلوك

و صحة المنهج الذي سار عليه الفاتحون العظام بدءا من معاوية و نهاية بصدام لأنه ليس من سنن الكون أن ينصر الله الظالمين!!!!.

ولا أدري من أين جاء القوم بتلك القاعدة؟؟

صحيح أن الله تبارك و تعالى ينصر عباده الصالحين و لكن هذا لا يعني أن المنتصر دوما على حق و إلا و جب على القوم الانحناء لانتصارات الصهاينة و الأمريكان عليهم في أغلب الحروب التي خاضوها معهم في القرن العشرين و القرن الحادي و العشرين!.

كما أن فرضية يوتوبيا الخلفاء الراشدين لا تعدو كونها أسطورة من صنع الوهم و الخيال حيث شهدت تلك الفترة الكثير من الانتكاسات الأخلاقية و الانحراف بعيدا عن مسار الإسلام الصحيح نحو الديكتاتورية و التسلط و المخالفة الصريحة الواضحة لقيم الإسلام الصحيحة و المتعارف عليها بدءا من السلب و النهب المنظم و القتل العشوائي لكل من سولت له نفسه التمرد على عتاة المجرمين الأمويين.

أما الاحتمال الثاني المتمثل في انهيار العلاقات بين المسلمين و الانزلاق نحو حرب داخل الحضارة الإسلامية من ناحية و بينهم و بين الغرب من ناحية أخرى فقد أصبح احتمالا حقيقيا خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر و ما تلاها من غزو العراق و أفغانستان و سقوط أعتى نظامين قمعيين, النظام الطالباني و النظام الصدامي و كلاهما كان يستهدف الشيعة بصورة أساسية مما كشف عن حقيقة و جود صراع داخل الحضارة الإسلامية يستهدف فيه المسلمون الشيعة على خلفية انتمائهم المذهبي.

العدل و الظلم و مسار التاريخ الإنساني

لا حاجة بنا لإثبات أن المسار الكوني البشري لا يكتمل و لا يتحقق الهدف الأصلي من و جوده إلا بتحقيق العدل الإلهي في الدنيا و يوم الفصل النهائي بين الخلائق (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا و الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا و يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ و لَهُمُ اللَّعْنَةُ و لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) غافر (٥١-٥٢) (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا و إِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا و كَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) الأنبياء (٤٧).

العدل هو القيمة الدينية العليا التي ينبغي أن تحكم أفعال العباد و هي أيضا تلك القيمة العليا التي يحكم بها على أفعال العباد في الدنيا كما في الآخرة.

كل القيم الأخرى ينبغي أن تكون حاكمة للسلوك الإنساني و لكن الإنسان لا يحاكم بها.

إنه سلوك إنساني يتقرب به الإنسان إلى ربه (وسيلة) كما أنه ثمرة عمله الذي يسعى إليه الإنسان بفعله و خطوات قدميه (غاية) ظالما كان أو مظلوما (ذلك بما قدمت يداك و أن الله ليس بظلام للعبيد).

من هنا جرى و ضع العدل كإحدى الركائز الأساسية للمعتقد الشيعي بعد الإيمان بالتوحيد و النبوة و الإمامة و المعاد.

أما لماذا جرى مثل هذا التأكيد فنحن نعتقد أن ذلك يرتبط بالأهمية القصوى لتحقيق العدل في الدنيا كما هو في الآخرة.

العدالة فوق كل هذا مقوم أساسي من مقومات و جود و استمرار الكيانات السياسية كما أن غيابها سبب رئيسي لاضمحلال هذه الكيانات و ضياعها و انهيارها

يقول سبحانه في محكم كتابه:

(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ و حَصِيدٌ * و مَا ظَلَمْنَاهُمْ و لَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ و مَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * و كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى و هِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْـذَهُ أَلِـيمٌ شَدِيدٌ) هود (١٠٠- ١٠٢)

(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا و جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا) الكهف (٥٩)

(فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ و اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ و كَانُواْ مُجْرِمِينَ * و مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِـكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ و أَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) هود (١١٦- ١١٧)

وعندما يصبح الظلم هو القانون الحاكم للعلاقات بين أبناء الأمة الواحدة و بينها و بين أبناء الأمم الأخرى يحدث الانهيار و ساعتها لا يحق للمهزومين أن يلوموا سوى أنفسهم لأن الله لا يظلم الناس شيئا و لكن الناس أنفسهم يظلمون.

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ و لَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * و نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ و لَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (٧٦- ٧٨) الزخرف.

لسنا بحاجة لسرد المزيد من الأدلة و البراهين على أهمية احترام العدل كقيمة عليا من قيم الإسلام لأننا نوضح هنا الارتباط بين عدم احترام تلك الدول المنتسبة للإسلام هذه القيمة و ما آلت إليه أوضاعها من تدهور و انحطاط و سقوط متتال لدولهم التي أسسوها على جماجم المستضعفين و آخر هذه الدول الغاربة هي الدولة الصدامية و الدولة الطالبانية و قبلها الدولة الأموية و العباسية ثم العثمانية و هناك لائحة طويلة في انتظار الاكمار... و لا يظلم ربك أحدا!!.

الكافي: عن محمد الحلبي أنه سأل أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز و جل: "اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها" قال: العدل بعد الجور.

الكافي: عن أبي إسحاق الجرجاني، عن أبي عبدالله (ع) قال: إن الله عز و جل جعل لمن جعل له سلطانا أجلا و مدة من ليال و أيام و سنين و شهور فإن عدلوا في الناس أمر الله عز و جل صاحب الفلك أن يبطئ بادارته فطالت أيامهم و لياليهم و سنينهم و شهورهم و إن جاروا في الناس و لم يعدلوا أمر الله تبارك و تعالى صاحب الفلك فأسرع بادارته فقصرت لياليهم و ايامهم و سنينهم و شهورهم و قد و في لهم عز و جل بعدد الليالي و الشهور. ٦٩

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع: فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، و أَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، و قَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، و اعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، و جَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، و طُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، و يَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ و الِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، و ظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، و كَثُرَ الاِدِّغَالُ فِي الدِّينِ، و تُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، و عُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، و كَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٌّ عُطِّلَ، و لاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، و تَعِزُّ الأَشْرَارُ، و تَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَادِ. خطبة ٢١٦ نهج البلاغة.

ابن خلدون و حركة التاريخ!!

تحدث ابن خلدون في مقدمته عن الدولة و تقلبها من حال إلى حال من القوة و المنعة إلى الشيخوخة و الانهيار و من ثم طرح رؤيته عن أعمار الدول التي هي من و جهة نظره ثلاثة أجيال بشرية حيث يقول:

وأما أعمار الدول أيضاً فهي في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال و الجيل هو عمر شخص و احد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو و النشوء إلى غايته.

وإنما قلنا أن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال: لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة و خشونتها و توحشها من شظف العيش و البسالة و الافتراس و الاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف و جانبهم مرهوب و الناس لهم مغلوبون. و الجيل الثاني تحول حالهم بالملك و الترفه من البداوة إلى الحضارة و من الشظف إلى الترف و الخصب و من الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به و كسل الباقين عن السعي فيه و من عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء و تؤنس منهم المهانة و الخضوع. و يبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول و باشروا أحوالهم و شاهدوا من اعتزازهم و سعيهم إلى المجد و مراميهم في المدافعة و الحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية و إن ذهب منه ما ذهب و يكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من و جودها فيهم. و أما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة و الخشونة كأن لم تكن و يفقدون حلاوة العز و العصبية بما هم فيه من ملكة القهر و يبلغ فيهم الترف غايته بما تفننوه من النعيم و غضارة العيش فيصيرون عيالاً على الدولة و من جملة المحتاجين للمدافعة عنهم و تسقط العصبية بالجملة فإذا جاء المطالب لهم لم يقوموا لمدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة و يستكثر بالموالي و يصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت.

هذه هي النظرية الخلدونية لنشوء (الدول) و تطورها نحو القوة ثم الانهيار و هي نظرية تنتمي إلى الواقع الأخلاقي البائس للأمة الإسلامية الذي تحدثنا عنه من قبل و لا تحيد عنه قيد أنملة!!.

والثابت أيضا أن حديثه عن الترف كعنصر ضعف و وهن يقضي على الأمم و الممالك لا ينطلق من رؤية أخلاقية ترفض الظلم من الأساس و تراه سوسا ينخر في جسد الأمـــة حتى يقضي عليها في الدنيا قبل الآخرة بل من اعتباره عنصرا مضادا لعناصر القوة و الغلبة التي هي ركن ركين من أركان الدولة في الرؤية الخلدونية.

وهو يرى أن الترف و البذخ و الاستئثار يشكل عنصرا من عناصر قوة دولة الغلبـــة في بداية نشأتها!!.

والشاهد أن الدولة التي يتحدث عنها ابن خلدون هي دولة الغلبة المملوكية التي عايشها و عمل في خدمتها فالرجل كما هو معلوم كان قاضي قضاة ملك الشذوذ الجنسي الظاهر برقوق.

ولا عجب أيضا أن يثني الرجل خيرا على ابن آكلة الأكباد معاوية بن ابي سفيان حيث يقول:

.. و إن كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل إنما قصد الحـــق و أخطأ. و الكل كانوا في مقاصدهم على حق.(!!) ٧١

ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد و استئثار الواحد به. و لم يكن لمعاوية أن يـــدفع ذلك عن نفسه و قومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها و استشعرته بنو أمية و من لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوصبوا عليه و استماتوا دونه. و لو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة و خالفهم في الانفراد بالأمر لوقـــع في افتـــراق الكلمة التي كان جمعها و تأليفها أهم إليه من أمر ليس و راءه كبير مخالفة.

وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول إذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر: "لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة و لو أراد أن يعهد إليه لفعل و لكنه كان يخشى من بني أمية أهل الحل و العقد لما ذكرناه فلا يقدر أن يحول الأمر عنهم لئلا تقع الفرقة. و هذا كله إنما حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية. فالملك إذا حصل و فرضـــنا

أن الواحد انفرد به و صرفه في مذاهب الحق و وجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه. و لقد انفرد سليمان و أبوه داود صلوات الله عليهما بملك بني إسرائيل لما اقتضته طبيعة الملـــك فيهم من الانفراد به و كانوا ما علمت من النبوة و الحق. و كذلك عهد معاوية إلى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سواهم. فلو قـــد عهد إلى غيره اختلفوا عليه مع أن ظنهم كان به صالحاً و لا يرتاب أحد في ذلك و لا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد إليه و هو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا لله لمعاوية من ذلك. (!!!!)

وكذلك كان مروان بن الحكم و ابنه و إن كانوا ملوكاً فلم يكن مذهبهم في الملـــك مذهب أهل البطالة و البغي إنما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم إلا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد. يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع و الاقتداء و ما علم السلف من أحوالهم و مقاصدهم فقد احتج مالك في الموطإ بعمل عبد الملك. و أما مروان فكان من الطبقة الأولى مـــن التـــابعين و عدالتهم معروفة (؟!) ثم تدرج الأمر في و لد عبد الملك و كانوا من الدين بالمكان الـــذي كانوا عليه. و توسطهم عمر بن عبد العزيز فترع إلى طريقة الخلفاء الأربعة و الـــصحابة جهده و لم يهمل. ثم جاء خلفهم و استعملوا طبيعة الملـــك في أغراضـــهم الدنيويـــة و مقاصدهم و نسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها و اعتماد الحق في مذاهبها. فكان ذلك مما دعا الناس إلى أن نعوا عليهم أفعالهم و أدالوا بالدعوة العباسية منهم. و ولي رجالها الأمر فكانوا من العدالة بمكان و صرفوا الملك في و جوه الحـــق و مذاهبـــه مـــا استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح و الطالح. ثم أفضى الأمـــر إلى بنيهم فأعطوا الملك و الترف حقه و انغمسوا في الدنيا و باطلها و نبذوا الدين و راءهـــم ظهرياً فتأذن الله بخربهم و انتزاع الأمر من أيدي العرب جملة و أمكن سواهم منه. و الله لا يظلم مثقال ذرة. و من تأمل سير هؤلاء الخلفاء و الملوك و اختلافهم في تحري الحق مـــن الباطل علم صحة ما قلناه. و قد حكى المسعودي مثله في أحوال بني أمية عن أبي جعفـــر المنصور و قد حضر عمومته و ذكروا بني أمية فقال: " أما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي بما صنع و أما سليمان فكان همه بطنه و فرجه و أما عمر فكان أعور بين عميان و كـــان

رجل القوم هشام". قال: و لم يزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه و يصونون ما و هب الله لهم منه مع تسنمهم معالي الأمور و رفضهم دنياها حتى أفضى الأمر إلى أبنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات و ركوب اللذات من معاصي الله جهلاً باستدراجه و أمناً لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة و استخفافهم بحق الرياسة و ضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز و ألبسهم الذل و نفى عنهم النعمة ".

ليس لنا بعد استماع هذا الفاصل الخلدوني التبريري اللا أخلاقي اللائق بقاضي قضاة ملك الشذوذ الجنسي إلا أن نثني خيرا على كل الظلمة و الجبارين و من أسس أساس الظلم و الجور لآل محمد و لشيعة آل محمد و لبقية المسلمين و أن نواصل الثناء و الإطراء لابن خلدون جريا و راء مكتشفيه الألمان إلى آخر تلك السخافات التي أدمنها البعض من دارسي هذا الرجل!!.

إنه و احد من عبدة صنم القوة المتداعي و من كبار التبريريين الذين أوردوا العرب و المسلمين دار البوار.

الذي نخلص إليه أن النظرية الخلدونية الحلزونية لم تنبع من اعتماد الرجل لتصور إسلامي أخلاقي من أي نوع كان أو حتى لعمق تأمله في كتاب الله بل لاعتماده نظرية الأمر الواقع المفروض و الذي استفاد منه ملوك الكر و الفر من المماليك و أسلافهم الأيوبيين و من جاء قبلهم من العباسيين و الأمويين.

إنها نظرية تتحدث عن الدولة في إطار تلك البنى الفوقية الحاكمة و المستولية على السلطة و المال و الجاه و لكنها لا تتحدث عن الدولة الإسلامية في إطارها الحضاري الأخلاقي الشامل.

إنه يتحدث عن التغيرات التي تعتري تلك القشرة الفوقية السلطوية و التي تتمثل في انهيار الأمويين ثم العباسيين و انتقال السلطة من يد المرتزقة أبناء يوسف بن أيوب إلى العبيد المجلوبين من شتى أصقاع الأرض ليحكموا الأحرار و الأشراف و يسوموهم سوء العذاب!!.

لا عجب إذا أن استفاد الغرب من أخطائه و تعلم منها و هاهو الآن يعيش في رحـــاب الليبرالية و التعددية التي هي أقرب إلى العدالة من غيرها من الأطروحات الأخرى أو مـــن اللا أطروحات التي ما زال يخلو للمسلمين أن يتغنوا بها.

الشهيد الصدر و نظرية الصعود الارتقائي

يرى الشهيد آية الله محمد باقر الصدر أن حركة التاريخ حركة غائية سببية فيقول: تتميز حركة التاريخ عن كل الحركات الأخرى أنها حركة غائية لا سببية فقـــط إنهـــا ليـــست مشدودة إلى سببها إلى ماضيها بل هي مشدودة إلى الغاية لأنها حركة هادفة لها علة غائية متطلعة إلى المستقبل و هو المحرك لأي نشاط من النشاطات التاريخية ص ١٣٩.

كما يرى أن المحتوى الداخلي للإنسان هو الأساس لحركة التاريخ و البناء الاجتمـــاعي العلوي بكل ما يضم من علاقات و من أنظمة و من أفكار و تفاصيل هذا البناء العلـــوي يرتبط بهذه القاعدة و يكون تغيره و تطوره تابعا لتغير هذه القاعدة و تطورها فإذا تغـــير الأساس تغير البناء العلوي و إذا بقي الأساس ثابتا بقي البناء العلوي ثابتا. فالعلاقة بـــين المحتوى الداخلي للإنسان و البناء الفوقي و التاريخي للمجتمع هي علاقة سببية [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم]. فالآية تتحدث عن تغييرين أحدهما تغيير القوم (إن الله لا يغير ما بقوم) يعني تغيير أوضاع القوم شؤون القوم الأبنية العلوية للقـــوم ظـــواهر القوم و هي لا تتغير حتى يتغير ما بأنفسهم فالمحتوى النفسي و الداخلي للأمة كأمة لا لهذا الفرد أو ذاك هو الذي يعتبر أساسا و قاعدة للتغييرات في البناء العلوي للحركة التاريخيـــة كلها.

والإسلام و القرآن الكريم يؤكدان أن البناء الداخلي للإنسان يجب أن يسير جنبـــا إلى جنب مع البناء الخارجي المجتمعي.

ولهذا سمى الإسلام عملية بناء المحتوى الداخلي بالجهاد الأكبر و سمـــى عمليـــة البنـــاء الخارجي بالجهاد الأصغر و ربط بين الجهاد الأصغر و الجهاد الأكبر فإذا فـــصل الجهـــاد الأصغر عن الجهاد الأكبر فقد مضمونه و فقد قدرته على التغيير الحقيقي علـــى الـــساحة التاريخية و الاجتماعية. ص ١٤٠-١٤٢.

ويذهب إلى إن الغايات التي تحرك التاريخ يحددها المثل الأعلى و هي تنبثق عن و جهـــة نظر رئيسية إلى مثل أعلى للإنسان في حياته و هذا المثل الأعلى هو الذي يحدد الغايـــات التفصيلية و ينبثق عنه هذا الهدف الجزئي. فالغايات بنفسها محركات للتاريخ و هي بدورها نتاج لقاعدة أعمق منها في المحتوى الداخلي للإنسان و هو المثل الأعلى الذي تتمحور فيه كل تلك الغايات و تعود إليه كل تلك الأهداف. ص ١٤٥-١٤٧. (المدرسة القرآنية)

ثم يزيد الشهيد الصدر الأمور إيضاحا فيقول:

قال تعالى [يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه]: هذه الآية الكريمة تضع الله سبحانه و تعالى هدفا أعلى للإنسانية ككل و الكدح يعني السير المستمر بالمعانـــاة و الجهد و المجاهدة لأن هذا السير هو سير ارتقائي هو تصاعد و تكامل هو ســـير تـــسلق فالإنسانية حينما تكدح نحو الله فإنما تتسلق إلى قمم كمالها و تكاملـــها و تطورهـــا إلى الأفضل باستمرار.

وهذا السير الذي يحتوي على المعاناة باستمرار يفترض طريقا هو سبيل الله .. صراط الله هذا التقدم بقدر فاعليته و بقدر زخمه هو اقتراب نحو الله سبحانه و تعالى.

أي أن الله ترك لنا مجال الإبداع إلى اللانهاية مجال التطور التكاملي إلى اللانهاية فالمسيرة الإنسانية حينما توفق بين و عيها على المسيرة و بين الواقع الكوني لهذه المـــسيرة ســـوف يحدث تغييرا كميا و كيفيا نحو الأمام. ٧٥

أما التغيير الكمي فحينما يكون الطريق إلى المثل الأعلى الحق غير متناه يبقى مجال التطور و الإبداع و النمو قائما أبدا و دائما و مفتوحا للإنسان من دون توقف و عنـــدما تتـــبنى البشرية هذا المثل الأعلى سوف تمسح من الطريق كل الآلهة المزورة كل الأصنام و كـــل الأقزام المتصنمة على طريق الإنسان و التي تقف عقبة بين الإنسان و بين و صـــوله إلى الله سبحانه.

وأما التغيير الكيفي الذي يحدثه المثل الأعلى على هذه المسيرة فهو إعطاء الحل الموضوعي الوحيد للجدل و التناقض الإنساني و من ثم ينشأ لديه شعور معمق بالمسئولية تجاه هـــذا المثل الأعلى لأن المسئولية الحقيقية لا تقوم إلا بين جهتين مسؤول و مسؤول لديه.

إن المثل الأعلى يحدث تغييرا كيفيا على المسيرة لأنه يعطي الشعور بالمسؤولية و هـــذا الشعور هو شرط أساسي في إمكان إنجاح هذه المسيرة و تقديم الحل الموضوعي للجـــدل الإنساني بين تركيبته الداخلية من تراب و نفحة من روح الله سبحانه.

هذا هو التطور الإنساني الأخلاقي الذي ينبغي أن نؤمن به و أن نسعى لتطوير مجتمعاتنا الإنسانية من خلاله بعيدا عن تلك المفاهيم التي لا تكترث بغير الأبنية السلطوية الفوقية و تراها دون غيرها سر الوجود و الحد الفاصل بين الخطأ و الصواب و الحق و الباطل!.

من التعددية إلى العدالة الإلهية:

مر العالم من الناحية السياسية عبر مرحلتين و لا زلنا في انتظار المرحلة الثالثة.

المرحلة الأولى: مرحلة الحكومات الإمبراطورية المطلقة الظالمة عادة و العادلـــة نـــادرا مرحلة الإمبراطوريات الفارسية و البيزنطية و يدخل فيها مرحلة الخلافة الإسلامية.

المرحلة الثانية: هي مرحلة التعددية و المشاركة الشعبية في الحكم من خلال الانتخابات و هي مرحلة حديثة نسبيا و لكنها من دون شك أقرب إلى تحقيق قيمة العدالة من المرحلة الأولى, إلا أنه لا يمكن الجزم بأن التعددية هي قرين العدالة.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة تحقيق حلم البشرية في إقامة دولة العدل الإلهي الحقيقي و هي من و جهة نظرنا دولة المهدي المنتظر (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْـــأَرْضِ و نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً و نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * و نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ و نُرِي فِرْعَـــوْنَ و هَامَـــانَ و جُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) القصص (٥– ٦).

المرحلة الأولى: مرحلة الدولة الأبوية الإمبراطورية التي يجري تداول الحكم فيهـــا عـــبر التوارث أو الاستخلاف الشكلي, حيث لم يكن هناك مجال للمطالبة بانتخابات رئاسية أو برلمانية و كلها أمور لم تكن قد دخلت بعد في إطار التطور المعرفي الإنـــساني كمـــا أن المشاركة تعتمد أولا على و جود الكيانات الاجتماعية و السياسية القادرة على تـــداول السلطة و استلامها من الحزب الحاكم.

نقول أن التعددية هي مرحلة انتقالية بين السلطة الأبوية التفردية و دولة العدل الإلهي إذ لا ضمان على الإطلاق أن تقوم السلطة المنتخبة ديموقراطيا بضمان العدل أو الدفاع عن حقوق الطبقات الفقيرة و المستضعفة و من باب أولى إيصالها إلى الحكم.

للتعددية آليات لا يمتلكها الفقراء أو حتى تلك الفئات التي حرمت عمدا و مع سبق الإصرار و الترصد من تلك الإمكانات التي هي حق طبيعي لها بعد أن صودرت ثرواتها و أملاكها و أعطيت من قبل من لا يملك لمن لا يستحق.

إنها ديموقراطية الأغنياء و لكنها ليست أبدا ديموقراطية الفقراء و نظرة و احدة على الطريقة التي تدار بها العملية السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية تكشف لنا عن الدور الذي تقوم به مؤسسات التمويل في إدارة تلك العملية و الدفع بالموالين لها إلى مراكز صنع القرار و بالتالي فالزعم بأن الديمقراطية تعني العدالة هو و هم كبير.

القبول بالتعددية و انتزاع المستضعفين لحق التواجد في ساحة السياسة و الفكر هو مرحلة لازمة لإقامة دولة العدل التي لا يمكن أن تقوم إلا على أكتاف رجال أحرار لا يخافون في الله لومة لائم و لا يبيعون رضا الخالق من أجل أن يرضى الظالمون المستئثرون بالثروة و السلطة حتى و لو كانوا يتداولونها بينهم باسم الديمقراطية!!.

الوجه الأهم و الأخطر للمسألة هي تلك النظرة الاستكبارية التي يعتمدها من أعداء شيعة أهل البيت عليهم السلام و الذين ذاقوا حلاوة الاستئثار بالسلطة طيلة هذه القرون الخوالي و الذين يرفضون الآن بإباء و تصميم أي محاولة لاستعادة هذا العدل المفقود و هم من يلقون الآن بكل ثقلهم و راء الحريق المشتعل في العراق و هو ما يشخصه (ولي نصر) في مقاله المنشور في مجلة foreign affairs الأمريكية الصادرة في يوليو ٢٠٠٦ بأنه: رفض الأقلية للتنازل عن ما تعتقد أنه حقها الأبدي في الحكم و الهيمنة و من ثم فهي تسعى لإحراق الأخضر و اليابس حتى لا يأتي يومهم الذي كانوا يوعودون.

البشرية عامة و الأمة الإسلامية خاصة تتحرك نحو هدفها الموعود و فردوسها المفقود و الذي لم يأت بعد في دولة العدل الإلهي حيث تعود الأمور إلى نصابها و يحق الله الحق بكلماته و لو كره الكافرون.

معالم دولة العدل و القائمون بها

الأمر عندها سيكون تصديقا لكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، و تَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَما مَالَ مَالَ مَعَهُ، عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً، يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَنَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَّةٌ، و لَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، و لَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٌ، و لاَ حَدَابُ أَرْضٍ، يُدَعْدِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، و يُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ و ايْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ و التَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأُلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

ويقول عليه السلام أيضا: لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا. ثم تلا: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ و نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً و نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص (حكمة ١٩٩ نهج البلاغة).

وهو يصف معالم دولة العدل بقوله سلام الله عليه: (وَفِي غَدٍ و سَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا، و تُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، و تُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ). خطبة ١٣٨

ويقول أيضا: (لتملأن الارض ظلما و جورا، حتى لا يقول أحد الله الله، يستعلن به ثم لتملأن بعد ذلك قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا).

وعن علي عليه السلام أنه قال (حتى لا يقول أحد الله إلا مستخفيا ثم يأتي الله بقوم صالحين يملؤوها قسطا و عدلا . .) .

ويقول أيضا (والله ليظهرن عليكم هؤلاء باجتماعهم على باطلهم و تخاذلكم عن حقكم، حتى يستعبدونكم كما يستعبد الرجل عبدا إذا شهد جزمه و إذا غاب سبه حتى يقوم الباكيان الباكي لدينه و الباكي لدنياه و أيم الله لو فرقوكم تحت كل حجر لجمعكم لشر يوم لهم و الذي خلق الحبة و برأ النسمة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يملك الارض رجل مني يملؤ الارض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما).

المصدر: معجم أحاديث المهدي.

خلاصة:

الذي نخلص إليه في هذا البحث أن تطور التاريخ الإنساني عامة و تاريخ المسلمين على وجه الخصوص هو حركة تقدمية تصاعدية تتجه نحو هدف أعلى و أسمى هـو تحقيـق العدالة بين البشر في أبعادها المختلفة إنسانيا و اجتماعيا و أخلاقيا و سياسيا.

إنه تطور لن يتوقف ببلوغ العالم مرحلة القبول بالتعددية أو الليبرالية رغم أن القبـول بالتعددية هي مرحلة أقرب إلى العدالة من المرحلة التسلطية سواء كانت هـذه التـسلطية دينية أو خلدونية عنصرية لا غاية لها إلا الاستيلاء على الملك و تكريس إمكانات الأمة في خدمة القبيلة الأموية القرشية العباسية أو القبيلة الصعلوكية المملوكية التي حكمت مصر و الكثير من بقاع العالم لمدة تزيد على ثمانية قرون فكان أن أوردت هذا العالم مورد الهلاك و البوار.

إنها حركة تقدمية لن تنتهي حتى (يأتي الله بقوم صالحين يملؤونها قسطا و عدلا) و ليس بتأسيس نظام يسمح بتداول السلطة شكلا و الاستئثار بها مضمونا لتبقى في حوزة المتغلبين من الذين يريدون علوا في الأرض و فسادا.

والعاقبة للمتقين.

البعد المقاصدي في ظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف

محمد عبدو

الحمد لله الكبير المتعال، و الصلاة و السلام على نبينا محمد و على آله خير آل.

لعل من حسن المدخل لهذا البحث أن أستعير قول الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي رضي الله عنه، حيث قال في كتابه الذي لم يصنف في بابه مثله، من حيث التفصيل، و الإحاطة بجميع التفاصيل، الموسوم ب " كمال الدين و تمام النعمة " ما نصه : " لو خلق الله عز و جل الخليقة خلوا من الخليفة لكان قد عرضهم للتلف، و لم يردع السفيه عن سفهه بالنوع الذي توجبه حكمته من إقامة الحدود و تقويم المفسد"[1].

وصدق الصدوق قدس سره، فلولا و جود الإمام لعم الهرج و المرج، و لساحت الأرض و لم تتم الحكمة من خلق الخلق و تكليفهم.

و هذا الذي ذهب إليه ابن بابويه و قرره، لا يخالف فيه أحد من علماء السنة و الشيعة. و من أوضح ما يستدل به على تقرير هذه الحقيقة من كلام أهل السنة ما صرح به حجة الإسلام أبو حامد الغزالي المتخلص ب " **دانشند** " حيث قال في كتابه " الاقتصاد في الاعتقاد " ما لفظه : " لا يتمارى العقل في أن الخلق على اختلاف طبقاتهم، و ما هم عليه من تشتت الأهواء، و تباين الآراء، لو خلوا و راءهم، و لم يكن رأي مطاع يجمع شتاتهم لهلكوا من عند آخرهم، و هذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر مطاع يجمع الآراء، فبان أن السلطان ضروري في الفوز بسعادة الآخرة، و هو مقصود الأنبياء قطعا، فكان و **جوب نصب الإمام من ضروريات الشرع** الذي لا سبيل إلى تركه " [2].

و من هنا ندرك و جه الحكمة في عدم خلو الأرض من حجة إلى يوم القيامة.

و قد ثبت بالأدلة الصحيحة التي لا ينكرها إلا مكابر؛ أن الحجة الذي يخرج في آخر الزمان، فتتحقق على يده مقاصد الشارع الحكيم هو الإمام الثاني عشر عليه السلام. و ما أكثر الأدلة التي يمكن الاستشهاد بها على صحة هذا الكلام.

و حسبك من ذلك ما نص عليه النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فإنه قال لعبد الرحمن بن سمرة : " يا ابن سمرة إن عليا مني، روحه من روحي، و طينته من طينتي، .... و إن منه إمامي أمتي و سيدي شباب أهل الجنة الحسن و الحسين، و تسعة من و لد الحسين تاسعهم قائم أمتي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما ".[٣]

و هذا كثير النظائر.

و هذا البحث، كما يتضح من عنوانه، سوف يتولى كشف الغيوب عن مقاصد ظهور الغائب المحجوب.

و مقاصد ظهوره عليه السلام خارجة عن نطاق العد و الحصر، لكني سأقتصر في هذا المقام على اثني عشرة مقصدا، تيمنا بالعدد الشريف.

وهذا الأمر لست أنا المبتدئ به، فقد شد معاقده بعض أفاضل الإمامية قدس الله أسرارهم، منهم أبو الجيش مظفر بن محمد البلخي (٣٦٧ هـ)، الذي صنف كتابا سماه : " النكت و الأغراض في الإمامة "، و أبو الجوز منبه بن عبيد الله التميمي الذي ألف كتابا و سمه أيضا بـ " النكت و الأغراض في الإمامة "، كما صنف أبو يعلى محمد بن حسن الجعفري كتابا أسماه : " النكت في الإمامة "...[٤]

و الذي سلكه هؤلاء الأعلام رضي الله عنهم هو العطاء الفيضي و القول المرضي، إتيه إتاوي، و مدده سماوي، كأنما يوحى إليهم إيحاء، فيحيون به السمع إحياء.

و أنا و إن كنت عند نفسي لست من هذا القبيل، إلا أني من بابهم و بحت، و بهداهم اقتديت.

و سأتكلم على مقاصد ظهور المهدي عجل الله فرجه، و أقيم الدليل على ذلك من أخبار الأئمة عليهم السلام و غيرهم، و بالله التوفيق و المعونة، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

غير أني أود قبل خوض غمرة هذا الموضوع، أن أذكر مسألة نافعة في هذا الباب، و هي إماطة اللثام عن علل و أسرار غيبة صاحب الأمر عليه السلام؛ و ذلك حتى نربط بين علل غيبته، و بين علل ظهوره، فيكون الكلام متسقا، إذ ظهوره دليل على غيبته و

بالعكس، و لغيبته أسرار و فوائد، كما أن لظهوره حكما و مقاصد. فسبحان من غيبه و حجبه، ثم لمقصد عظيم أظهره، و لأمر جسيم ندبه.

فأقول و بالله أهتدي : هناك علل شتى لغيبة صاحب الأمر عليه السلام، أكتفي منها في هذه العجالة على علتين مهمتين :

العلة الأولى : أنه يخاف على نفسه القتل.

و يؤيد هذا و يعضده ما أخبر به أبو عبد الله عليه السلام فإنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا بد للغلام من غيبة، فقيل له: و لم يا رسول الله ؟ قال: يخاف القتل ".(٥)

و يشهد لهذا أيضا ما أخبر به علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام حيث قال : " القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله عز و جل و يملأها عدلا كما ملئت جورا هو الخامس من و لدي، له غيبة يطول أمدها خوفا على نفسه، يرتد فيها أقوام و يثبت فيها آخرون ".(٦)

العلة الثانية : أن يخرج الله تعالى المؤمنين من أصلاب أعدائه، فإذا تزيلوا و لم يبق في أصلابهم مؤمن أظهره الله عز و جل فخسف بأعدائه و أبادهم.(٧)

فإذا اتضحت هاتان العلتان في غيبة صاحب الأمر، فلنرتق إلى المقام الثاني و هو في بيان مقاصد خروج المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

المقصد الأول : إقامة دولة العدل.

فقد تطابقت آراء السنة و الشيعة على أن المهدي عليه السلام ، سيخرج في آخر الزمان، فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا. و الروايات التي تدل على هذا المقصد كثيرة، و قد عد الشيخ جعفر السبحاني في محاضرته ١٣٢ رواية.

منها : ما أخبر به الهادي عليه السلام فإنه صرح " بان القائم يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا".

و منها ما أخبر به علي بن موسى الرضا عليهما السلام من أن القائم " يطهر الله به الأرض من كل جور، و يقدسها من كل شر".(٩)

و يشاكل هذين الخبرين ما خرج أبو داوود عن علي رضي الله عنه، من رواية فطر بن خليفة عن القاسم بن أبي مرة عن أبي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا، كما ملئت جورا ". (١٠)

وقد تعقب ابن خلدون هذا الحديث يوهنه و يطعن فيه قال :" و فطر بن خليفة و إن و ثقه أحمد و يحيى بن القطان و بن معين و النسائي و غيرهم، إلا أن العجلي قال : حسن الحديث و فيه تشيع قليل ". (١١)

فرده لهذا الحديث و طعنه عليه لكون فطر بن خليفة شيعي حجة و اهية متهافتة كقول الشاعر فيه :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا و كل كاسر مكسور

و لو ذهبنا نرد كل حديث لأن في سنده شيعيا، للزمنا أن نرد كثيرا من أحاديث البخاري و مسلم و غيرهما لاعتمادهم على كثير من الشيعة في روايتهم.

و انظر فيما قاله شرف الدين الموسوي في كتابه المراجعات حيث أورد أسماء لمائة شيعي روى عنهم أهل السنة.

المقصد الثاني : عدم بطلان حجج الله و بيناته.

و قد نص على هذا المقصد الشريف أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال ما نصه : " اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهر مشهور، و إما خاف مغمور **لئلا تبطل حجج الله و بيناته** " (١٢).

المقصد الثالث : أن الله تعالى يحيي به الأرض بعد موتها.

قال الحسين عليه السلام يبين هذا المقصد و يوضحه : " يحيي الله به — يعني القائم عليه السلام — الأرض بعد موتها، و يظهر به دين الحق على الدين كله و لو كره المشركون " (١٣).

المقصد الرابع : كشف الغطاء عن حقائق الأمور.

قال الله تعالى : " قل إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين " (١٤). فمن جملة معاني هذه الآية؛ إن أصبحت الشريعة دارسة، و أحكامها غامضة، فمن يجلي

حقائقها، و يبين أسرارها، و يوضح أغراضها ...، غير الأئمة عليهم السلام، الذين " هجم بهم العلم على حقائق الأمور "[١٥]، لا سيما من يكون حجة من قبل علام الغيوب.

المقصد الخامس : عمارة الأرض.

و قد أشار إلى هذا المقصد أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام.

فعن محمد بن مسلم الثقافي قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام يقول : القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، و تظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق و المغرب، و يظهر الله عز و جل به دينه على الدين كله و لو كره المشركون، **فلا يبقى في الأرض خراب إلا قد عمر** "[١٦].

المقصد الخامس : تطهير الأرض من عبادة غير الله عز و جل.

و قد أخبر بهذا المقصد الصادق عليه السلام فإنه قال : " ثم يظهره الله عز و جل فيفتح الله على يده مشارق الأرض و مغاربها، و ينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام و يصلي خلفه و تشرق الأرض بنور ربها، و **لا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عز و جل إلا عبد الله فيها**، و يكون الدين كله لله و لو كره المشركون "[١٧].

المقصد السادس : أن يحمل العباد على محجة دينهم، و ليلزمهم سبيل نجاتهم، و يجنبهم موارد هلكتهم، و يبين لهم من فرائض الله عز و جل ما شذ عن أفهامهم، و يهديهم بكتاب الله عز و جل إلى مراشد أمورهم، فيكون الدين به محفوظا لا تعترض فيه الشبهة، و فرائض الله مؤداة لا يدخلها باطل، و أحكام الله ماضية لا يلحقها تبديل، و لا يزيلها تغيير.[١٨]

المقصد السابع : أن يقيم أود العباد، و يخبرهم بمصالح أمورهم الدنيوية و الأخروية، و ينصف مظلومهم من ظالمهم، و يأخذ حق ضعيفهم من قويهم.[١٩]

المقصد الثامن : تجديد الإسلام.

و بيانه أنه يأتي على أمة النبي صلى الله عليه و آله و سلم زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، و لا يبقى من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله تبارك و تعالى له الخروج، فيظهر الإسلام به و يجدده.[٢٠]

المقصد التاسع : إعادة الاعتبار للمقاصد الضرورية الخمسة.

كلمات السنة و الشيعة متظاهرة على أن مقاصد الشرع في الخلق خمسة.

قال الشيخ الفقيه الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي في كتابه الموسوم بـ " حقائق الإيمان " ما نصه : " و غاية هذه الأقسام – العبادات، المعاملات، الإيقاعات، السياسات– مقاصد خمسة : حفظ النفس، و العقل، و الدين، و النسب و المال ".[٢١]

فحينما يتم تفويت هذه المقاصد؛ إذ ذاك يأذن الله للحجة عليه السلام للخروج. و يشهد بصحة هذا الكلام ما أخبر به محمد بن مسلم الثقافي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهم السلام حيث قال : قلت : يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم ؟ قال : إذا تشبه الرجال بالنساء،

و النساء بالرجال، و اكتفى الرجال بالرجال، و النساء بالنساء، و ركبت ذوات الفروج السروج، و قبلت شهادات الزور، و ردت شهادات العدول، و استخف الناس بالدماء، و ارتكاب الزنا، و أكل الربا، و اتقي الأشرار مخافة ألسنتهم ".[٢٢]

ففي هذا النص إشارة إلى فساد الدين في آخر الزمان، و فيه إشارة إلى انقطاع النوع، و فيه إشارة إلى تفويت ضرورة النفس، و فيه إشارة إلى ضياع النسل، و فيه إشارة إلى تفويت المال.

فخروجه عليه السلام من أجل إقامة حدود الله و حفظ كليات الشرع.

و الدليل على ذلك ما أجمعت الأمة على نقله من قول رسول الله صلى عليه و آله و سلم : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله عز و جل و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ".

المقصد العاشر : إصلاح الأرض و الناس.

كلمات الأئمة عليهم السلام متعاضدة و متناصرة على أن من مقاصد ظهور القائم عليه السلام إصلاح الأرض و الناس.

فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " قلت له : أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت ".[٢٣]

و عن أبي هراسة عن أبي جعفر عليه السلام قال : " لو أن الإمام رفع عن الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله ".[٢٤]

و عن الحسن بن زياد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الأرض لا تخلـــو من أن يكون فيها حجة عالم، إن الأرض لا يصلحها إلا ذلك، و لا يصلح النـــاس إلا ذلك".[٢٥]

المقصد الحادي عشر :إفاضة المال.

و قد أشار إلى هذا المقصد أبو عيسى الترميذي في سننه. فعن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : " فيجيء إليه الرجل فيقول : يا مهدي أعطني أعطني. قال : فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله "[٢٦].

المقصد الثاني عشر : أن مقاصد صاحب الزمان هي مقاصد القرآن.

فإذا كان الله سبحانه و تعالى يقول : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[٢٧]، فإن هذا المقصد و هو هداية الخلق هو نفسه مقصد القائم عليـــه الـــسلام و ذلـــك لأن الله سبحانه و تعالى هو مقومه و هاديه و ملهمه.

و من هنا نفهم سر قوله صلى الله عليه و آله و سلم :" إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله عز و جل و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حـــتى يـــردا علـــي الحوض ".[٢٨]

فهذه هي المقاصد الشريفة من ظهور المهدي عليه السلام، و التي لا يجحدها إلا مـــن أراد أن يطفئ نور الله، و الله متم نوره و لو كره الكافرون.

فنسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن تبع راية أهل البيت عليهم السلام فيلحق، و ألا يجعلنا ممن يتقدم عنها فيمرق، أو ممن يتأخر عنها فيمحق. و صلى الله على محمد و آله و سلم.

الهوامـــش

١-كمال الدين و تمام النعمة للصدوق : ج ٤/١ (دار الكتب الإســـلامية، الطبعـــة الثانية : ١٣٩٥ هـــ، صححه علي أكبر الغفاري)

٢-الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي : ١٤٨-١٤٩ (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعـــة الأولى : ١٤٠٩هـــ)

٣-كمال الدين : ج ٢٥٧/١

٤-مصنفات شيعة : ٣٨٨/٦ (ترجمة و تلخيص لكتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف الشيخ آقا بزرك الطهراني، ترجمه محمد آصف فكرت، تـــاريخ الطبـــع : ١٣٧٥، مشهد)

٥-علل الشرائع للشيخ الصدوق : ج ٢٤٣/١ (دار البلاغة، بيروت)

٦-كمال الدين : ج ٣٠١/٢

٧-كمال الدين : ج ٦٤١/٢

٨-كمال الدين : ج ٣٨٣/٢

٩-كمال الدين : ج ٣٧٢/٢

١٠-مقدمة ابن خلدون : ٢٤٦

١١- مقدمة ابن خلدون : ٢٤٦

١٢-كمال الدين : ج ٢٩١/١

١٣-كمال الدين : ج ٣١٧/١

١٤-سورة الملك الآية : ٣٠

١٥-كمال الدين : ج ٢١١/١

١٦-كمال الدين : ج ٣٣١/١

١٧-كمال الدين : ج ٣٤٦/٢

١٨-كمال الدين : ج ٦٥٨/٢-٦٥٩

١٩-كمال الدين ج ٦٦٠/٢-٦٦١

٢٠-أصول الدين لآية الله العظمى السيد كاظم الحسيني الحائري : ٢٧٦ (الناشر : دار البشر، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ)

٢١-حقائق الإيمان لزين الدين بن علي بن أحمد العاملي : ١٨٢-١٨٣ (نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي -قم، الطبع الأولى : ١٤٠٩)

٢٢-كمال الدين : ج ٣٣١/١

٢٣-كمال الدين : ج ٢٠١/١

٢٤-كمال الدين : ج ٢٠٢/١

٢٥-كمال الدين ك ج ٢٠٣/١

٢٦-عارضة الأحوال شرح صحيح الترميذي لابن العربي : ٧١/٥ (دار الفكر بيروت، ١٤١٥ هـ)

٢٧-سورة الإسراء الآية : ٩

٢٨-كمال الدين : ج ٤٤١/٢

المهدوية مقاربة عقائدية

ادريس هاني

تصدير:

تعد المهدوية من بين المعتقدات التي و اجهت و لا تزال تواجه الكثير من ضروب الانتقاد و التهوين. إذ لا يكلف الرافض لها نفسه لإيراد الأجود من الأدلة المخالفة لهذا الاعتقاد، و لا حتى يحقق فيما جاد به المنقول أو عالجه المعقول في مقام الثبوت و الإثبات . حتى باتت و احدة من العقائد التي يتبادر إلى أهل الحجاج ، أنها ثغرا متاحا لكل من شاء أن ينهز الصرح العقائدي الديني عموما و الإمامي خصوصا. و لم يجدوا لهم ملاذ في دفعها سوى أن توسلوا مجملا بدعوى مناقضتها لروح العلم و منطق الأشياء و صولة البرهان . و يكاد القوم يضعون و قرا في الآذان و غشاوة في الأعين ، حتى لا يبلغ الخوض في المهدوية مداه ، استثقالا و ريبة. و لا نخال أضراب هؤلاء الذين لا يحققون فيما يرفضون و لا يواجهون سيل الأدلة التي بلغت بعقيدة المهدوية ما لا يدع مجالا للشك ، كحقيقة تواتر الإخبار عنها ، و أجمع الخاصة و العامة على أنها مما لا يخدش في و جودها حقيقة بالجملة. و لأنها كذلك لم يجد الكذابون و الدجالون أفضل طريق للنصب و الاحتيال على ضمير الأمة من ادعاء المهدوية جهارا ، حيث نافسهم في مثل هذا الادعاء قادة و ملوك مشهودون في التاريخ الإسلامي ، ادعاء أو تمثلا أو نزولا منزلة المهديين للمهدي. كل ذلك ما كان ليحدث لولا رسوخ هذا الاعتقاد في نفوس المسلمين. و حيث هذا الادعاء لم يستطع ان يشط بهذه الحقيقة عن مسارها الطبيعي ، سوى لأن الخلاف و قع فيها في الجملة و على مستوى التفاصيل. حيث ما أن نقترب من مدرسة أهل البيت — ع — حتى يبدوا من الممتنع ادعاء المهدوية ، بعد أن أصبح شأنها و اضحا و علاماتها المختومة و الموقوفة و افية. أحصاها الجيل بعد الجيل. و كلما نأينا عن هذه المدرسة كلما سادت الفوضى ، فأمكن من هب و دب أن يدعيها ؛ فصارت في كثير من الحالات صنعة يحترفها الحمقى و يصدقونهم. و كل ذلك لأن الأمر لم يتحقق في الجملة و على نحو الموجبة الجزئية المانعة من التيه و الضلال ، حيث يصبح الاعتقاد بالجملة دون ضبط التفاصيل أخطر

أحيانا من الجحود بها. هكذا كانت في مدرسة أهل البيت ـــ ع ـــ ، تنسجم مع الإطار العام ، باعتبارها حلقة أخيرة من مسلسل الحجج و الأئمة الأطهار ـــ ع ـــ. كما فصلت تفصيلا مانعا من استغلالها لاستغفال الضمائر و النفوس الضعيفة ادعاءا و انتحالا. فالميزتان معا؛ الانسجام العقائدي و الضبط التفصيلي ، هما سمتا العقيدة المهدوية في مدرسة أهـــل البيت ـــ ع ـــ.

ويستند الرافضون للمهدوية على مسوغين ، هما من الهشاشة بحيث لا ينهضان دليلا و افيا على صدق موقفهم، متى أدركنا أن الرافض لا يقع رفضه إلا بقلة اطلاع و تحقيق، و مكابرة و عناد. فلا كتاب به يهتدون و لا عقل به يحاجون.

ومن أنكر ما تعلل به الرافضون أن حصروها في و رود المسيح بديلا حتى لا يقولوا بما تواترت به الأخبار من أمر مهدي الأمة ، بل و حتى لو صح في أصول العامة و الخاصـــة الأخبارية بان من أهم الأحداث في نزول المسيح صلاته و راء مهدي الأمة ، فان العنـــاد جعل البعض يهون عليه التصديق بعودة المهدي و قيامه بما سيقوم به. فكان نزاعهم لـــيس في تصور رجعة نبي ـــ المسيح ـــ اختفى و لا في أي مظهر من مظاهر ذلـــك الإمكـــان المتحقق حتما، بل نزاعهم في ثبوت الإخبار بظهور حجة ، من الأمة نفسها. و لا يحتـــاج المرء ان يدفع هذا التعلل إلى كثير شواهد و أدلة. فأولى بحجة شاهد على الأمة التي شكلتها الرسالة الخاتمة أن يقوم بهذا الدور العظيم من نبي بعث لقوم و لم يصطف للخاتمية على علو شأنه ، و هو من أولي العزم. هذا مع أن ما و رد من شواهد متواترة تـــورث القطـــع و اليقين، مما يفوق ذلك النزر القليل من الأخبار التي تحدثت عن المسيح ـــ ع ـــ. يظهـــر جليا أن أمر المهدي مستقل عن نزول عيسى بن مريم. و مع تكاثر الروايات المخبرة عـــن حدوث الأمرين معا دون تزاحم، إلا أن البعض حاول أن يلبس هذا بذاك حـــتى قـــال بعضهم لا مهدي إلا عيسى.وقد أفرد الشيخ محمد باقر الإلهي القمي رسالة في رد هـــذا التلبيس أسماها :"الروض الفسيح في بيان المهدي و المسيح". و الواقع أن التوقف عند هذا الالتباس و تغليبه على ما تكاثر من أمر المهدي دونه خرط القتاد. و هاهنا ابن خلـــدون الذي استعرض ما روي عن الإمام المهدي ـــ عج ـــ يصحح بعضا منه، مع أنه حـــاول تضعيف غالبيتها.غير أن هذا لم يمنعه من رد زعم المنكرين المتشبثين بحديث محمد بن خالد

الجندي المروي عن انس بن مالك عن النبي ـــ ص ـــ حيث قال:"لا مهدي إلا عيسى بن مريم". و قد استعرض ابن خلدون رأي الحاكم في قوله بمجهولية محمد بن خالد. غير أنـــه تطرق إلى محاولة الجمع العرفي التي حاولها البعض دون جدوى فقال:"وبالجملة فالحـــديث ضعيف مضطرب و قد قيل أن لا مهدي إلا عيسى أي لا يـــتكلم في المهـــد إلا عيـــسى يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو الجمع بينه و بين الأحاديث و هو مدفوع بحديث جريج و مثله من الخوارق"[٢١٤]

ومادام الأمر مؤكدا في المنقول ، أصبح من الضروري التسليم به ما لم يرد ما يخدش في قطعية صدوره كما لا يخفى . و لا نخال الإمامية متراخية في تحقيق ثبوت تلكم الأخبار ، حيث لا ثبوت للعقائد الكبرى إلا بما صح و تواتر. فالعقائد لا سيما الكبرى منها لا تثبت بخبر الآحاد. و حيث أجمعت الأمة على أن مصادر اعتقادها هـــي القـــرآن و الـــسنة و الإجماع و دليل العقل مع خلاف في الجملة حول ما إذا كان العقل يستقل بأحكامه أم أنه يدور مدار السماع و جودا و عدما ؛ فإن استناد المهدوية على قطعي الـــصدور يجعلـــها ثابتة حسا لا حدسا ، خلافا للمنكر.

دليل القرآن:

٩٣ لو أنك تأملت نصوص القرآن الكريم ، و نظرت في أسرار آياته ، لتأكد لك بأن عقيدة المهدي تكاد تتخلل كل حقائقه. و عجبا للمسلمين كيف عز عليهم أن يستلهموها من قرآنهم حيث استلهمها مستشرق أجنبي، هو هنري كوربان الذي عزاها إلى أصل القـــرآن دفعا للقائل بأنها منتحلة عن الأفكار و المعتقدات التي نشأت في المجال الديني و السوسيو ـــ ثقافي الذي حلت به الرسالة الاسلامية. فالقرآن نفسه و عد بأن يقيم على الأرض جنـــة تتنزل بركاتها من السماء. كما و عد بخسف الكافرين و فشلهم المتوقع مهمـــا عتـــوا في الأرض عتوا و استكبروا فيها استكبارا. و عليك أن تحصي كل الآيات التي و عدت بتلك الوعود دون أن تتحقق و احدة منها حتى اليوم ؛ و ها هو الرسول الخاتم ـــ ص ـــ قد و

---

[٢١٤]. ابن خلدون، المقدمة ـــ ص ٣٥٦/٣٥٧ المصدر

لى ، و ها هم الأئمة الأطهار قد التحقوا بالرفيق الأعلى ، فمن يا ترى حقيق بأن يحقق و عد الله في الأرض.

يقول تعالى في كتابه الكريم :" (هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى و دين الحَقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه و لَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ) "[٢٢٠].

قال القرطبي : « و قال السدّي : ذاك عند خروج المهدي ، لا يبقى أحد إلّا دخل في الإسلام »[٢٢١].

وفي قوله تعالى : (و إنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهِ وَاتَّبِعُونِ هَذا صِراطٌ مُستَقيم) [٢٢٢].يقول الكنجي الشافعي في كتابه البيان : «وقد قال مقاتل بن سليمان و من تابعه من المفسّرين في تفسير قوله عز و جل : (و إنّه لَعِلْمٌ للساعة) هو المهدي عليه السلام ، يكون في آخر الزمان ، و بعد خروجه يكون قيام الساعة و أمارتها».[٢٢٣]

وهذا قبس من نار ما جاء تفسيرا حقيقيا و مصداقيا ، لكثير من الآيات من كافة المفسرين سلفيين و معتزلة و إمامية ؛ كالقرطبي و الرازي و الزمخشري و ابن كثير و النسفي ؛ لك أن تتخذ ذلك ميزانا تزن به حقيقة و مصداق كل آية فيها و عد لم يتحقق ، و ما أكثره ، إلا و كان أمارة على أن أمرا لم يتم في دنيا الناس ، الله متمه و لو كره الكافرون. و لا يتصور تحققه إلا في ضوء العقيدة المهدوية و ما حاط بها من أخبار تعزز شأنيتها و تجعلها الأنسب لتحقق هذا الأمر العظيم، فافهم. و قد أجمع المفسرون على و رود هذه الآيات في حق المهدي و آخرون كما قلت قبل قليل حصروها في المسيح ، مع أن لا تعارض بينهما لتقارن نزوله مع ظهور الحجة ـــ عج ـــ. إلا أن يقال كان ذلك استئقالا لذكر أمر مهدي الأمة. و قد ظهر لك أن أهل العلم و التحقيق لا يمانعون في أصل الموضوع، بل و كلهم بمختلف مدارسهم و مواقفهم في المنقول و المعقول ، فسروا الآيات المذكورة بالظهور. و يبدو أن أهم ما يجدر الوقوف عنده في المقام؛ أن القرآن

ـــ التوبة : ٩ | ٣٣. [٢٢٠]
ـــ تفسير القرطبي ٨ : ١٢١ [٢٢١]
ـــالزخرف : ٤٣ | ٦١. [٢٢٢]
ـــالبيان في أخبار صاحب الزمان : ٥٢٨ [٢٢٣]

أكبر شاهد على حقيقة الإمام المهدي من جهة الإمكان العقلي و الإمكان الواقعي. فأنت تجد القرآن الذي شاء له العزيز الحكيم الاقتصاد في سرد فصول أخبار من كانوا قبلنـــا و أن يبرز من القصص ما ينتفع به و يصلح مادة للتأمل ، حتى يكون حاكما لما تشابه على الأمة ، فترده إلى محكم الكتاب ، فتهتدي به إلى صراط مستقيم. و قد دعيت الأمـــة أن تعود إلى كتاب الله و تحكم به ما تشابه عليها. فلا و جود لسر تلبس به أمر المهدي إلا و له نظائر من الذكر الحكيم. فانظر تجد أن أمر الغيبة متكاثر الأمثال و النظـــائر، كرفعـــة إدريس و عيسى و غيبة يونس عن أنظار الناس في بطن الحوت و غيبة موسى أربعين يوما عن قومه من الأنبياء ، أو اختفاء أمر إلياس أو الخضر من عموم الصالحين و تدبيره السري لما ينفع الناس. و انظر تجد لأمر الغيبة الطولى نظائر كأهل الكهف الذين دخلوا في نـــوم امتدت بهم جيلا بعد جيل ، و كلبهم معهم باسط ذراعيه بالوصيد. فإذا لم يكن عزيزا أن يبقي الله فتية يتقلبون على جنوبهم ليكونوا آية لقوم شاء الله أن يسخرهم في طريق لطفه ، كيف يعز عليه ذلك في صالح أهل بيت النبوة ـــ ص ـــ. و إذا كان كلها أمكنه أن تطول به الغيبة كل هذا العدد من السنين ، هل يكثر ذلك على من هو في الشأن أعظم؟!

لم يرد في أمر المهدي أنه سيفعل شيئا لم نجد له نظائر في القرآن و ألزمنا على الاعتقاد به ، بل إن و احدة من حكمة الخالق على إيراد هذه الأمثال أن يجعل الاعتقـــاد بالمهـــدي تحصيل حاصل في الاعتقاد الديني. فالذين عز عليهم الاعتقاد بالمهدي و هـــاهم الـــدور العظيم الذي سيسند إليه في عصر الظهور، لا جرم هم أعجز عن التـــسليم و الاعتقـــاد بأدوار من سلف من الصالحين ؛ كذي القرنين الذي صنع للقوم الذين استغاثوا به، ســـدا عظيما. أو الخضر الذي كان يتصرف بالعلم لا بالظاهر، أو ما جاء في أمر نـــبي عـــاش مسبحا في بطن الحوت أو فتية غيبوا سنين عددا في كهفهم.. إنه سؤال الإيمان. فمن أمكنه أن يؤمن بهذا في الأول أمكنه الإيمان به في المآل.وبذلك و صفوا في محكم التنزيل"الـــذين يؤمنون بالغيب"!

دليل السنة:

لا ننوي الإطناب في استعراض كافة الأدلة الروائية المستفيـــضة في شـــأن المهـــدي و ملابسات ظهوره. فلو انضم ذلك الكم الهائل من الروايات عن طريق الخاصة بتلك التي و

ردت من طريق العامة ، لعدت بالآلاف. و هي متواترة ، فيها الصحيح و فيها الضعيف لجهة الإسناد ، و ضعيفها مجبور بالتواتر. و حيث المقام لا يتسع اكتفينا ببعض الروايات الواضحات التي لا لبس يعتري ظاهرها ، و أيضا ذكر من روى أخبار المهدي من طريق العامة، حيث لا حاجة لإيراد ما روي عن طريق الخاصة ، فهو تحصيل حاصل في المقام.

منها ما رواه البخاري في صحيحه،عن أبي هريرة قال: قال رسول الله و عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص): "لا تذهب الدنيا و لا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي"[٢٢٤].

وعن أبي هريرة قال: ذكر رسول الله (ص) المهدي فقال: "يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع، و إلاّ فتسع. فتنعم فيه امتي نعمة لم ينعموا مثلها قط"[٢٢٥].

ويروي أبو داود في سننه عن جابر بن سمرة قال: "سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة"[٢٢٦].

وعنه أيضا عن سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): "المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً، و يملك سبع سنين"[٢٢٧].

فهذا فيض من غيض مما روي صريحا و تلميحا ، فلا يكاد يخلو مصنف روائي من باب يعقد لذكر أمر المهدي من أمة محمد ـص ـ. فأخبار عيسى و الظهور، و اردة في صحاح العامة، بحيث تكفي لوحدها أن تكون شاهدا على ذلك ، نظرا لتواترها و صحة بعض طرقها عند القوم ، و كذا يمكن إكمال تفسير ما سكت عنه في بعضها من خلال ما صرحت به أخبار أخرى. حيث ليس هاهنا مندوحة لذلك. يقول ناصر الدين الألباني : « أما مسألة المهدي فليعلم أنّ في خروجه أحاديث صحيحة ، قسم كبير منها له أسانيد صحيحة»[٢٢٨] . و بذلك يكون قد عبر عن إجماع كبار المحدثين السنة عن أن أخبار المهدي قد تواترت. فأخرجوا أخباره في مصنفاتهم و مجاميعهم الروائية كما تحدثوا عن أنها أو

ـ مسند أحمد: ١: ٤٣٢ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٤٤٨. و الترمذي، كتاب الفتن باب ٥٢. و سنن أبو داود ٤: ١٠٧. [٢٢٤]

ـ و الحاكم في المستدرك ٤: ٥٥٧ [٢٢٥]

ـ سنن أبي داود ٤: ١٠٦ [٢٢٦]

ـ و سنن أبو داود ٤: ١٠٧ [٢٢٧]

ـ ناصر الدين الألباني ، حول المهدي ، مجلة التمدن الاسلامي،دمشق ، ٢٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ [٢٢٨]

بعضها على الأقل مما لا مجال لرده ، لصحته و تواتره. و من هؤلاء ؛ الإمـــام الترمـــذي ،الحافظ أبو جعفر العقيلي (ت | ٣٢٢ هـــ)، الحاكم النيـــسابوري (ت | ٤٠٥ هـــــ) ، الإمام البغوي (ت | ٥١٠ هـــ أو ٥١٦ هـــ)، ابن الأثير (ت | ٦٠٦ هـــ) ، القـــرطبي المالكي (ت | ٦٧١ هـــ)،ـــ ابن تيمية (ت | ٧٢٨ هـــ) ، ـــ الحافظ الذهبي (ت | ٧٤٨ هـــ) ، الحافظ ابن القيّم (ت | ٧٥١ هـــ) ، التفتازاني (ت | ٧٩٣ هـــ) و غيرهم كثير.

المنكر شاذ:

وعند التحقيق يظهر أن من أنكر أخبار المهدي من العامة ليس في يده ما يدفع به شدة التواتر و شهادات أولئك الأعلام الذين، و إن ضعفوا بعض الطرق ، إلا أنهم صـــححوا أخرى. و إذا علمت أن بعض ضروب الضعف يمكن جبره ، بإعادة تركيب السند، فيمـــا لو وجد مشترك بين الأسانيد و لم يختلف المتن ، تصبح كلها صحيحة . لكـــن بعـــض المنكرين و هم في الأغلب معاصرين. و قد استندوا في ردهم و تضعيفهم لأحاديث المهدي على رأي ابن خلدون ، و الطريقة التي تناول بها أخبار المهدي عنـــد القـــوم. و مـــع أن الكثيرين تصدوا للموقف الخلدوني من طريقة تناوله لبعض الأخبار حول الإمام المهدي ، إلا أنني أرى أن شيئا ما لا يزال في جعبتنا بخصوص الطريقة الخلدونية في تنـــاول هـــذه الأخبار و أيضا المنظور الفلسفي الذي بنى عليه رأيه بهذا الخصوص. و بذلك سنبرئه ممـــا كاد ينسب إليه من القول بالنكران.

استناد احمد أمين و آخرون على تضعيف ابن خلدون لأخبـــار المهـــدي ، تـــدليس ، يفضحه ابن خلدون نفسه ، حيث اعترف بصحة بعض من تلك الأخبار . بل و يؤكـــده اعترافه بحقيقة المهدي بمقتضى المشهور بين كافة المسلمين. و قد يبدو للبعض أن موقـــف ابن خلدون من المهدوية ، موقف نهائي و سلبي، حيث عالجها في فصول مخصصة لتنـــاول عقائد الشيعة أو أمر الفاطمي. ثمة فصلان يتناول فيهما ابن خلدون مسألة المهدي في سياق ، يوحي بالكثير من الالتباس و الخلط. الفصل السابع و العشرون من المقدمة ، و هو فصل في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة. و الآخر هو الفصل الثـــاني و الخمـــسون، في أمـــر الفاطمي و ما يذهب إليه الناس في شأنه و كشف الغطاء عن ذلك. و مما يؤســـف لـــه أ

يقول تلميذ لأحمد أمين:" سعد محمد حسن : «ولقد أوسع علماء الحديث و نَقَدَته هذه المجموعة نقداً و تفنيداً و رفضها بشدة العلاّمة ابن خلدون"[٢٢٩]. و زاد السائح الليبي:"

وقد تتبع ابن خلدون هذه الأحاديث بالنقد، و ضعفها حديثاً حديثاً"[٢٣٠].

مبدئيا لا وجود عند ابن خلدون لما يسند قول المنكرين. و يكفي أن يقول في بداية الفصل الثاني و الخمسون من المقدمة :" اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين و يظهر العدل و يتبعه المسلمون و يستولي على الممالك الاسلامية و يسمى بالمهدي و يكون خروج الدجال و ما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح.."[٢٣١]

وما محاولة ابن خلدون في استعراض جملة الاخبار عن المهدي ، سوى للوقوف عند الصحيح منها و غيره ، كما قال:"ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة في هذا الشأن و ما للمنكرين فيها من المطاعن و ما هم في إنكارهم من المستند ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة و رأيهم ليتبين لك الصحيح من ذلك إن شاء الله تعالى"[٢٣٢].

وحينئذ لا إشكال في و جود الضعيف إلى جانب الصحيح. فمثل ذلك و ارد في كل الأصول ، لا بل في كل الفروع. فما من مبحث أصلي كالتوحيد أو فرعي كالصلاة ، إلا و يوجد فيه الصحيح إلى جانب الضعيف. فمتى بلغ الخبر التواتر صحح ما دونه إن تشابه المتن ، فلا يلتفت إلى و جود الضعيف في سنده. و لم نجد من فائدة فيما قدمه ابن خلدون و هو يستظهر بعض الأخبار حول المهدي، بلغة أهل الحديث في التصحيح و التضعيف، و هو الذي تناولها في سياق محكوم بمبناه في التاريخ و علم العمران، ما كان يكفيه بلوغه دونما مشقة. و مع ذلك يقال ، أن الاضطراب كان باديا في تناول ابن خلدون لموضوع المهدي من جهة الاخبار . فهو في الفصل السابع و العشرون:" و قال مثله غلاة الامامية و خصوصا الاثنا عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من المنتهم و هو

---

[٢٢٩] ــ المهدية في الإسلام ، ص ٦٩

[٢٣٠] ــ علي حسين السائح الليبي : ١٨٥. مقال منشور في مجلة كلية الدعوة الاسلامية في ليبيا، عدد ١٠ لسنة ١٩٩٣م ــ طبع بيروت

[٢٣١] ــ ابن خلدون، المقدمة ، ص ٣٤٤،ط.دار الجيل، بيروت ، بلا تاريخ

[٢٣٢] ــ المصدر ، ص ٣٤٥

محمد بن الحسن العسكري و يلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم في الحلة و تغيب حين اعتقل مع امه هناك و هو يخرج آخر الزمان فيملأ الارض عدلا ، يشيرون إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي"[٢٣٣]. على أن من أنكر عليهم اعتقادهم ذلك لهم طرق غير الترمذي.

و مع أن الظاهر يوحي بالتهافت في ما ساقه ابن خلدون حول المهدي ، إلا أنني أعتقد بأن ابن خلدون لم يرد القول أن سبب الغلو هاهنا هو الاعتقاد بالمهدي الوارد في الصحيح باعترافه. بل سبب الغلو في نظره هو الحديث عن أن المهدي المذكور في الصحيح هو نفسه الحجة بن الحسن ـــ عج ـــ. فالاستشكال شخصي لا نوعي.

هنا لا بد أن نذكر إن ابن خلدون مؤرخ و ليس محدثا كما لا يخفى. و إن ما أورده من أخبار ، و من النتائج التي استخلصها ، يوحي بأنه لا معرفة له بالأخبار بله التصرف فيها على أساس الجمع العرفي متى تعارضت هذه الأخيرة. يقول ابن خلدون:" هذا آخر ما اطلعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة و ما أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا "[٢٣٤]. و عليه ، فإن استفراغ الجهد في طلب المظان لم يتحقق مع هذا القدر اليسير من الاخبار التي تطرق إليها ابن خلدون بينما غيرها مما لم يحصه يعد بالآلاف. فادعاء الاستقصاء و استيفاء الأخبار حول المهدي ، هو ادعاء مزيف. ما دام لم يتطرق إلى أغلبية ما و رد حول المهدي في مصنفات القوم. ثم ما ذا درا من أمر الإمامية حينما زعم أنهم يقصدون الحديث المروي عند الترمذي؛ و قد ظهر بأن ابن خلدون لم يقف عند عشرات الأخبار التي و ردت في مصنفات العامة بله و جود نظائرها في مصنفات الخاصة. إلا أن يقال ، أن ابن خلدون كما أحصينا من زلاته تلك الكثير في غير محلنا، أي أن تحيزه مانعه من الوقوف عند الحقائق كما هي. ثمة تراخي ملحوظ في طلب الحقيقة متى تعلقت بالتراث الآخر. لقد كان ابن خلدون ضحية ساذجة لثقافة الملل و النحل التي استند إليها مسلما بنتائجها. يكشف ابن خلدون عن هشاشة اجتهاده في معرفة التراث الآخر، حيث مضى يبني مواقفه و أحكامه على آراء الملل و النحل الذي

---

[٢٣٣] ـــ المصدر ، ص ٢٢٠

[٢٣٤] ـــ المصدر ، ص ٣٦٢

ارتقى صاحبها بالعناوين و النعوث إلى مصاف المدارس القائمة. حيث ذكر من الاتجاهات و المدارس و المذاهب ما كان بعضه مجرد سبة أو تهمة أو و صف لا و جود له في الواقع. و مع ذلك يقول فيلسوف العمران:"ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل و النحل للشهرستاني(...)ومن أراد استيعابها (أي مذاهب و مقالات الشيعة) و مطالعتها فعليه بكتاب الملل و النحل لابن حزم و الشهرستاني"[٢٣٥].

وعليه أمكننا التصديق بقولة للشيخ أحمد شاكر : «ابن خلدون قد قفا ما ليس له بـــه علم، و اقتحم قحماً لم يكن من رجالها ، انه تهافت في الفصل الذي عقده في مقدمته تهافتاً عجيباً ، و غلط أغلاطاً و اضحة . إنّ ابن خلدون لم يحسن فهم قول المحدّثين ،ولو اطّلـــع على أقوالهم و فقهها ما قال شيئاً مما قال"[٢٣٦]. و قد رد أحمد بن محمد بن الصديق علـــى ابن خلدون ردا أسماه : (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) .

إلا أنه و حتى لا يظلم الرجل، فابن خلدون لم يكن في و ارد رد أخبار المهدي ، بقدر ما أعترف بصحة الكثير منها، و لم يخرج عن مقتضى الإجماع على تواترها. بل الالتبـــاس ناشئ عند ابن خلدون من أنه عالجها ضمن سياق التاريخ السياسي لبعض أدعياء المهدوية أو ما نسب إليهم من قبل كتاب أهل الملل و النحل كما أكد ابن خلدون سابقا معرفـــا بمصادره.

ثمة ما هو جدير بالتذكير في المقام. و هو أن ابن خلدون يؤطر رؤيته الـــسياسية علـــى أساس منظور مبنائي قوامه العصبية. و على هذا الأساس جاءت قراءته لواقعة كربلاء ، و اعتبارها نوعا من سوء الفهم لسنة الملك ، حيث اعترف للإمام الحسين ـــ ع ـــ بـــالحق في الموقف و الصدق في دعوته ، إلا أنه غلطه في الخروج مع فقـــد الـــشوكة و ضـــعف العصبية. و هاهو يعود لمبناه و يترك كل هذا النقاش الاخباري الذي لم يكن لـــه ملـــزم، حيث يقول:" و الحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين و الملـــك إلا

٢٣٥ــ المصدر ، ص ٢٢٣

٢٣٦ــ الرد على من كذب بالاحاديث الصحيحة الواردة في المهدي : مقال للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ، منشور في مجلة الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة العدد | ١ السنة | ١٢ برقم (٤٦) سنة ١٤٠٠ هـ

بوجود شوكة عصبية تظهر و تدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه و قد قررنا ذلـــك من قبل بالبراهين القطعية"[٢٣٧].

يفهم من ابن خلدون أنه مع فرض التسليم بالمهدي ، لا يقر بظهور دعوته و تحقق بسط اليد لقائمها بالشكل الذي يظهر من الروايات إلا إذا تحقق شرط العـــصبية. و الحـــال أن الدعوات التي يتحدث عنها ابن خلدون ، لم تقع في سياق العصبية لقريش و الفـــاطميين، التي اعتبرها ابن خلدون قد تلاشت من جميع الآفاق و وجد أمم آخرون قـــد اســـتعلت عصبيتهم على عصبية قريش إلا في الحجاز في مكة و ينبع و المدينة...وهم منتـــشرون في تلك البلاد و غالبون عليها و هم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم و إماراتهم و آرائهم يبلغون آلافا من الكثرة فإن صح ظهور هذا المهدي فلا و جه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم و يؤلف الله بين قلوبهم حتى تتم له شوكة و عصبية و افية بإظهار كلمتـــه و حمـــل الناس عليها و أما غير هذا الوجه مثل أن يدعوا فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية و لا شوكة إلا نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك و لا يمكـــن لمـــا أسلفناه من البراهين الصحيحة."[٢٣٨].

لقد أورد ابن خلدون حديثه هذا لرد دعوة من أسماهم بالعامة و الأغمار من الدهماء ، الذين يوجبون تحقق الظهور لمجرد النسب لا بتحقق الشوكة و العصبية. و الحق أن نظرية ١٠١
الشوكة على و اقعيتها ، تصلح أن تكون دليلا على ظهور المهدي ، و أيضا مانعـــا مـــن استغلال الدعوة المذكورة في غير محلها. لكن قبل ذلك لا بد من مناقشة ابن خلـــدون في كيفية تنزيله لنظرية العصبية، في موضوع الامام الحسين و المهـــدي ـــ ع ـــ. إن نـــسبة الغلط للإمام الحسين بالنسبة لابن خلدون هي نتيجة تطبيق سطحي للنظرية التي اجترحها و منحها كل هذا الاقتدار التفسيري. و أحسب أن المشكل في المعطيات التي يستند إليها بن خلدون و ليس في صميم النظرية، حيث لا خلاف حولها. حيث السؤال المطروح على ابن خلدون: من قال إن الحسين خرج طلبا للملك ، حتى يشترط العصبة؟ ألو يؤكد بأن دعوته ثورة في و جه الظلم ، و أمرا بالمعروف و نهيا عن المنكر؟ ألم يحاصر و يفرض عليه

---

[٢٣٧] ـــ المصدر السابق ، ص ٣٦٢
[٢٣٨] ـــ المصدر ، ص ٣٦٢

البيعة و الذلة ، فكانت ثورته من أجل الكرامة و فضح الطغيان لا طلبا للملك. فأين غلط الحسين حاشاه، كما يقول ابن خلدون، و لما تراءى لهذا الأخير أن الحسين طالب ملـــك. إن نظرية العصبية ، تحصر العالم و تاريخ البشر التدافعي و الصراعي في العصبة و الشوكة. و هي بذلك لا تفتح مجالا للثورة على الظلم و الاحتجاج. فالعصبية بالمنظور الخلدوني هي و حدها القوة ، و هي تتمتع بوضع قار و كيف خاص. بينما أكدت حركة التاريخ ، بأن القوة تتحصل من التدبير الأمثل لعلاقات القوة و استغلال الحدث السياسي. و قد كـــان دائما لبني هاشم من العصبية ما يكفي، حيث قامت دول في التاريخ الإسلامي بالدعوة إلى آل محمد ـــ ع ـــ كما هو شأن العباسيين ، و الفاطميين و البويهيين و الحمدانيين و دولة الأدارسة و غيرهم. لم تنحصر عصبتهم في الحجاز فقط ، بل امتدت إلى فارس و أفريقيا و بلاد ما بين النهرين..نعم إن النظرية الخلدونية تجيب عن سؤال: لماذا هو غائب ؟ حيـــث الغياب و الحضور مشروط بتحقق العصبية المستوفية و الشوكة الكافية لتحقـــق ملكـــه و انبساط يد سلطانه. فوجود النسب و حده لا يكفي. و حيث جوهر القضية ليس مجـــرد النسب بل خصوصية فيه اقتضت تخصيص الأئمة من آهل البيت ـــ ع ـــ. إن الحديث عن المهدي مع تحقق العصبية اللازمة أمر يسلم به ابن خلدون.لكنه لا يسلم به دون شوكة بها يتحقق ملك المهدي على الأرض. و عليه ، فإن كل الأخبار التي تتحدث عن المهـــدي ، تتحدث عن التأييد بالقوة و العصبية و بكل ما تحتاجه دولته و ما يقتضيه بـــسط اليـــد. يكون ابن خلدون على خلاف ما ادعاه المنكرون ، مقرا بالمهدي ، و مـــسلما بـــصحة أخبارها. لكنه اشترط قيدا بها تتقوم ؛ ألا و هو العصبية. و ليس هذا إلا عين ما يتعين أن يكون عليه الاعتقاد بالمهدوية، بوصفها تجلي لأكبر عصبية في تاريخ البشر. حيـــث كـــل أسباب الدعم و التأييد و التسديد ستكون معه. فهو مهدي مزود بكل أسباب القوة؛ بل و كما أكدت الروايات: سيرقى في أسباب السماوات و الأرض. و هو عنوان العصبية ، ليس بمدلولها الخلدوني التقليدي و الساذج ، بل هي عصبية قائمة على اســـتغلال أمثـــل لعلاقات القوى في عالم معاصر ، تغير فيه كل شئ حتى مفهوم الشوكة و العصبية.

دليل الإجماع:

لم نكن في حاجة إلى إجماع طالما لم تصل النوبة إليه. غير أن الإجماع هنا هو تأكيد على التواتر و صحة أخبار المهدي كما تحدث عنها أعلام المدرستين. و بهذا المعنى يصدق الإجماع — و تلك من كرامة مهدي الأمة عج — بمعناه المعتبر عند العامة و الخاصة. فلا يخفى أن حجية الإجماع في مدرسة أهل البيت كاشفية غير موجدة ، سواء أتعلق بالمحصل منه أو المنقول. من هنا ما كان أجرأ من فقهاء الإمامية أن ردوا جملة من الاجماعات المزعومة استنادا إلى قرائن تزلزل كاشفية هذا الإجماع. و ذلك حيث كانت حجية هذا الأخير ثابتة بالعرض لا بالذات. فالمعتبر فيه ما كان كاشفا عن رأي المعصوم و إلا فهو مسامحة ، أو مسامحة في مسامحة كما عبر عن ذلك سلطان الأصوليين الشيخ مرتضى الأنصاري في رسائله بخصوص الإجماع المحصل. أمكن حينئذ أن يلحق الإجماع في مدرسة أهل البيت بالسنة ، لأنه يدور معها برسم الكاشفية و جودا و عدما.غير أن النكتة في المقام ، أن ثمة شكلين من الإجماع ثابت هاهنا، و تتحقق حجيته باعتبار المدرستين معا، مما يجعله أقوى إجماع على الإطلاق. فمن جهة ، لا أحد من المسلمين خرج عن مقتضى الإجماع و لو اختلف في المصداق الشخصي لأخبار المهدي. فبين من قال أنه هو الحجة بن الحسن — ع — و بين المنكر الذي يقول بولادته آخر الزمان، لا أحد قال بأنه سيكون مهديا من خارج الأمة ، أو أنه من غير بيت النبوة. و لا أدل على ذلك من قول ابن خلدون الذي مر معنا حيث تحدث عن المشهور بين كافة أهل الاسلام على مر العصور أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت. و قول ابن خلدون عمدة في المقام ، لما علمت أنه و بناء على نظرية العصبية و الغلب ، كان أحرى بفيلسوف العمران أن ينكرها و يتحدث عن تاريخ مفتوح على كل أشكال العصبية الممكنة، و حيث أكد على أن عصبية قريش او الهاشميين انتهت و كادت تنحصر في الجزيرة العربية . و الشهرة التي يتحدث عنها ابن خلدون كما رأيت ، ليس بمدلولها الشرعي ، بل بمدلولها اللغوي الذي يؤدي بحسب الاصطلاح معنى الإجماع ، حيث جعله أعم و أوثق بقيد كل الاعصار ، كناية على ان ما من طبقة إلا و تمت فيها الشهرة، و لم يرد من العلماء من شكك في ذلك المعتقد ، بل إن ابن خلدون استعرض كما مر معنا من تلكم الأخبار ما

أكد صحة كثيره كما ثبت بموقف أهل التصوف و الذوق إثباتا لعقيدة المهدوية بطريق الحدس.

يتحصل مما ذكرنا أن الإجماع قائم في المدرستين و على أساس اعتباريته فيهما معا. فالاجماع ثابت و فق ما اعتبر عند الخاصة لجهة إجماع أهل الاخبار المعتبرين ، كما أن الاجماع عند الامامية قائم هاهنا و فق المعتبر منه في المدرسة ، حيث هو من جنس الاجماع الحسي كما لا يخفى. فهو ليس فقط كاشفا عن رأي المعصوم حدسا كما لو تعلق الأمر بآراء فقهائية مع فقد الدليل ، بل هو اجماع قائم على ثبوت أدلة متواترة ، و معززا لدليليتها.وقد أحصى بعض الفضلاء و استقصوا مخرجي أحاديث المهدي التي عدت بالآلاف ، و ارتأينا أن نستعرضه في هذا الباب ، حيث و جدناه مستوفيا للمطلوب و كافيا لا حاجة معه لمزيد استقصاء إلا أن يقال أن الاجماع غير قائم بهؤلاء الأعلام المعتبرين ، فتعين قيامه بالمغمورين ممن لا أثر لهم في إجماع سلبا و إيجابا. و هؤلاء الأعلام هم: ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى (ت| ٢٣٠ هـ) ، و ابن أبي شيبة (ت | ٢٣٥ هـ) ، و أحمد بن حنبل (ت| ٢٤١ هـ) ، و البخاري (ت| ٢٥٦هـ) ذكر المهدي بالوصف دون الاسم ، و مثله فعل مسلم (ت| ٢٦١ هـ) في صحيحه كما سنبينه في الفصل الثالث من هذا البحث ، و أبو بكر الاسكافي (ت| ٦٢٠هـ) ، و ابن ماجة (ت| ٢٧٣ هـ) ، و أبو داود (ت| ٢٧٥هـ)، و ابن قتيبة الدينوري (ت| ٢٧٦ هـ)، و الترمذي (ت| ٢٧٩هـ)، و البزار (ت| ٢٩٢ هـ) ، و أبو يعلى الموصلي (ت| ٣٠٧هـ) ، و الطبري (ت| ٣١٠ هـ) ، و العقيلي (ت| ٣٢٢هـ)، و نعيم بن حماد(ت| ٣٢٨ هـ) ، و شيخ الحنابلة في و قته البربهاري (ت| ٣٢٩هـ) في كتابه (شرح السنّة) ، و ابن حبان البستي(ت| ٣٥٤هـ) ، و المقدسي (ت| ٣٥٥ هـ) ، و الطبراني(ت| ٣٦٠ هـ)، و أبو الحسن الآبري(ت| ٣٦٣ هـ) ، و الدارقطني (ت| ٣٨٥هـ) ، و الخطابي (ت| ٣٨٨ هـ) ، و الحاكم النيسابوري (ت| ٤٠٥هـ) ، و أبو نعيم الاصبهاني (ت| ٤٣٠ هـ) ، و أبو عمرو الداني (ت| ٤٤٤ هـ) ، و البيهقي (ت| ٤٥٨ هـ)، و الخطيب البغدادي (ت| ٤٦٣هـ)، و ابن عبد البر المالكي (ت| ٤٦٣ هـ)، و الديلمي (ت| ٥٠٩هـ)، و البغوي (ت| ٥١٠ أو ٥١٦ هـ)، و القاضي عياض (ت| ٥٤٤

هـ)، و الخوارزمي الحنفي (ت| ٥٦٨ هـ)، و ابن عساكر (ت| ٥٧١هـ)، و ابن الجوزي (ت| ٥٩٧ هـ)، و ابن الأثير الجزري (ت| ٦٠٦ هـ)، و ابن العربي (ت| ٦٣٨ هـ)، و محمد بن طلحة الشافعي (ت| ٦٥٢ هـ)، و العلاّمة سبط ابن الجوزي (ت| ٦٥٤ هـ) ، و ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي (ت| ٦٥٥هـ)، و المنذري (ت| ٦٥٦ هـ) ، و الكنجي الشافعي (ت| ٦٥٨ هـ)، و القرطبي المالكي (ت| ٦٧١ هـ) ، و ابن خلكان (ت| ٦٨١هـ)، و محب الدين الطبري(ت| ٦٩٤ هـ) ، و العلاّمة ابن منظور (ت| ٧١١ هـ) (في مادة هدِيَ من لسان العرب) ، و ابن تيمية (ت| ٧٢٨هـ)، و الجويني الشافعي (ت| ٧٣٠ هـ)، و علاء الدين بن بلبان (ت| ٧٣٩ هـ)، و ولي الدين التبريزي (ت| بعد سنة ٧٤١هـ)، و المزي (ت| ٧٣٩ هـ)، و الذهبي (ت| ٧٤٨ هـ)، و ابن الوردي (ت| ٧٤٩ هـ)، و الزرندي الحنفي (ت| ٧٥٠هـ)، و ابن قيم الجوزية (ت| ٧٥١ هـ)، و ابن كثير (ت| ٧٧٤ هـ) ، و سعد الدين التفتازاني (ت| ٧٩٣هـ)، و نور الدين الهيثمي (ت| ٨٠٧ هـ) ، و ابن خلدون المغربي (ت| ٨٠٨ هـ) الذي صحح أربعة أحاديث من أحاديث المهدي على الرغم من موقفه المعروف و الذي سيأتيك بيانه في الفصل الثالث ، و الشيخ محمد الجزري الدمشقي الشافعي(ت| ٨٣٣ هـ) ، و أبو بكر البوصيري (ت| ٨٤٠هـ)، و ابن حجر العسقلاني (ت| ٨٥٢ هـ) ، و السخاوي (ت| ٩٠٢هـ) ، و السيوطي(ت| ٩١١هـ)، و الشعراني (ت| ٩٧٣ هـ) ، و ابن حجر الهيتمي(ت| ٩٧٤ هـ)، و المتقي الهندي (ت| ٩٧٥ هـ) إلى غير ذلك من المتأخرين كالشيخ مرعي الحنبلي(ت| ١٠٣٣هـ) ، و محمد رسول البرزنجي (ت| ١١٠٣هـ)، و الزرقاني (ت| ١١٢٢ هـ) ، و محمد بن قاسم الفقيه المالكي (ت| ١١٨٢هـ)، و أبي العلاء العراقي المغربي (ت| ١١٨٣هـ) ، و السفاريني الحنبلي (ت| ١١٨٨ هـ) ، و الزبيدي الحنفي (ت| ١٢٠٥ هـ) في كتاب (تاج العروس) مادة : هَدِي، و الشيخ الصبّان(ت| ١٢٠٦ هـ) ، و محمد أمين السويدي(ت| ١٢٤٦ هـ) ، و الشوكاني (ت| ١٢٥٠هـ) ، و مؤمن الشبلنجي(ت| ١٢٩١ هـ) ، و أحمد زيني دحلان الفقيه و المحدث الشافعي (ت| ١٣٠٤هـ) ، و السيد محمد صديق القنوجي البخاري(ت| ١٣٠٧

هـــ) ، و شهاب الدين الحلواني الشافعي (ت| ١٣٠٨هـــ) ، و أبي البركات الآلوســـي الحنفي (ت| ١٣١٧ هـــ) ، و أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبـــادي(ت| ١٣٢٩ هـــ) ، و الكتاني المالكي (ت| ١٣٤٥هـــ) ، و المبـــاركفوري (ت| ١٣٥٣ هـــــ) ، و الشيخ منصور علي ناصف (ت| بعد سنة ١٣٧١ هـــ) ، و الشيخ محمد الخضر حـــسين المصري (ت| ١٣٧٧هـــ)، و أبي الفيض الغماري الشافعي(ت| ١٣٨٠ هـــ) ، و فقيـــه القصيم بنجد الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع (ت| ١٣٨٥ هـــ) ، و الشيخ محمد فـــؤاد عبد الباقي (ت| ١٣٨٨هـــ) [٢٣٣]

دليل العقل:

ومقتضاه اللزوم ؛ نظير لزوم المقدمة لذي المقدمة كما في مقدمة الواجب. و هو مـــا تحقق حكمه عقلا على نحو من الاستقلال لا يستدعي مدخلية السماع. إن علاقات اللزوم هي تجلي العاقلية التي بها تم التكليف و بها تمت الحجة على العباد و عليها توقف التكليف ، حيث قبل التنزيل كان العقل. فأول ما خلق الله العقل. و لقد استند المنكر للمهدي علـــى خطاب العقل و العلم و البرهان ، ضاربا عرض الحائط ما جاء من الإخبار عنـــه و عـــن أحواله، حتى ما تواتر منها. و قد تركز رفض المنكرين على أنها عقيدة باطلة لأنها:

١٠٦

١ـــ نحن في عصر العلم ، و هذا ما بقي من آثار الفكر الغيبي السحري. فالحداثة هـــي عصر العقل الذي قطع مع عصر الإيمان.

٢ـــ إنها تعكس ثقافة التمحور حول الشخص ، و إضفاء صفات الأسطورية عليـــه و نحن في عصر الجماهير و الديمقراطيات و عصر تجاوز عبادة البطل المخلص.وهذا لا ينسجم مع عصر النضج البشري الذي تحدث عنه كانط في رسالة التنوير، و شكل عنوان الحداثة

٣ـــ أنها تعبير عن عجز الإنسان عن صناعة حاضره و التوكل على المخلص الذي يصنع عنه ذلك بالوكالة.

٤ـــ ما أحاط بأخبار الإمام المهدي من معاجز هو باطل في نظر العلم التجريبي.

ـــ اعتمدنا في هذا الاستقصاء على الكتاب القيم، المهدي المنتظر ـــ عج ـــ في الفكر الإسلامي ، الذي هو باكورة مركز الرسالة، قم المقدسة. [٢٣٤]

مـــ و في ما يخص من ذهب إلى أنه الغالب، فإن هذا بخلاف العلم أيضا، و في هـــذا التقى المنكر الأصلي مع المنكر للغيبة مع اعتقاده بالمهدي المستقبلي بالجملة.

لدفع الشبهة الأولى،نقول: ثمة مغالطة في التأريخ للعلم و الفكر الإنساني. و يراد مـــن هذا التحقيب لتاريخ المعرفة على أساس القطائع التامة ، التنكر لمنطق تكامـــل المعرفـــة و تداخلها و تعايشها ، حيث إن سلمنا بأن ثمة قطائع ، فهي كذلك من جهة النمـــوذج لا من جهة الحقائق و الأفكار. و سلطة النماذج و البراديغمات هي سلطة تفسيرية لا يتأكد حضورها بالاستحقاق المعرفي على النحو الواقعي ، بل يتحقق ذلك من جهة انتظام جماعة في لحظة ما أو عصر ما على التقيد بنظيمة أو جملة من التصورات او المبـــادئ التأسيـــسة الكبرى. أما هل هذا يعني نهاية الأفكار المجردة و التعاليم ، فدونه خرط القتـــاد. و لا أدل على ذلك من أن الأنتربولوجيا الحديثة و سعت من مجال بحثها ليشمل ما يبدو مجتمعـــات حديثة و أخرى في غاية البدائية. فالأفكار و إن كانت بدائية فهي تتمظهر بصور شتى في العصر الحديث حيث لا يبقى من متغير سوى الإطار و الشكل الخارجي ، أو لنقل الصيغ التعبيرية، بينما الوفاء يظل ثابتا للمضمون نفسه. هكذا تجلى التفكير ما قبل المنطقـــي في رومنسيتنا الحديثة، و حيث لم يجد التفكير برسم العلية مكانه في كل ما يدين به البـــشر. فما يبدو من مقتضى عصر الإيمان أو مراحل الغيب و السحر هو حاضر في بدائية هوجاء في الكثير مما يدين به البشر في حداثتهم. لم يخل عصر من العصور من عقل و عقلاء، كما لم يخل عصرنا الحديث من مظاهر الغيب و السحر. و قد أجابت الحداثة عن ذلك ضاربة عرض الحائط بالنزعة العلموية التي قسمت أزمنة المعرفة إلى جزائر غير متاخمـــة لبعـــضها البعض، و رسمت بينها قطائع مدعية بأن عصور اللاهوت و السحر و ما شابه قـــد و لى بلا رجعة في زمن الوضعية الإيجابية. و الحق أن الدين كان و لا يزال هو الظاهرة الاكثـــر حيوية و رسوخا، في كل زمان و مكان. بل هو الظاهرة الأولى و الأخيرة ، ما استوجب تواضعا كبيرا في السوسيولوجيا الدينية. محاولة تقريب الظواهر الدينية و الغيبـــة بمـــوازين العقل التجريبي الذي لا يزال يتخبط في طريق السيطرة على الطبيعة و هي أقل الظـــواهر صعوبة و أقربها للفهم ، كان زعما و ادعاءا مغالطا. و اليوم نستطيع و انطلاقا من العلـــم

الحديث بشعبه و تخصصاته المختلفة أن نؤكد على أن القسم الأكبر من الظواهر في العالم لا زالت أسرار غامضة. لا بل إننا متى رمنا الدقة في بعد من أبعاد الظاهرة الواحدة افتقدناها اضطرارا في البعد الآخر. فلم يكن رائد فيزياء الكوانتا هايزنبيرغ مبالغا في التأكيد على مفهوم اللادقة، حيث بات من المستحيل السيطرة على الزمان و المكان في آن و احد.مات انشتاين كما مات غيره و في جعبتهم الشيء الكثير من حتى. فالعالم تتسع ظواهره أمام العلماء بمقدار ما يتم اكتشاف يسير من أسراره القريبة المنال هنا أو هناك. و العلم الحقيقي التام لا و جود له حتى الآن إلا في رؤوس من لم يجربوا العلم أو تعاطوا مع عصرهم بغرور. و قد ظهر أن أكثر من يتغنى بالعلم بجاحة و غرورا هم من شعب لا صلة لها بالعلم و معاناته، التي تجعل العلماء المتخصصين يزدادون تواضعا يوما بعد يوم.ومع ذلك نقول ، إننا و جدنا الغيب يتخلل كل هذا العلم. حيث اليوم أصبح و اضحا أن غرور علم الأنوار و ما قبله ، كان لا يزال مصدوما بكبرى يقينيات الميكانيكا و الظواهر القريبة من العين المجردة. لكن مع دخول عصر الفضاء و عصر الذرة و غيرها بات العلم يتعاطى مع الظواهر بالكثير من النسبية و الاحتمال و التوقع و الفوضى و الاستقراء و الفرضية مع الابقاء على زند التنكر لتفجير محتمل دائما لهذه الخطة التفسيرية أو تلك. بمعنى آخر و كما أكد بوبر، بأن النظرية العلمية هي ما تستطيع أن تصمد أمام الاختبار و الدحض العلمي المستدام. لا و جود لنظرية علمية تامة، بل لا و جود إلا إلى اختبار مستمر للنظريات، و لا تزال الفرضية هي ذلك التجلي لتأثير العلم الحضوري، بل لا زالت النتيجة هي تلك النتيجة التي تبحث عن اختبار حسي.إن الفرضية هي نتيجة محدوسة كما أن النتيجة هي فرضية محسة. لكن من أين تأتي الفرضية؟!

ومع ذلك أمكننا من خلال هذا اليسير من العلم أن نحقق في إمكان حدوث و قسائع بلغتنا بمحض السماع . لقد أمكننا من خلال التيرموديناميك ــ الميكانيكا الحرارية ــ أن نتوقع ــ و هذا غيب ــ نهاية محتومة لعالمنا. و كيف نستطيع أن نتحدث بثقة علمية قاطعة عن و جود الطاقة ، و هي غيب لا ندركه إلا من آثاره الفاعلية كالضوء أو الحرارة أو الحركة.هذا فيما عرفناه أما ما لم نعرفه ، فكم من أنواع الأمراض التي لا زال يتكبد فيها الطب الحديث كل هذا العناء بلا جدوى. و ماذا نستطيع أن نفعله حيال الزلازل و

الأعاصير التي لا تستطيع ان تتنبأ بها أعتى و سائل الاستشعار حساسية. هل استطاع العلم الحديث في كبرى المجتمعات الحديثة و المتقدمة أن يقضي على الظاهرة الدينية و الروحية..يوما بعد يوما يبدو الإنسان ضعيفا أمام أسرار الكون و الطبيعة..وبقدر ما يتم اكتشاف سر هنا ، تنهمر أسرار في الجانب الآخر..إن الإنسان الحديث المنبهر باكتشافاته الصغيرة ، و التي ينشئ معها علاقة الطفل بدماه، لا يزال يمشي بعلمه الطبيعي يرسف بكلاكل العجز، بل لا يزال يمشي على حقل طين لزج او رمال متحركة.هكذا غدا الواقعي مع ماكس بلانك هو كل ما يمكن قياسه.فالمساحات التي يعجز العلم عن قياسها هي في نظر رائد الكوانطا، في عداد المعدوم. إن الإنسانية تدين في الجزء الأكبر من حياتها اليومية بمعتقداتها الروحية.هذه العبادة الساذجة للعقل و التي أتت عليها و ضعانية أوجيست كونت، تبدوا اليوم هجينة. و ليس عصر النضج الذي تحدث عنه كانط في رسالة التنوير سوى نوبة من نوبات غرور الأنوار، و حكم يستحضر ماضي البشرية ، و ليس مستقبلها. فمتى بلغت الحداثة الباب المسدود ، و ثمة من رأى ذلك من داخل الحداثة نفسها مثل ماركوز، فإن عصور الظلام تنتقل من الماضي إلى المستقبل. فوجهة الإنسان اليوم التي تسلك على طريق التدمير و الفوضى و التلوث و الظلم الاجتماعي و الحروب ، كلسها ترسم مستقبلا غامضا للانسان، اكثر من ظلمات ما سبق من تاريخه. و مع ذلك فإن كانط نفسه كان أول من سدد الضربة الكبرى للعقل راسما له حدوده مذكرا إياه بما ينبغي و ما لا ينبغي له كما في نقد العقل المحض. و قد بات و اضحا مع نيتشه بأن هذه العبادة الساذجة للعقل على حساب الوجدان هي من يصنع مستقبلا من اللامعنى، و يحدث الكثير من التغليط ، حيث هذا العقل الذي و جد لإدراك الأشياء الثابتة أني له أن يدرك العالم في صيرورته المستدامة. صوب نيتشه ضرباته لهذا التصور المتعجرف للعقل و منحه مكانته المتواضعة ، و حطم أسطورة العقل المؤله. و ليس بعيدا عنه ما قام به رائد التحليل النفسي سيموند فرويد و هو يعيد بناء العلاقة بين الإنسان و العالم على أساس اللاوعي الذي هو العمدة في سلوك البشر فرادى و جماعات ، حيث كانت تلك ضربة لا تقل خطورة ضد النزعة العقلانية الساذجة.بل إنها لو اعتبرت و احدة من صدمات الانسان المعاصر، شبيهة شأن الثورة الكوبرنيكية ، فإنها بمعنى آخر هي صدمة الإنسان الحديث مع حداثته ، حيث

أظهر التحليل النفسي ، عكس ما ساد الاعتقاد به في الفكر الحديث . و مـــع ذلـــك ، فالأديان و المعتقدات و حدها من أكدت بأن أكثر الناس لا يعقلون و أغلبهم غافلون. و قد استلهمت الفرودية ثورتها على الوعي و مزاعمه من الفكر الديني نفسه. كيف يقال أن عصر الإيمان و لى ، حيث حل عصر العلم. هذا إن قلنا بأن هذه النظرة الساذجة للايمان و العلم، لا و جود لها في و اقع حياة المجتمعات.حيث تؤمن بالعلم إيمانهـــا بمعتقـــداتها، في تعايش لم يزعجه شذاذ الآفاق. و حتى لا و نطنب أكثر من هذا ، لنأخذ مثال الاعتقـــاد بالمهدوية. إن هناك شيء أشبه بتنويع على الأفكار الدينية الكبرى. إن كل ما لنا من علم هو حلم استلهمته البشرية من الأديان نفسها. فالذي أغنى مخيلة الكائن و أطلق طاقاتـــه و منحه روح الأمل ، هي هذه المعتقدات و الأديان الروحية.بل إن العلم الحديث جعل مـــن التراث اليوناني و أساطيره الوثنية نموذجا إرشاديا في كثير من ابتكاراته و فنونه كمـــا لا يخفى. و لا يزال الإنسان الحديث مدينا لفكرة المهدوية ، حتى و هو يعبر عنـــها برســـم فلسفات و مذاهب فكرية شتى. و عصرنا الحديث هو الاكثر اهتماما بعلـــم التوقـــع و المستقبليات. بل دائما و على مر العصور كان هناك اهتمام استثنائي بعالم متوقع في ذهن الحكماء، يجد في المتلقي قابلية الاعتقاد. حدث ذلك في اليونان مع الجمهورية الفاضلة عند أفلاطون؛ لكن الحلم نفسه لم يتوقف يوما حتى مع و لوج العصر الحـــديث. فالأفكـــار الملهمة و المؤسسة لعصر الأنوار كانت مسكونة بهذا الحلم المهدوي.بعد المدينة الفاضلة التي كتب حولها فلاسفة مسلمون كثير هناك مدينة الله للقديس أوغيسطينوس و مدينة الشمس عند كومبانيلا. كما كتب توماس مور عن جزيرة يوتوبيا. و هي حكاية عن عالم متصور عن نحو من النضج و الكمال النفسي و العقلي و الأخلاقي، ما شـــكل ملـــهما لعـــصر النهضة. إن عصر النهضة الأوربية التي كان توماس مور و احدا من أبر روادهـــا ،كـــان يتصور الحداثة بهذا الكمال العقلي و الأخلاقي. إن النهضة الأوربية الحديثة هي بنت هذا الإلهام المهدوي الكبير ، كما جسدته تلك المدن الفاضلة المتوقعة، كما تحكـــي جزيـــرة توماس مور الفاضلة.

وسمت فكرة الإنسان المتفوق الآتي من بعيد ، فلسفة نيتشه، إلى حد يكاد يجسد مظهر المهدوية بنفسها. " اسمعوا، ها أنذا منبؤكم عن الرجل الأخير". كذلك يبتدئ نيتشه حديثه

في هكذا تكلم زرادشت. و هو يكاد يصف و يحدس ما ينبغي للمنتظر العظيم ذي الشأن الكبير، حيث يقول:" و ستصغر الأرض في ذلك الزمان فيطفو على سطحها الرجل الأخير الذي يحول إلى حضارة كل ما يدور به ، إن سلالة هذا الرجل لا تبـــاد ، فهـــي أشـــبه بالبراغيث، و الإنسان الأخير أطول البشر عمرا". فما كان من الحاضرين من تلك الجموع الغفيرة بعد أن ينهي زارا خطابه:"إلينا بهذا الرجل الأخير يا زارا، اجعلنا على مثال أناسي الزمان الأخير فقد تخلينا لك عن الإنسان المتفوق"[٢٤٠].

يتحدث نيتشه هنا على لسان زارا ، بحقائق تنطبق على الرجل الاخـــير المنتظـــر.إنـــه يتحدث عن أن الأرض ستصغر في زمانه فيطفوا على سطحها، كناية عن الظهور. و أيضا إشارة إلى بسط اليد. و أنه سيحول إلى حضارة كل من يحيط به كناية عن أنه ســـيملؤها قسطا و عدلا؛ و هل الحضارة إلا كذلك. ثم إنه يتحدث عن أن سلالة الرجـــل الأخـــير المنتظر لا تباد. و حيث ان النص النيتشي ككل نصوصه ، نص أدبي غارق في الكنايات و التشبيه، صور ذلك بالبراغيث لجهة التشبيه، و تعبيرا عن قوة التكاثر إلى حد العجز عـــن على محو آثارها. و هو في نهاية المطاف أطول الناس عمرا. لقد لخص نيتشه في هذه الفقرة التصور الحقيقي للرجل الأخير المنتظر.

في أيامنا هذه ، ازدادت و طأت الحروب و التحديات التي جعلت الاستكبار العـــالمي حتى و هو يمارسه جرائمه المنكرة في حق الإنسانية بالغزو و التحكم بمقدرات الشعوب و الأمم ، يفعل ذلك متمثلا زيفا مظهر المخلص الذي سيملأ الدنيا ســـلما و دمقراطيـــة و رفاهية. و مثل هذا الادعاء و ارد ، حيث ادعاه دجالون عبر العصور. و ما درى هـــؤلاء المستكبرون بأن المهدي المخلص هو للأمم قاطبة، و ليس لأمة و احدة أو لطبقة و فئـــة و شبكة مصالح خاصة. لكن النكتة في المقام ، و احدة من أكثر الاطروحات إثارة عقـــب سقوط الاتحاد السوفياتي ؛ هي فكرة نهاية التاريخ و الرجل الأخير ، للخـــبير الأمريكـــي فرنسيس فوكوياما. لقد راقت هذه الأطروحة للكثير من المتحمسين للهيمنة على العالم ، و وجدوا فيها غطاء لتحقيق أهدافهم الجهنمية. لقد أوحت الأطروحة إياها بـــأن نهايـــة

ـــ فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت،ص٣٨ ـــ ٣٩ تـــ< فليكس فارس، منشورات دار أسامة ، دمشق، بلا تاريخ [٢٤٠]

التاريخ استقرت على أعتاب الولايات المتحدة الأمريكية، و بأن الرجل الأخير هو الرجل الليبرالي بامتياز. كان تصور نيتشه للرجل الأخير اكثر أهمية و أغنى خيالا من الرجل الأخير عند فرنسيس فوكوياما الذي بدا و كأنه تراجع عن الكثير من أفكاره بهذا الخصوص. غير أن جوهر القضية ظلت و لا زالت هي المحرك و الملهم لحركة الإنسان الحديث إن سلبا و ادعاءا أو إيجابا .ولعل هذا ما جعل فكرة فوكوياما أكثر و قعا على العقل الأمريكي نفسه من نظيرتها الصدام بين الحضارات لهينتنغتون. فهذه و إن حاصرت الإمكـــان و حـــددت الرجل الأخير في النموذج الامريكي، فهي تمنحه ريادة في العالم و هيمنة على الدنيا. بينما هينتنغتون شكك في قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على الاستمرار في الهيمنـــة علـــى العالم، و طالب بتراجعها إلى حدودها الطبيعية، و الى تكتلها الغربي ، بل و تنبأ بزوالها ان لن تأخذ بعين الاعتبار الاهتمام بشؤونها الداخلية و حماية ثقافتها الغربيـــة مـــن خطـــر الهجرة. لم توجد فكرة الرجل الأخير في أطروحة الصدام بين الحضارات ، لكنها و جدت عند فوكوياما.لذا، لا يزال الباراديغم المهيمن على الخطاب السياسي الأمريكـــي ، هـــو الباراديغم المهدوي، و لكن بالصورة المعكوسة التي يخطؤها الحس و الحدس. من هنا أردنا أن نؤكد بأن العصر الحديث ، لا يزال مدينا للباراديغم المهدوي في كل مظـــاهره، بمعـــنى آخر إن الموضوع الجوهري في المهدوية حاضر من خلال عقيدة المخلص و الرجل الأخير و الانتظار.بهذا يندفع الإشكال الأول ، و مفاده أننا نعيش عصرا العلم و العقل .

الإشكال الثاني و مفاده أن فكرة المهدوية مستلهمة من ثقافة تتمحور حول الشخص المخلص الفريد ، و إضفاء صفات الأسطورية. و نحـــن اليـــوم في عـــصر الجمـــاهير و الديمقراطيات و عصر تجاوز عبادة البطل المخلص.وهذا لا ينسجم مع عصر النضج البشري الذي تحدث عنه كانط في رسالة التنوير، و شكل عنوان الحداثة. إن حركة التاريخ هـــي حركة موضوعية و تاريخية و ليست حركة أفراد أو فرد و احد ملهم. و الحـــق أن هـــذه الشبهة لا تشكل أكثر من موقف أيديولوجي من فكرة البطل و دور الفرد في التـــاريخ. و قد حدث ذلك الجدال الكبير حول هذا الموضوع بين الفكرين: الماركـــسي و الليـــبرالي. عالجها المؤرخون الألمان كما عالجها ماركسيون و كذا اشتراكيون تقليديون من أمثـــال بليخانوف.تشبث الاتحاد السوفياتي بفكرة التاريخ و حركته، و تشبث الغـــرب بفكـــرة

البطل. أنتصر الغرب على الأقل لأنه لم يلغ دور البطل في حركة التـــاريخ، و إن كـــان الاتحاد السوفياتي نفسه يمنح هذا الدور غير المعلن للفرد البطل. لقد صنع الاتحاد السوفياتي أبطاله أيضا؛ من لينين و ستالين و غيرهما.وحينما سقط المعسكر الشرقي ، علقوا الهزيمـــة على غورباتشوف. فإن كان الفرد مسلوب الدور في حركة التاريخ على صعيد الإيجاب ، فالأمر سيان على صعيد السلب. و إذا كان التاريخ يتحرك ضمن قوانين لا دخل للإرادة فيها و لا معنى لوجود البطل تقدميا و تأخيرا، فلما السياسة و التخطـــيط و المنـــاورة. إن الأبطال الموهوبين هم أنفسهم شرط من شروط حركة التاريخ. بل ثمة جدل بين الارادة و حتمية التاريخ ، حيث الشروط تتهيأ للبطل ، و البطل يتقدم بالشروط نفسها إلى لحظـــة الأوج و التخارج التاريخي للبنية، فيحدث الحدث العظيم.لا و جود في التـــاريخ لحركـــة تاريخية لم يوجد البطل في طليعتها، يصنع مجد الأمة و يتكامل مع جملة الشروط التاريخية.. و في مثال الإمام المنهدي ـــ عج ـــ ، لا نتحدث عن بطل مجرد يقاتل بالنيابة عن الناس، و لا بطل يأتي من دون شروط موقوفة و حتمية. إن غيبته كانت دليلا علـــى فقـــد تلـــك الشروط ، و خروجه هو عنوانا لتحقق تلك الشروط. هذا ناهيك عن أنه سيصنع حركته التاريخية بالجماهير التي تنتظره و تأمل في و جوده . إنها حركة مشروطة. و دور الإمـــام الملهم هو دور البطل العبقري الذي يعرف كيف يحقق إنجازات الأمة و كيـــف يراقـــب خططها و استغلال طاقاتها و تنظيم قدراتها؛ إنه دور لا محيد عنه في كل مراحل التاريخ ، لكنه في عصر الظهور سيكون أبرز و أقوى! إن الديمقراطيات اليوم لا تستغني عن البطل ، بل إن الديمقراطيات هي نفسها تصنع الأفـــراد و تمـــنح للفـــرد دورا مميـــزا في حركـــة التاريخ.وأما الحداثة التي و سمت بنضج الإنسان ، فهو نضج بالنسبة إلى حال الإنسان في القرون الوسطى و ما قبلها. و قد ذكرنا أن صاحب المقولة نفسها ، كانط ، أكد علـــى محدودية العقل المجرد ، و قدم صيغة في القانون الأخلاقي لا يمكن تحققها إلا في زمن شبيه بزمن المهدي.وهو عالم افتراضي لا تحقق له في الواقع كما لا يخفى. و مع ذلك لا يفوتنـــا أن الحداثة هي نفسها ركزت على البطل و العبقرية الفريدة للأشخاص. فلك أن تنظر إلى أي مذهب من مذاهبها العلمية أو فلسفية أو الاجتماعية أو..أو..إلا و له علقة بشخص ، أضفى إسمه على المدرسة و الاتجاه كله. فهناك التوماوية نـــسبة إلى تومـــا داكـــوين، و

الديكارتية نسبة إلى ديكارت و هكذا نتحدث عن النيوتونية و البرغسونيةوالكانطية و الهيغلية و الماركسية و الكينيزية و ..و..فليست الحداثة إلى مجموع الإنجازات التي صنعها أفراد موهوبون، كما أن تاريخ الغرب الحديث هو تاريخ أبطال و أفراد موهوبين. تاريخ نابوليون و بيسمارك و جورج و اشنطن و أمثالهم.

وأما الشبهة الثانية مفادها أنالمهدوية تعبير عن عجز الإنسان عن صناعة حاضره و التوكل على المخلص الذي يصنع عنه ذلك بالوكالة. إنها فكرة تعكس عقلا تواكليا فاسدا يتناقض مع مقتضى سيرة العقلاء و تعاليم الشرع نفسه في التحريض على التوكل و الإعداد للمستقبل. و الحق أن هذا الإشكال حين النظر إليه لا يصلح أن يكون دليلا حتى فككناه إلى مقدمات منطقية. فلا هو يحرز صورة للدليل المنطقي و لا هو يحمل من قيم الصدق ما ينهض به في وجه قضية لها من الابعاد و الشؤون ما لا ينحصر في حدود ما يتوجه إليه الاستشكال. لكن لو أردنا من باب الحجاج أن نقول بأن عصر الظهور ليس عصرا آتيا فوق السحاب. بل هو متوقف على جملة من الشروط التي تجعل الانتظار الإيجابي هو نفسه أكبر تحدي في حياة الإنسان. إن المواقف السلبية التي تبدو من بعض التعبيرات المنتمية للعقيدة المهدوية، ليست دليلا على جوهر الفكرة التي هي قائمة باعتبارات أوسع و أبعد من ذلك كما لا يخفى. إن من يأتي بالمهدي هم المهدويون.

و الشبهة الأخرى، مفادها أن ما أحاط بأخبار الإمام المهدي من معاجز هو باطل في نظر العلم التجريبي.وحيث لا مجال للحديث عن المعجزات و ما شابه. و الحق أن جملة الأخبار التي تحكي عن بعض مظاهر التقدم و التحكم بالظواهر الطبيعية و المعاجز، لا ينبغي فهمها على النحو الإعجازي. بل إن مقتضى الأخبار أن تكون على قدر المتلقي الذي أخبر بها في حينها. فما كان من الممكن التحدث إلى الناس قبل ١٥ القرن عن الطائرات و الرادارات و الكومبيوتر؛ إلا أن يكون ذلك بخلاف مقاصد الشرع في تظهير الكلام و مخاطبة الناس على قدر عقولهم و مراعات حالهم في الأمية، و هو بخلاف مقتضى قبح العقاب بلا بيان و قبح التكليف بما لا يطاق حجية الظهور.وهذا ما يعني أن تلك الأخبار إنما جاءت متشابهة في عصر التنزيل ، لكنها ستصبح محكمة بصيرورة الزمان.

فيفهم من جملة القول أن المعني بها هو متلقي مفترض غير المتلقي في المورد الأول. و الحق أن تأملا يسيرا يجعلنا ندرك بأن كل مظاهر القوة في زمان المهدي ، هي علميـــة يمكـــن تعقلها بالوجدان الحديث من دون مشقة ، بل لها نظائر في عصرنا ، حيث ما عند المهدي هو تطوير ترجوه البشرية اليوم في عصر التقنية. إن عصر المهدي لن يكون إلا مصداقا تاما للحداثة التي اعتبر هيدغير ذات مرة بأن ماهيتها تقنية بامتياز. و العلاقة مع التقنية في أقوى استعمال لها و ظيفي أوة لنقل تبادلي بين الإنسان و التقنية إلى درجة عدم الانفكاك ، هو عنوان مرحلة المهدي التي ما كان بالإمكان تصورها بهذا اليسر و الشوق قبل زماننا. كلما خطونا نحو المستقبل كلما أمكن تعقل الظهور الحتمي. إن مرحلة المهدي هي مرحلة العلم أو كما جاء في الأخبار ، ارتقاءه في أسباب السماوات و الأرض. يتصف عصره بسيادة التقنية و قوتها و تجاوزها لثغراتها و عجزها عن تحقيق أغراضها؛ إنه عصر التحكم بالتقنية و في التقنية و أيضا الاحكام بالتقنية. إنه عصر موسوم بالحركة و السرعة و السيطرة علـــى الفضاء و على تقنية الاتصال.يقول الإمام الصادق ـــ ع ـــ، و اصفا ذلك العصر:" العلم سبع و عشرون حرفا. كل ما جاء به الأنبياء لحد اليوم، هو حرفين فقط.فعنـــدما يظهـــر قائمنا، يأتي بخمس و عشرين حرفا المتبقية و يظهرها للناس"[٢٤١].

خبر كهذا بالإضافة إلى خبر الرقي في أسباب السماوات و الارض ، الذي يجعل حركة الإمام المهدي صورة متقدمة عن حركة ذي القرنين الذي قـــال عنـــه تعـــالى في محكـــم الكتاب:" إنا مكنا له في الأرض و آتيناه من كل شيء سببا"[٢٤٢]..ثم يردف مرات ثـــلاث مىَ أقدم ذو القرنين على إنجاز من تلكم الإنجازات ، يقول تعالى:" فأتبع سببا" ـــ الكهف آية٨٥ ـــ " ثم أتبع سببا" ـــ آية ٨٩ ـــ " ثم أتبع سببا" ـــ آية٩٢ ـــ . و قوله تعالى:" أم لهم ملك السماوات و الأرض و ما بينهما، فليرتقوا في الأسباب"[٢٤٣] .

إن الخبر المروي عن الصادق ـــ ع ـــ، يضعنا أمام جملة من الحقائق التالية:

---

[٢٤١] ـــ المجلسي ، بحار الانوار ص ٣٣٦، ج ٥٢

[٢٤٢] ـــسورة الكهف، آية ٨٤

[٢٤٣] ـــ سورة ص ، آية ١٠

ـــ إنه يختزل العلم في الحروف التي هي هنا بمعنى الأرقام. ذلك لأنه بديهي أن الأنبيـــاء أتوا بكتب تضم كل الحروف. و مبتدأ بعض السور من القرآن فيها ما يفوق الإثنين، نظير ألم ، كهيعص ، ألر، و ما شابه. إنما المقصود من الحرف هنا الرقم. و هو ربط كمـــا لا يخفى يعكس تصورا و إن تشابه على من كانوا قبلنا ، فإنه اليوم محكم بعد أن تعرفنا على السيستم الثنائي في الخبر الحديث ، و بعد أن عرفنا كيف أن كل علوم بني آدم حتى اليوم قائمة على رقمين هما ، و ١ . و لعل ذكره للحرف بدلا عن الرقم ، لأن قيمة الـــصفر حتى ذلك اليوم لم يكن لها معنى و ربما لم يكن لها مع فرض اكتشافها مع الهنود و العرب قيمة و جودية، بل هي كالعدم. فإطلاق الحرف بالسوية على الصفر و الواحد في تعـــبير الإمام الصادق ـــ ع ـــ آنف الذكر إنما هو إعطاء قيمة رياضية للصفر لا تقل أهمية عـــن الواحد.

ـــ يؤكد الخبر المذكور بأن عصر القائم ـــ عج ـــ هو تمام الحروف ، أي تمام العلم. و هذا يعني أن عصر الإمام هو عصر التوصل إلى حقائق و أسرار علمية، حيث ما غرابة أن يحدث عصره قطيعة كبرى ، تماما كالقطيعة التي تمت بين عصرنا مع عصر المحرك البخاري او الميكانيكا فإذا بنا ننعم بوسائل تقنية هي بلا شك من الصور التي كانت مـــن الخيـــال العلمي حتى بداية السبعينات من القرن المنصرم. إن حركة التقدم اليوم أصبحت تستوعب هذا النوع من القطائع السريعة. و نظرية و احدة من شأنها أن تنقلنا إلى أرقى ما في العصر السوبرنتيقي.

ـــ يتحدث الخبر عن أن هذه الأسرار العلمية التي سيأتي بها الإمام المهدي ســـيظهرها للناس. فيكون عصره عصر ظهور العلم و تمامه، بمعنى تمام قواعده و مبادئه. بل ما يبـــدوا هنا أن الإمام القائم سوف يعمل على سبيل التراكم و التركيب بين منجـــزات الإنـــسان بالأسباب المنطقية للارتقاء العلمي. فهو عصر تمام النضج البشري و التراكم المعرفي كمـــا يعبر عنه خبر الإمام الباقر ـــ ع ـــ :"وإذا قام قائمنا و ضع الله يده على رؤوس العبـــاد، فجمع بها عقولهم و كملت به أحلامهم "[٢٤٤].

ـــ الشيخ الحسن بن الحر العاملي ، منتخب الأثر في الإمام الثاني عـــشر، ص ٤٨٣ طبعـــة حجريـــة ، طهران ـــ ١٣١٤هـــ [٢٤٤]

علينا أن نذكر بأن هذه الأخبار يتعين قراءتها بعين المنجزات العلمية الحديثة. و لا ننسى أنها أخبار رويت قبل قرون خلت مما يؤكد على أهميتها. و عليه نستطيع اليوم فهم الخبر الآتي أيضا ، و هو داعم لفكرة أن عصر المهدي، هو عصر ينسجم مع النضج العلمي و العقلي لعصرنا.ففضلا عن الأخبار التي تتحدث عن طي الأرض و سيره في السحاب ، و هي كناية عن ركوب الطائرة و وسائل المواصلات السريعة، هناك ما روي عن الإمام الصادق ـــ ع ـــ :" إن قائمنا إذا قام مد الله لشيعتنا في أسماعهم و أبصارهم حتى لا يرون بينهم و بين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون و ينظرون إليه و هو في مكانه"[٢٤٥].

وهذا الخبر أيضا يؤكد بأن الإمام المهدي ـــ عج ـــ سيظهر في العصر الذي يمكن لشيعته أن يروه في كل مكان دون أن يتحول إليهم ـــ و هو في مكانه ـــ. حيث و سائل السمعي البصري تحقق هذا الذي بدا لبعضنا ضربا من الإعجاز. و لن يكون بينه و بينهم بريد ، فالعصر الرقمي كفيل بتجاوز معضلة الاتصال و التواصل. و هذا ما يؤكد عليه خبر الصادق أيضا:"إن المؤمن في زمن القائم و هو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، و كذا الذي في المغرب يرى أخاه في المشرق"[٢٤٦].

١١٧ أقول، على ما في هذا الخبر و نظائره من أهمية، تجعلنا أكثر استيعابا لهذه الحقائق ممن كانوا لا يزالون على نمط من العيش بدائي و خارج منطق التقنية و تحكمها التي تسم حياتنا المعاصرة ، فإنه يؤكد على أن غير المهدي يتمتع بهذا القدر من التحكم ، بناء أيضا على ما جاء في الخبر السابق من أنه سيظهر باقي الحروف للناس. لا بل يبدوا من خلال الأخبار أن هذا القدر من التحكم أو بعض مظاهره هي عنوان عصر بكامله لا تختص بالإمام المهدي و حده. حيث جاء مثل ذلك في ذكر أمير المؤمنين لحركة الدجال، من أنه سيخوض البحار و تطوى له الارض منهلا منهلا.. و ما إليها من مظاهر تجعل عصره يتمتع بقدر من التحكم بالتقنية أيضا.بهذا نستطيع دفع الشبهة القائلة إنه عصر المعجزات التي لا يستوعبها عقلنا الحديث.

---

[٢٤٥] ـــ المصدر ، ص ٤٨٣

[٢٤٦] ـــ المصدر،ص ٤٨٣

وكذلك ندفع الشبهة الموجهة للقائلين بأنه الغائب المولود سلفا للامام العسكري ـــ ع ـــ الذي طال عمره ، ليكون من المعمرين. فإن هذا بخلاف العلم أيضا، و في هذا التقي المنكر الأصلي مع المنكر للغيبة مع اعتقاده بالمهدي المستقبلي بالجملة. و الحق أن مثل هذا لا يكلف كثير حجاج. فأما من استشكل على الغيبة من العامة ، و ترجيحه و لادته بعد أن عز عليه القول بالغيبة، فموقفه مهزوز و يقينه متزلزل، متى أدركنا أن لمثل غيبته ـــ عج ـــ نظائر في الكتاب العزيز. فلو كان الرفض للغيبة استثقال لتحققها في الواقع، قلنا فاستثقلوا من الآيات و الأخبار ما جاء في حق ذي القرنين ، و ما كان في حق كل الغيب من الأنبياء و الصالحين و أهل الكيف و ما شابه. و أحسب أن حديث الغيبات إنما ذكر له نظير في القرآن حتى يساعد على استيعاب غيبة القائم ـــ عج ـــ. و لم يكن محض اتفاق أن سورة الكهف استعرضت ثلاث قصص ، لو تأملتها و ركبتها تعطيك تصورا و افيا مستساغا عن أحوال القائم ـــ عج ـــ أعني قصة ذي القرنين ، و الخضر ،وأهل الكهف.حيث تجسدت في هذا الثالوث ، فكرة الغيبة و التمكن في الارض و العلم. إن الجامع بينها هو الغيبة. فأهل الكهف جاء ذكرهم في الكتاب:"ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين و ازدادوا تسعا"[٢٤٧]. و الخضر ـــ ع ـــ قيل فيه :" فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما"[٢٤٨]. و عن ذي القرنين قال تعالى:"ويسألونك عن ذي القرنين، قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ، إنا مكنا له في الأرض و آتيناه من كل شيء سببا"[٢٤٩]. و الغيبة ثابتة في حق ذي القرنين حيث غاب عن قومه بعد أن ضربوه على قرنه الأوّل ثم الثاني، كما في رواية لأمير المؤمنين. هذا القدر يكفي لدفع الشبهة متى تعلق الأمر بالمنكر لطول الغيبة من ملتنا . و تدفع الشبهة نفسها لما يتعلق الأمر بالمنكر لطولها من غير ملتنا ، بأن أمر الغيبة بهذه الصورة أمر واقع في الإمكان العقلي و العلمي كما لا يخفى. و السؤال بات معكوسا؛ لما يموت الإنسان و يتعرض للشيخوخة المبكرة و قد زود

ـــ الكهف آية ٢٤ [٢٤٧]
ـــ الكهف ، آية ٦٥ [٢٤٨]
ـــ الكهف الآية٨٣ ـــ ٨٤ [٢٤٩]

بكل ما من شأنه أن يجعله خالدا لو ارتفع المانع.وحيث أصبح الإنسان يدرك العلاقة بين طبيعة التغذية و الصحة و ما شابه في الرفع من نسبة أمل الحياة. ألا يدل ذلك على إمكانية تمدد العمر حتى على مستوى هذا القدر من التقدم في نظام الصحة و الغذاء[٢٥٠].

أين يكمن الخلاف؟:

لا خلاف بالجملة بين الخاصة و العامة من المسلمين في أمر المهدي — عج — . غير أن الخلاف متوجه إلى حقيقة الغيبة و هل هو بالفعل مولود الإمام الحسن العسكري — ع —.ويبدو أن الاعتقاد بغيبة المولود هو أقرب إلى عموم الاعتقاد و فلسفته من القول بالولادة الجديدة. فكل ما جاء من أخبار عن الإمام المهدي ، تؤكد على أن له صلة بمسار التاريخ الإسلامي ، و بأن شأنيته بدت من غيبته إلى اليوم. و لا غرو أن الاصل في موضوع الغيبة هو النص. غير أن ما يذكر من ادلة في المقام غير النص سوى مؤيدات ؟أو لنقل إن بعضها يجري مجرى اللزوم.وينقسم الدليل إلى قسمين؛ أولهما حسي ينهض على روايات و شواهد تاريخية و الثاني حدسي مستفاد من جملة الروايات الأخرى و المقارنة بينها ، أي قراءة عقيدة المهدي في ضوء المعتقد كله.أي النظر إلى المهدي نظرة كلية و مقاصدية.

الدليل الحسي:

لا حاجة في المقام لاستعراض الأخبار الكثيرة المروية من طرق الخاصة من مدرسة أهل البيت — ع —، حول حقيقة و لادة الإمام الحجة عج، فهي من الكثرة و الاعتبار ما لا

---

[٢٥٠]— ذكرت مجلة المقتطف المصرية ، الجزء الثاني من المجلد ٥٩، الصادرة في آب (اغسطس) ١٩٢١ م ، الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٣٩ هـ ص٢٠٦ تحت عنوان (خلود الانسان على الارض): قال الاستاذ (ريمند بول) أحد أساتذة جامعة جونس هبكنس بأمريكا : «إنه يظهر من بعض التجارب العلمية أن أجزاء جسم الانسان يمكن أن تحيا الى أيّ و قتٍ أريد ، و عليه فمن المحتمل أن تطول حياة الانسان الى مائة سنة ، و قد لايوجد مانع يمنع من إطالتها الى ألف سنة» .

وذكرت المجلة في العدد الثالث من المجلد ٥٩ الصادر في أيلول من نفس العام ص ٢٣٩، «إنه في الامكان أن يبقى الانسان حيّاً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته ، و قولهم هذا ليس مجرد ظن ، بل نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان».

انظر : المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي ، مركز الرسالة ص. ١٧٢ .

تترك أدنى شك أو التباس عند اتباع هذه المدرسة. فهم مأخوذون مـــن ناصـــيتهم لهـــذا الاعتقاد بالأدلة القطعية كما لا يخفى. لكن مقتضى الاستدلال ، ان نأتي من الشواهد ما هو عام. لكن قبل ذلك ، لا بد ان نؤكد على قضية أساسية في المقام. إن الخـــلاف بـــين الخاصة و العامة في أمر الولادة ، هو مقصود من الغيبة ايضا. و مادام أن الأمـــر ثابـــت عموما لا ينازع فيه أحد ، فإن الحاكم في نهاية المطاف هو الظهور نفسه ، حيث ستصحح كل المفاهيم بالأدلة القاطعة و المعاشة، فمن حصلت له بالفعل الشبهة زالت بالظهور. غير ان شدة اختفائه ، الى درجة ان يقال انه لم يولد و بأنه سيولد ، امر كان مقـــصودا ، و تحدث عنه أئمة أهل البيت قبل و زود الإمام الثاني عشر. بل إن علامة المهدي هو ذلـــك الذي سيقال عنه انه لم يولد.

جاء في الخبر : «حدثنا ابي رضي الله عنه ، قال : حدثنا سعد بن عبدالله ، قال : حدثنا الحسن بن موسى الخشّاب ، عن العباس بن عامر القصباني ، قال : سمعتُ أبـــا الحـــسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول : صاحب هذا الامر من يقول النـــاس : لم يولـــد بعد» [٢٥١]

غير أن طائفة من أعلام أهل السنة أكدوا على و لادته و على أنه هـــو ابـــن الحـــسن العسكري ـــ ع ـــ. و قد أحصى بعضهم ـــ السيد ثامر العميدي في كتابه: دفاع عـــن الكافي ـــ مئة و ثمانية و عشرين شخصاً من أهل السنة من الذين اعترفوا بولادة الإمـــام المهدي عليه السلام. ١٢٠

ومن تلك الشواهد الحسية على و لادته و نسبته للامام العسكري ـــ ع ـــ ما يلي [٢٥٢] :

---

[٢٥١] كمال الدين ٢ : ٣٦٠

[٢٥٢] ـــ اعتمدنا في هذه الاستقصاءات على ما جاء في الكاتب القيم الصادر عن مركز الرســـالة ـــ ذكـــر المصدر ـــ، الامام المنتظر في الفكر الاسلامي ، ص ١٢٥ ـــ ١٣٤، حيث و جدناه مرتبا و مصدرا ترتفسع معه الحاجة الى تجديد الاستقصاء اللهم الا اذا اريد الاغناء، و نحن هنا مقصدنا ليس الاتقصاء المغنسي بسل مجرد ايراد الشواهد للوصول الى غاية البحث ؛ أي تجلي العقيدة المهدوية من خلال الاصول الخمسة فسي الاعتقاد الامامي بضم أصل الامامة ، و ليس الاصول الخمسة المعتزلية .

ـــ ابن الأثير الجزري عز الدين (ت/ ٦٣٠ هـــ) في كتابـــة الكامـــل في التـــاريخ في حوادث سنة (٢٦٠ هـــ) : «وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري ، و هو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية ، و هو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر».

ابن خلكان (ت/ ٦٨١ هـــ) قال في وفيات الأعيان : «أبو القاسم محمد بن الحســـن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس و خمسين و مائتين» ثم نقل عن المؤرخ الرحّالة ابن الأزرق الفارقي (ت/ ٨٧٧ هـــ) انه قال في تاريخ ميافارقين : «إنّ الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الأوّل سنة ثمان و خمسين و مائتين ، و قيل في ثامن شعبان سنة ست و خمسين، و هو الأصح».

في سير أعلام النبلاء : «المنتظر الشريف أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي ابن الحسين الشهيد ابن الإمام علي بن أبي طالب ، العلـــوي ، الحُسَيْني خاتمة الاثني عشر سيداً».

ابن الوردي (ت/ ٧٤٩ هـــ) قال في ذيل تتمة المختصر المعروف بتاريخ ابن الوردي : «ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس و خمسين و مائتين». ١٢١

أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي (ت/ ٩٧٤ هـــ) قال في كتابه (الصواعق المحرقـــة) في آخر الفصل الثالث من الباب الحادي عشر ما هذا نصه : «أبو محمد الحسن الخـــالص، و جعل ابن خلكان هذا هو العسكري، ولد سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين... مات بسُرَّ من رأى، و دفن عند أبيه و عمه، و عمره ثمانية و عشرون سنة، و يقال : إنه سُمَّ أيضاً، و لم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، و عمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن أتاه الله فيها الحكمة، و يسمى القائم المنتظر، قيل : لأنه سُتِرَ بالمدينة و غاب فلم يعـــرف أيـــن ذهب».

الشبراوي الشافعي (ت/ ١١٧١ هـــ) صرح في كتابه (الاتحاف) بولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام في ليلة النصف من شعبان سنة خمس و خمسين و مئتين من الهجرة.

مؤمن بن حسن الشبلنجي (ت/ ١٣٠٨ هـ) اعترف في كتابه (نور الابصار) باسم الإمام المهدي ، و نسبه الشريف الطاهر ، و كنيته ، و القابه في كلام طويل الى أن قال : «وهو آخر الأئمة الاثني عشر على ما ذهب إليه الإمامية» ثم نقل عن تاريخ ابن الـوردي ما تقدم برقم / ٤.

خير الدين الزركلي (ت/ ١٣٩٦ هـ) قال في كتابه (الاعلام) في ترجمة الإمام المنهدي المنتظر : «محمد بن الحسن العسكري الخالص بن علي الهادي أبو القاسم، آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية.. و لد في سامراء و مات أبوه و له من العمر خمس سنين.. و قيل في تاريخ مولده : ليلة نصف شعبان سنة ٢٥٥، و في تاريخ غيبته، سنة ٢٦٥ هـ».

محيي الدين بن العربي (ت/ ٦٣٨ هـ) : صرح بهذه الحقيقة في كتابه (الفتوحات المكية) في الباب السادس و الستين و ثلاثمائة في المبحث الخامس على ما نقله عنه عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي(ت/ ٩٧٣هـ) في كتابه (اليواقيت و الجواهر) ، كما نقل قوله الحمزاوي في (مشارق الأنوار) ، و الصبان في (اسعاف الراغبين) ، و نقل الشعراني عنه: «وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس و الستين و ثلاثمائة من الفتوحات : و اعلموا أنه لابدّ من خروج المهدي عليه السلام ، و لكن لايخرج حتى تملئ الأرض جوراً و ظلماً فيملؤها قسطاً و عدلاً، و لو لم يكن من الدنيا إلاّ يوم و احد طوّل الله تعالى ذلك

١٢٢

اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، و هو من عترة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، من و لد فاطمة عليها السلام ، و جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، و والده حسن العسكري ابن الإمام علي النقي...».

٢ ـــ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت/ ٦٥٢ هـ) قال في كتابه (مطالب السؤول) : «أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن عليّ المتوكل بن القانع بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهدي، الحجة، الخلف الصالح، المنتظر عليهم السلام . و رحمة الله و بركاته».

ثم أنشد أبياتاً ، مطلعها :

فهذا الخلفُ الحجّةُ قد أيّدَ اللهُ * هذا منتجبُ الحقّ و آتاهُ سجاياهُ.

سبط ابن الجوزي الحنبلي (ت/ ٦٥٤ هـ) قال في (تذكرة الخواص) عن الإمام المهدي : «هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، و كنيته أبو عبدالله، و أبو القاسم، و هو الخلف الحجة، صاحب الزمان، القائم، و المنتظر، و التالي، و هو آخر الأئمة».

محمد بن يوسف أبو عبدالله الكنجي الشافعي (المقتول سنة ٦٥٨ هـ)، قال في آخر صحيفة من كتابه (كفاية الطالب) عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما نصه : «مولده بالمدينة في شهر ربيع الآخر، من سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين، و قبض يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين و مائتين، و له يومئذ ثمان و عشرون سنة، و دفن في داره بسُرَّ من رأى في البيت الذي دُفن فيه أبوه، و خلف ابنه و هو الإمام المنتظر صلوات الله عليه. و نختم الكتاب و نذكره مفرداً».

ثم أفرد لذكر الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام كتاباً أطلق عليه اسم : (البيان في أخبار صاحب الزمان) و هو مطبوع في نهاية كتابه الأول (كفاية الطالب) و كلاهما بغلاف و احد، و قد تناول في البيان أموراً كثيرة كان آخرها إثبات كون المهدي عليه السلام حيّاً باقياً منذ غيبته إلى أن يملأ الدنيا بظهوره في آخر الزمان قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً. ١٢٣

نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي (ت/ ٨٥٥ هـ) عنون الفصل الثاني عشر من كتابه : (الفصول المهمة) بعنوان : في ذكر أبي القاسم الحجة، الخلف الصالح، ابن أبي محمد الحسن الخالص، و هو الإمام الثاني عشر.

وقد احتج بهذا الفصل بقول الكنجي الشافعي : «ومما يدلّ على كون المهدي حيّاً باقياً منذ غيبته إلى الآن، و إنه لا امتناع في بقائه كبقاء عيسى بن مريم و الخضر و إلياس من أولياء الله، و بقاء الأعور الدجال، و ابليس اللعين من أعداء الله، هو الكتاب و السنة» ثم أورد أدلته على ذلك من الكتاب و السنة، مفصلاً تاريخ و لادة الإمام المهدي عليه السلام

، و دلائل إمامته، و طرفاً من أخباره، و غيبته، و مدة قيام دولته الكريمة، و ذكر كنيته، و نسبه، و غير ذلك مما يتصل بالامام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام .

٦ ـ الفضل بن روزبهان (ت/ بعد ٩٠٩ هـ). قال في كتابه : (ابطال الباطل) :

«ونعم ما قلت فيهم منظوماً :

سلام على المصطفى المجتبى * سلام على السيد المرتضى
سلام على ستنا فاطمة * من اختارها الله خير النسا
سلام من السماك الفاسه * على الحسن الألمعي الرضا
سلام على الأورعي الحسين * شهيد يرى جسمه كربلا
سلام على سيد العابدين * علي بن الحسين المجتبى
سلام على الباقر المُهتدى * سلام على الصادق المُقتدى
سلام على الكاظم المُمتحن * رضيّ السجايا إمام التُقى
سلام على الثامن المؤتمن * عليّ الرضا سيد الأصفيا
سلام على التقيّ النقيّ * محمد الطيّب المُرتجى
سلام على الأريحيّ النقي * عليّ المُكرّم هادي الورى
سلام على السيد العسكري * إمام يجهّزُ جيشَ الصفا
سلام على القائم المنتظر * أبي القاسم العرم نور الهدى
سيطلع كالشمس في غاسقٍ * ينجيه من سيفه المُنتقى
فويلٌ يملأ الأرضَ من عدله * كما ملئت جور أهل الهوى
سلام عليه و آبائه * و أنصاره ، ما تعاوم السما»(١)

شمس الدين محمد بن طولون الحنفي مؤرخ دمشق (ت/ ٩٥٣ هـ) قال في كتابه (الأئمة الاثنا عشر) عن الإمام المهدي عليه السلام: «كانت ولادته رضي الله عنه يوم الجمعة، منتصف شعبان سنة خمس و خمسين و مائتين، و لما توفي أبوه المتقدم ذكره (رضي الله عنهما) كان عمره خمس سنين»(١).

ثم ذكر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام و قال: «وقد نظمتهم على ذلك، فقلتُ:

عليك بالأئمة الاثني عشرْ * من آل بيت المصطفى خير البشرْ
أبو تراب، حسنٌ، حسينُ * و بعض زين العابدينَ شينُ
محمد الباقرُ كم علمٍ درى؟ * و الصادق ادع جعفراً بين الورى
موسى هو الكاظم، و ابنه عليُّ * لقبه بالرضا و قدرُهُ علِيُّ
محمد التقيّ قلبه معمورُ * علِيُّ النقيُّ دُرُّهُ منثورُ
عسكريُّ الحسنُ المطَّرُ * محمد المهديُّ سوفَ يظهرُ».

أحمد بن يوسف أبو العباس القرماني الحنفي (ت/ ١٠١٩ هـ) قال في كتابه (أخبار الدول و آثار الأول) في الفصل الحادي عشر: في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح: ١٢٥

«وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، أتاه الله فيها الحكمة كما أوتيها يحيى عليه السلام صبياً. و كان مربوع القامة، حسن الوجه و الشعر، أقنى الأنف، أجلى الجبهة... و اتفق العلماء على أنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت، و قد تعاضدت الأخبار على ظهوره، و تظافرت الروايات على اشراق نوره، و ستسفر ظلمة الأيام و الليالي بسفوره، و ينجلي برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن دجوره، و يسير عدله في الآفاق فيكون أضوء من البدر المنير في مسيره»(٤).

سليمان بن ابراهيم المعروف بالقندوزي الحنفي (ت/ ١٢٧٠ هـ) كان من علماء الأحناف المصرحين بولادة الإمام المهدي عليه السلام، إذ يقول: «فالخبر المعلوم المحقق عند الثقات أن ولادة القائم عليه السلام كانت ليلة الخامس عشر من شعبان سنة خمس و خمسين و مائتين في بلدة سامراء».

ومن الشواهد التي تصلح دليلا حسيا أيضا على و لادة الامام الحجة، كـــلام بعـــض النسابة المشهورين، على ما ذكر في " المهدي المنتظر في الفكر الاســـلامي" موفقـــا، مـــا سنذكره بالترتيب نفسه الذي أورده المؤلف المذكور:

النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري من أعلام القرن الرابع الهجري ، كان حياً سنة (٣٤١ هـ) ، و هو من أشهر علماء الأنساب المعاصرين لغيبة الإمام المهدي الصغرى التي انتهت سنة ٣٢٩ هـ.

قال في سر السلسلة العلوية : «وولد علي بن محمد التقي عليه السلام : الحسن ابن علي العسكري عليه السلام من أم ولد نوبية تدعى : ريحانة ، و ولد سنة احدى و ثلاثين و مائتين و قبض سنة ستين و مائتين بسامراء ، و هو ابن تسع و عشرين سنة.. و ولد علي بن محمد التقي عليه السلام جعفراً و هو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب، و إنما تسميه الإمامية بذلك ؛ لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجة عليه السلام . لا طعن في نسبه».

السيد العمري النسابة المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري قال: «ومات أبو محمد عليه السلام و ولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه و ثقات أهله، و سنذكر حال ولادته و الأخبار التي سمعناها بذلك. و امتحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، و شره جعفر بن علي إلى مال أخيه و حاله فدفع أن يكون له ولد، و أعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه »...

١٢٧ الفخر الرازي الشافعي (ت / ٦٠٦ هـ)، قال في كتابه الشجرة المباركة في أنساب الطالبية تحت عنوان : أولاد الإمام العسكري عليه السلام قال: «أما الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان و بنتان: اما الابنان، فأحدهما : صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، و الثاني موسى درج في حياة أبيه. و أما البنتان: ففاطمة درجت في حياة أبيها، و أم موسى درجت أيضاً».

المروزي الأزوركاني (ت / بعد سنة ٦١٤ هـ) فقد و صف في كتاب الفخري جعفر ابن الإمام الهادي في محاولته انكار ولد أخيه بالكذاب، و فيه أعظم دليل على اعتقاده بولادة الإمام المنتظر .

السيد النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت / ٨٢٨ هـ) قال في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : «أما علي الهادي فيلقب العسكري لمقامه بسُرَّ من رأى، و كانت تسمى العسكر ، و أمه أم ولد ، و كان في غاية الفضل و كفاية

النبل ، أشخصه المتوكل إلى سُرَّ من رأى فأقام بها إلى أن تُوفي ، و أعقب من رجلين هما: الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام ، و كان من الزهد و العلم على أمر عظيم ، و هو و الد الإمام محمد المهدي صلوات الله عليه ثاني عشر الأئمة عند الإمامية و هو القائم المنتظر عندهم من أم و لد اسمها نرجس .

و اسم أخيه أبو عبدالله جعفر الملقب بالكذاب؛ لادعائه الإمامة بعد أخيه الحسن».

وقال في الفصول الفخرية (مطبوع باللغة الفارسية) ما ترجمته : «أبو محمد الحسن الذي يقال له العسكري، و العسكر هو سامراء، جلبه المتوكل و أباه إلى سامراء من المدينة، و اعتقلهما. و هو الحادي عشر من الأئمة الإثني عشر، و هو و الد محمد المهدي عليه السلام ، ثاني عشرهم».

النسابة الزيدي السيد أبو الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني من أعيان القرن الحادي عشر.

ذكر في الشجرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمد بن علي الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، و تحت اسم الإمام علي التقي المعروف بالهادي عليه السلام خمسة من البنين و هم : الإمام العسكري ، الحسين ، موسى ، محمد ، علي . و تحت اسم الإمام العسكري عليه السلام مباشرة كتب : (محمد بن) و بازائه : (منتظر الإمامية).

محمد أمين السويدي (ت/ ١٢٤٦ هـ) قال في سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب : «محمد المهدي : و كان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، و كان مربوع القامة ، حسن الوجه و الشعر ، أقنى الأنف ، صبيح الجبهة».

النسابة المعاصر محمد و يس الحيدري السوري قال في الدرر البهية في الأنساب الحيدرية و الأويسية في بيان أولاد الإمام الهادي عليه السلام : «أعقب خمسة أولاد : محمد و جعفر و الحسين و الإمام الحسن العسكري و عائشة. فالحسن العسكري أعقب محمد المهدي صاحب السرداب». ثم قال بعد ذلك مباشرة و تحت عنوان : (الإمامان محمد المهدي و الحسن العسكري) :

«الإمام الحسن العسكري : ولد بالمدينة سنة ٢٣١ هـ و توفي بسامراء سنة ٢٦٠ هـ. الإمام محمد المهدي : لم يذكر له ذرية و لا أولاد له أبدًا».

وقال : «ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ، وأمه نرجس، و صيف فقالوا عنه : ناصع اللون، و اضح الجبين، أبلج الحاجب، مسنون الخد، أقنى الأنف، أشم، أروع، كأنه غصن بان، و كأنّ غرّته كوكب دريّ، في خده الأيمن خال كأنه فتات مسك على بياض الفضّة، و له و فرة سمحاء تطالع شحمة أذنه، ما رأت العيون أقصد منه و لا أكثر حسناً و سكينةً و حياءً»[٢٥٣].

إذا انضمت هذه الشواهد الحسية إلى ذلك الفيض المتكوثر من الأخبار الصريحة في و لادة المهدي، من طرق الخاصة، ازدادت قوة الدليل الحسي، حيث يصبح رد هذه الشواهد مما دونه خرط القتاد.

الدليل المستفاد أو الدليل المقاصدي:

ونقصد بذلك جملة القرائن ، و الأدلة غير المباشرة التي تؤدي في نهاية المطاف إلى إثبات و لادته و بأنه هو نفسه الحجة بن الحسن ـــ عج ـــ.

١٢٩ إن الحديث المتكاثر عن ظهوره يفيد الغيبة.حيث الظهور يقابل الغيبة. و إلا كان أبلغ أن يقال سيولد. ثم لا يخفى أن الإمامية منذ زمان الأئمةالأطهار أنفسهم كانوا على هذه السنة في الانتظار. فأخبار المهدي ـــ عج ـــ رويت عنهم تباعا ، ما من إمام إلا و أخبر عن القائم. و قد دل حديث الإئمة الاثنا عشر من قريش الذي اخرجه البخاري في الصحيح ،وكذا مسلم . بل و كما أخبر غير و احد من أهل المجاميع الروائية كابن حنبل و النسائي و غيرهما ، على أن الثاني عشر هو القائم ، حيث جاء في الخبر النبوي ، أن تاسعهم قائمهم.

---

٢٥٣ ـــ انظر المصدر نفسه ، ص ١٢١ ـــ ١٢٨

أخرج البخاري بسنده عن جابر بن سمرة

قال : «سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : « يكون اثنا عشر أميراً » ، فقال كلمة لم أسمعها،فقال أبي : إنه قال: « كلّهم من قريش »[٢٥٤].

وجاء في صحيح مسلم : «ولا يزال

الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش »[٢٥٥].

وحيث لا يمكن كما فعل أكثر من حاول إسقاط حديث الاثنا عشر بعدد نقباء بني إسرائيل على أهل الخلافة الزمنية، إيجاد مصاديق للعدد المذكور و المقرون بالصلاح و قيام الدين الحق في عدد الخلفاء الذين عدوا بالعشرات، ليس ثمة من طريق إلا الإذعان ، بأن المعني فبالاثني عشر هم أئمة أهل البيت ، حيث لم يدع العدد سواهم. و كما جاء في الخبر الذي رواه ابن حنبل في المسند و غيره:" تاسعهم ـــ أي من و لد الحسين ـــ قائمهم ".

فلو أدركنا بأن الأرض لا تخلوا من حجة ، و بأن من مات و لم يعرف إمـــام زمانـــه مات ميتة جاهلية كما و رد في الصحيح ، تبين أن المقصود ثبوت إمام الزمان ظـــاهرا أو خفيا، فلا يتصور التعرف على إمام الزمان و فق هذا الإطلاق ، إلا إذا شمل الإمام الخفي ، و ليس ثمة ما يشير إلى و جود إمام في هذا العصر و حب التعرف عليه غير المهـــدي ـــ عج ـــ لا فصل بين الغيبة و ظروفها و الظهور و مقاصده. فإذا كان سيولد فلما لا يولد الآن؟! فإنه لم يظهر لأن شروط ظهوره لم تتم.فإذا انضم هذا الكل إلى مقاصد الظهور و قرئ في ضوء كلي العقيدة الاسلامية و في ضوء ما أكدت عليـــه قـــصص الغيبـــات و الظهورات النبوية و المهدوية عبر تاريخ الرسالات و في ضوء الانسجام العقائدي، حيث لم يكتمل نصاب الاثني عشر بعد الغيبة، اتضح أن ما يبدوا من المعتقد المهدوي عند الامامية ، إن لم يوجد الاطمئنان عند المخالف ، فهو يقدم من الأدلة الحسية و الحدسية و مجمـــل القرائن و الإمارات الموروثة لليقين، تحديا كبيرا، يجعل المعتقد المهدوي برسم الإمام المولود الغائب،غير قابل للدفع باليسر و التراجي المعهود عند المنكر. بل إن ذلك كفيل لا أقل بأن يفرض إعادة النظر في الموضوع ، و الوقوف عند الأدلة استغراقا، قبل شطب معتقد كانت

ـــ صحيح البخاري ٤ : ١٦٤ كتاب الاحكام باب الاستخلاف [٢٥٤]

ـــ٢صحيح مسلم : ١١٩ كتاب الامارة، باب الناس تبع لقريش [٢٥٥]

الأدلة به ناهضة بامتياز. و إذا كان كل هذا الكم الهائل من الشواهد ، ما لو انضمت إليها شواهد الإمامية الفائضة في المقام ،لا يغني حيث يعز الاعتقاد بالغيبة بعد الولادة و استثقال أمر الإعجاز، قلنا إنه ليس للمعجزة عصر دون عصر، و بأنه إذا ثبتت الغيبات فيما مضى فما المانع تكرارها في حق الإمام الحجة ـــعج ـــ..لا بل إن المنكر إن كـــان عـــز عليـــه استيعاب ذلك برسم الإيمان، لا بالبلكفة، بزعم أنه مستحيل ، كان ذلك دليلا على تهافت ، حيث تأكد أن ما جاء في الذكر من نظائر الغيبة و التمكين في الأرض علـــى النحـــو الخاص ، غير مركوز في إيمان هؤلاء. فيكون إيمانهم بالقرآن إيمانا بالجملة لا بالتفـــصيل. و قد بان و انفضح الأمر ، حيث لو لم يذكر القرآن هذه النظائر و ما حاط بها من أسرار لما آمن به إلا قليل.

المهدوية في ضوء الأصول الخمسة

ربما شق على البعض أن يكون الحديث حول المهدوية هو فرع للحديث عن الإمامـــة نفسها ، كما لو كان القول في المهدوية لا يقع إلا في طول القول في الإمامة. و مـــع أن جانبا من الصحة يعكسه هذا الرأي ، إلا أننا نعتقد أيضا أن المهدوية هي بـــالأحرى ، عقيدة قائمة بذاتها؛ حيث أن موضوعها ثابت في الوجدان الديني و غيره على النحو الأعم ..إنها بهذا المعنى ، فكرة راسخة في الوجدان البشري . بل هي المشترك الذي قد يحـــصل تصوره بدفعة و احدة ؛ و لا تأتي المكابرة إلا في مرحلة ثانوية بعد أن كانـــت المهدويـــة حدسا يتعقله الوجدان حضوريا. فلو سألت أي كائن بشري في كل جيل و في كل دين ؛ هل ترجوا شيئا أو لما تحمل بعض الأمل على الرغم من كل صنوف العذابات التي تلم ببني البشر، لأجاب؛ نعم أرجو الكثير و آمل في الكثير . إن المستقبل في وجدان البـــشر لا محالة أفضل. و إذا سألت كيف تتوقعه ، ربما هام و فتح المجال لأقصى الخيال. و بين سؤال الإن و سؤال الكيف ، خرج الموضوع عن الإجمـــاع بالجملـــة ، لتتكـــاثر الأفكـــار و الأحاسيس و الرسوم في الجملة. و لو أسسنا لهذه القاعدة الكلامية ، لاعتبرنا بأن المهدوية أساسا صالحا للبرهنة على ما قبلها من اعتقادات.إن المهدوية بهذا المعنى ، لو أصـــبحت قاعدة و جدانية استدلالية و ليست فكرة مستدل عليها ، فإنها ستصبح موضوعا جامعـــا

لكل المعتقدات الاسلامية ؛ و أعني هاهنا الأصول الخمسة . لأنها العنوان الذي يمثل النتيجة الحتمية للاعتقاد بالأصول الخمسة كما أن الاعتقاد بالمهدوية يجعل الاعتقـــاد بالأصـــول الخمسة أمرا حتميا.

المهدوية و التوحيد:

إننا ندرك من خلال صفة القدرة ، و هي بمقتضى الاعتقاد تجلي لكمال الذات ، أن الله تعالى كما جاء في بيان الأئمة الأطهار، إنما خلق الكون متكاثر الأنواع و متعدد الفروق اختلافا ملحوظا في الخلق من القوي فالأقوى إلى الضعيف فالأضعف. حتى يعبر عن كمال العظمة الإلهية و القدرة الربانية. فقال الصادق ـــ ع ـــ " إن الله تبارك و تعالى ، لم يخلق خلقه عبثا و لم يتركهم سدى، بل خلقهم لإظهار قدرته و ليكلفهم طاعتـــه فيـــستوجبوا بذلك رضوانه.."[٢٥٦]. كما كان من تجلي العظمة و الإبداع أن ركب الوجود طبقا عـــن طبق ، ملكيا و ملكوتيا، لكي لا يبقى في ذهن مخلوق عاقل من الصور الممكنة ما ليس له نظير في الخلق، فكان ما عرفنا و ما لم نعرف و ما لم يخطر على قلب بشر.فقـــد ورد في علل الشرائع جواب الإمام الرضا ـــ ع ـــ عن السائل : لم خلق الله سبحانه و تعالى الخلق أنواع شتى و لم يخلقهم نوعا و احدا. فقال: لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز و لا يقع صورة في و هم ملحد إلا و قد خلق الله عز و جل عليها خلقا لئلا يقول قائل: هل يقدر الله عز و جل على أن يخلق صورة كذا و كذا. لأنه لا يقول من ذلك شيئا إلا و هو موجـــود في خلقه تبارك و تعالى بالنظر إلى أنواع خلقه" [٢٥٧]..فكما كان كونه المسطور قرآنا كريمـــا أغناه من صور التشبيه و الاستعارة في البيان ، كان كونه المعمور كريما لغناه في التكاثر و التنوع في الإبداع.ولعل ذلك مفاد كونه قرآنا كريما كما و رد عن ابن عباس في تفـــسير معنى الرفث : " الجماع ـــ يقصد الرفث ـــ ، و لكن الله كريم يكني ما شاء بما شاء".

---

[٢٥٦] ـــ الشيخ الصدوق، علل الشرائع ، ص ٩ ، الناشر مكتبة الداوري ـــ قم
[٢٥٧] ـــ الشيخ الصدوق: المصدر، ص ١٤.

و كما أن الأدنين من خلقه هم تعبير عن قدرته[٢٥٨] ، فإن الأولوية القطعية قاضـــية في أفهام عموم البشر بأن الكمل هم التعبير الأقوى عن عظمة خلقه..حيث البيان لا يـــتم إلا بمقتضى حدود مدارك المتلقي ، و مطلبه في التفهيم عبر مسلماته و رموزه و ليس جعـــلا منزلا خاليا من الإرشادي[٢٥٩]. و عليه ، فلا يظهـــر فـــضل الكمـــل إلا بوجـــود أهـــل النقصان..حتى يرى بعضهم في بعض آيات كماله، فيحمده الأقوى على نعمة الكمال ، و يرجوه الناقص بطلب الكمال و الحمد على ما آتاه، فيتحقق المقصد الأعلى ، بالتكامـــل بالشكر و الحمد في طريق العبودية ـــ على أن الكمال و النقص المذكورين هاهنـــا هما بالنسبة لا بالحقيقة، حيث أكمل الله خلقه بالحقيقة ـــ على أن الحديث عن النقـــصان في خلق الله هو من أوهام المخلوق البشري الواقع في صقع العالم بما ينسحه من علاقات مـــع ظواهر ه ، على نحو من النسبية ، و جدلية الخير و الشر ؛ التي هي ليـــست متعقلـــة إلا برسم صور الجهل المترددة بين بسيطه و مركبه. فالعالم في كثراته و جب له الوجود. فهو خير لا شر فيه إذ لا يتخلله عدم. غير أن جدلية الخير و الشر هي عنوان لتجلي صـــفات الجمال و الجلال. و لقد شاء البارئ تعالى أن لا يقيم عالم الناس على العلم المطلق دفعـــا للحرج بموجب قبح التكليف بما لا يطاق ، فسرح للناس ما به تقوم و ظيفتهم العملية في مساحة الجهل و الجهل المركب، لطفا منه بالعباد ، فاحتج على الناس بالقطع الوجـــداني ١٣٣
متى عز عليهم العلم الوجودي. و تجاوز عن غفلاتهم و ما شمله حديث الرفـــع التـــسعي النبوي من اضطراري و مجهول و ما شابه، دفعا للعسر . و لو أن الله حاسب عالم البـــشر بالعلم الواقعي لهلك أكثر الناس ، و ساخت الأرض بمن فيها؛ إذ أكثـــرهم عـــن الحـــق غافلون. و قد كان من لطفه الهداية التي بعث في طريقها أنبياءه و أوصياءه تباعا ، أنوارا و حججا ظاهرة و غائبة، حتى لا تكون للناس على الله حجـــة. إن عظمـــة التوحيـــد

٢٥٨ـــ يضرب الله تعالى درسا لمن يهون من خلقه ، مبينا أن الاعجاز كامن في ما بـــدى أضـــعف خلـــق كالذباب الذي لا يملكون خلق مثله و لو سلبهم شيئا لا يقدرون على رده ضعف الطالب و المطلوب. فيقول من سورة البقرة: " إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها".

٢٥٩ ـــ استناد الخطاب الإلهي على اللغة الطبيعية و رموزها من مقاصده في تنزيل البيان على مقتـــضى الظهور العرفي ، لمقام الحجية. فلا باطن المعنى و أسرار الحقائق الثاوية في الكتاب الكريم مانعة من ظهور معناه المتاح لأقل خلقه إدراكا. و ما الحديث عن خلائقه بهذا الظهور سوى نزولا عند الفهم المتاح عرفـــا. و أما من جهة الحكمة المكنونة في خلقه ، يكون الكون بكبيره و دقيقة كمالا. و كلـــه تعبيـــر عـــن العظمـــة و القدرة.فإذا ظهر أن هذا فيه التجلي أبرز من ذاك ، فالخلاف راجع إلى الناظر لا إلى المنظور ، فافهم.

تستوجب و جود الكمل من أصفياءه رسلا كانوا أو أوصياء كما أكدت سورة الرسالات و منطق البعثات و الاصطفاءات. فكان أجود ما جاء في النهج حول مقاصـــد البعثـــة:" فبعث فيهم رسله و واتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكروهم منسي نعمته، و يحتجوا إليهم بالتبليغ ، و يثيروا فيهم دفائن العقول"[٢٦٠]. و لم يكن المهديون و الأوصياء و الغيب منهم تحديدا بدعا في منطق الرسالات ، حتى يقال أن غيبة مهدي الأمة أمر ناشز عن مقتضى المعقول و المنقول. فالمدار هو الهداية أيا كانت و سائطها ، نبيا رســـولا أو إماما مصطفى . و حيث لا موضوع للحديث عن التزاحم بين و ظيفة الرسل و الأوصياء المهديين ، إلا بمقدار ما يقال ذلك في الرسل الذين كانوا قبلنا ، حيث و جود موسى ـــ ع ـــ لم يكن مزاحما لوجود مهدي يشاركه المجال و الزمان. و لم تكن و ظيفته الرســـالية مزاحمة لوظيفة الخضر ـــ ع ـــ.بل تكاملت و استدعت مرافقة موسى لمهدي خفي أمره على عموم الناس و باشر كل إنجازاته خفية من الناس. فإذا كان التـــزاحم لم يحـــصل في الحضور المحايث لأنبياء عاشوا حقبة و احدة ، فكيف يقال إن المهدوية منافيـــة للرســـالة الخاتمة. بل لو نظر إلى المهدوية بعين اللطف و حكمة المبدع الهادي ، لكان ذلك عنوانـــا لفيض اللطف و تكثيفا للباعثية على مسلك الطاعة ، به يتحقق المراد. إن صفة الهادي ، و هي من صفات كماله التي هي ذاته تعالى ، تفرض تجليا لمشتقها المهدي الذي به يهدي الله الأمم ، و يصلح ما أفسده الطغيان على محمد و آله . فالتوحيـــد لا يقـــوم إلا بإحـــصاء صفات الكمال ؛ و منها الهادي. إن و جود الشرك و آثاره العملية التي تتهدد و صـــول التوحيد و صولا سمحا إلى أخلاد الناس ، يستدعي مهديين يتدبرون الأمـــم الغارقـــة في أوحال الغفلات و المهددة بصنوف النسيان . و حيث كان الإنسان نسيانا في كل أطوار و جوده[٢٦١] ، قبل الرسالة الخاتمة و بعدها ، و مادامت الهداية ملازمة للنـــسيان و جـــودا و عدما، فإن ضرورة المهدي لا تتوقف عند حد أو فترة من الرسل. إنها عنـــوان الإفاضـــة المستمرة و لطفه المستدام جل و علا. يقول جل و علا:" و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا،

---

[٢٦٠] ـــ انظر الخطبة الأولى من نهج البلاغة/ من كل الطبعات.

[٢٦١] ـــ يقول الامام الصادق ـــ ع ـــ : سمي الإنسان إنسانا لأنه ينسى.وقال تعالى: و لقد عهدنا إلـــى آدم فنسي./ الشيخ الصدوق : علل الشرائع، ص ٤، المصدر.

و أوحينا إليهم فعل الخيرات"[٢٦٢]. و قوله تعالى:" و لقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون"[٢٦٣].

و حيث حدثنا التعاليم عن الفترات بين الرسل ، و لم تحدثنا عن فترات بين المهديين . و هو أجنبي عن موضوع المهدوية التي هي كالشمس الذي لو انقطعت لظلك من في الأرض جميعا. و مصداقه قول الصادق ــ ع ــ :" لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت"[٢٦٤]. لذا كانت و ظيفته أعم ؛ تقوم بالنبي و غيره. و هي في عالم البشر مشككة تتفاوت بالمراتب بين الصالح و الأصلح. إن العقيدة المهدوية تؤكد على أن مستقبل البشرية متجه نحو الوحدة و التوحيد. بل هي الوسيلة الأقرب إلى الوحدان ، دلالة على إمكان التوحد على فكرة خلاصية للنوع. بهذا المعنى تصبح المهدوية ضرورة توحيدية. لقد ارتبط ذكر المهدي بالتوحيد و الوحدة. يجمع البشرية على توحيد الله و على و حدة الاجتماع السياسي القائم على و حدة النظام و شريعة محمد كما يتدبرها بالتأويل من أولي الحكم الواقعي.فإذا كان التكاثر في و جهات النظر مرده إلى سيادة الظنون، و انحسار في العلم الواقعي ، فإن سياسة الخلق بالحكم الواقعي و القطع الجاري مجرى المطابقة القطعية، كفيل بتوحيد الناس على نسق اجتماعي و سياسي. إن أكبر تجلي للتوحيد و ظهور دين الله في الأرض سيكون على يد المهدي ؛ و بذلك يكون المهدي ضرورة توحيدية ، في عالم تصدع بالتكاثر و تمزقت أطرافه و ازدادت تناقضاته. و حيث سيؤلف المهدي بين الجموع المتنافرة و توحيد الخلق على الناموس ، يكون قد عبر عن تجلي الوحدة و التوحيد. و به يتحقق الوعد الإلهي:" و له أسلم من في السماوات و الأرض طوعا و كرها"[٢٦٥]. و هي كما علمت لم تتحقق ، إلا بمجيء المهدي الذي سيملؤها عدلا كما ملئت جورا. فلا يقال إن المعنى المراد ؛ أن لا أحد من خلقه بخارج من التسليم له. حيث و رود التفصيل طوعا و كرها أمارة على أن المراد الراجح ، التسليم الظاهر و الحقيقي.وهذا ما أكد عليه التفسير المصداقي للإمام الصادق ــ ع ــ لهذه الآية الكريمة ، بقوله:" إذا قام القائم

---

[٢٦٢] ــ سورة الانبياء /٧٣

[٢٦٣] ــ سورة القصص /٥٣

[٢٦٤] ــ انظر أصول الكافي ج١ ص ١٧٩ .

[٢٦٥] ــ سورة آل عمران/٧٣

المهدي لا تبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله "[٢٦٦]. من هنا لم تكن فكرة المهدي بالجملة ، مجعولة جعلا مولويا لم يخطر ببال النوع. بل هـــي فيهم مركوزة يستحضرها و جدانهم الفطري. و بينما حاول الكثير مـــن البـــاحثين ، أن يشككوا في المهدوية الاسلامية باعتبار و جود نظائرها في سائر المعتقـــدات الإنـــسانية و الدينية السابقة للإسلام. كان أجدى أن يكون ذلك خير دليـــل علـــى و جدانيتـــها و مركوزيتها في فطرة البشر. فالبشر لا ينازعون في أمر أجمعوا عليه و لو بالجملة. و ليس ثمة من إجماع أمتن من إجماع الوجدان. لقد اختلف أهل الأديان حول من يكـــون المهـــدي المخلص ، كما اختلف أهل المذاهب الاسلامية هل و لد أم لم يولد، كما اختلفت أهـــل الملل و النحل حول كيفية تحقق الخلاص المهدوي. و في كل ذلك لم يرد مـــا يخـــدش في حقيقتها بالجملة. فالخلاف تفصيلي و العلم مجمل، و الإجماع و جداني. فكل من آمـــن بالمستقبل و رجا ، كان يعبر عن فكرة خلاصية و مهدوية شاء أم أبى.

تضع العقيدة المهدوية المؤمنين بها في و ضع صعب، من حيث ثقل الانتظار ، الـــذي و صف بأنه من أكبر العبادات ، و من حيث الانتظار في ظرف يختفي فيه الامام الحجة الذي هو ضابط التأويل الصحيح للدين ، حيث فوضى القراءات و عدم بلوغ نفس الأمـــر إلى درجة الامتناع. إنه اختبار للإيمان بقدرة الله على أن يعجز من في الأرض جميعا عن بلوغ من أتاه الله رحمة من عنده و منع الناس عنه، و غيبه حيث فعل نظيره على امتداد رسالاته. أنه عنوان القدرة الذي يجعل المسلم في دائرة الامتحان الصعب ؛ فإما يسلم و إما يستشكل حيث لا استشكال على ما في يد القدرة المبسوطة. و لذلك كان أول و صف لهم:" الذين يؤمنون بالغيب"!

إنك تجد أن المهدي ـــ عج ـــ يجسد منتهى تجلي التوحيد في العالم. فلو نظرت إليه من خلال الأسماء الحسنى الالهية لرأيته مصداقا أوفى لها. و ذلك تأسيسا على النبوي الذي حث المؤمن على التقرب بالنوافل حتى يكون سمعه الذي يسمع به و يده التي يبطش بها . و مـــا إليها من معاني أحصاها العرفاء في مستوى قرب الفرائض و قرب النوافل، مـــع فـــارق

---

[٢٦٦] ـــ انظر ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ، ص ٤٢١.

جوهري بين أن يصبح المؤمن هو يد الله التي يبطش بها، و بين أن يصل مقاما يكـــون الله هو سمعه الذي يسمع به و يده التي يبطش بها.وهو مصداق قوله تعالى:" و ما رميـــت إذ رميت و لكن الله رمى "؛ مقامات متاحة لعموم السلاك و العارفين، فكيف بمـــن و عـــد بالتمكين و كان قائما حجة على الخلق؟! إن عنوان التمكين الذي يعكس القدرة الإلهية ، سمة من سمات القائم ـــ عج ـــ ، و هو أثرها الأوفى. و هكذا يمكننا قراءة مظاهر الظهور في ضوء الصفات الثبوتية، لندرك أن المهدي ، هو تجلي صفة العلم، حيث سيؤتى تمامـــه كما ذكرنا آنفا. كما أنه تجلي لصفة الحياة ، حيث طول العمر مـــصداق أوفى للحيـــاة، فليس ذلك على الله بعزيز و هو الحي القيوم.وهكذا سائر الصفات الثبوتية كـــالكلام، و القدرة و العدل و الوحدانية التي ستسم عصر المهدي ـــ عج ـــ؛ عصر سيوقف البـــشرية على أحكام الله الواقعية و الحقائق كما هي و نفس الامر. و هي الأمور التي متى غابـــت تكاثرت حولها أهواء البشر، فتكون الوحدانية و التوحيد عنوانا بارزا في عصر، يضع حدا لشقوة التكاثر برسم الأهواء . حيث في التكاثر عنوان ضعف و التباس الحقائق و امتنـــاع العلم و اشتداد الانسداد. و مع الحجة القائم، هناك ظهور لكل شيء؛ للعلم و الحقائق و المقاصد، و غياب الحواجز و التمكن من بلوغ المصالح بالطرق العادلة و خارج سسطوة و ظلم الإنسان. فمن يطلب التكاثر بالباطل و التعدد بالهوى حينئذ إلا شقي!

المهدوية و النبوة:

إذا كانت و ظيفة النبي كامنة في التنزيل ، فوظيفة الإمام كامنة في التأويل.وكما قاتل أمير المؤمنين على التأويل ، سيعود الأمر قبل استتباب الأمر لمهدي الأمة كما بدأ ، فيبارزه الناس بالتأويل الفاسد ، و يقاتلهم بالتأويل الصحيح.فينتصر! و هو آخر الأوصياء، و خاتم الأبدال. فمتى أدركنا أن الأمور أشباه، اعتبر آخرها بأولها فأحكم. و متى أدركنا أن لا و جود لأمر تكويني أو تشريعي إلا و فق حكمة مقاصدية كما أكد الأئمة الأطهار، فإن و جود الإمام هو في مقام البدل الشاغل للفترات قبل بعثة الرسول ـــ ص ـــ و هم بالأولوية أبدال ما بعد الرسالة الخاتمة لانقطاع الوحي و ختم الرسالة. فكيف يقال بـــلا جـــدوى حضور المهدي، و قد اتسعت دائرة الانسداد، و حيث عادت قاعدة قبح العقاب بلا بيان

، العمدة في زمان ما بعد العلم و البيان ؛ و استبدت الظنون خاصها و عامها. إلا أن يقال ؛ أن الأمة عاشت زمان التنزيل دون أن تدرك من زمان التأويل ما يقيم البيان و يعضده. و حيث لا يعلم متشابه التنزيل إلا الله و الراسخون في العلم .وقد ظهر أن الراسخين في العلم هم الأئمة من العترة الطاهرة. حيث أجاب الصادق ـــ ع ـــ شارحا الآية الكريمة:" و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم"، قال نحن نعلمه[٢٦٧]. و حيثما استمرت أطياف المتشابه و تلابست الأمور كان لازما و جود الراسخين في العلم. و مصداقهم المهدي المخلص ـــ عج ـــ :" فأين تذهبون و أنى تؤفكون و الأعلام قائمة و الآيات و اضحة و المنار منصوبة. فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون و بينكم عترة نبيكم"[٢٦٨].

إن ظهوره و خفاءه لا يؤثر في الدور الذي يقوم به، إلا أن لظهوره شأن عظيم يفوق ما يقوم به من أدوار في الخفاء. و هذا ما يؤكد على أن الإمام حاضر في إجماعات الفقهاء اليقينية، فهو مانعهم من انعقاد إجماعهم على الخطا. و دائما و بناء على الأولوية القطعية ، نقول إذا كان المهدي شأنه شأن الخضر ـــ و هو حقا خضر الأمة ـــ يحضر في البسائط من الأمور و ما يخص أفراد الأمة يتدبر أمورهم، كيف لا يكون حضوره آكد في القضايا المصيرية للأمة و ما يختص بالجماعة، كما هو حال الاجماعات.

إذا لم تكن مهدوية الخضر مزاحمة لنبوة موسى، فما الغرابة في و جود مهدي الأمة إذن؟! لا بل إنها في حال عدم و جود النبي هي آكد بالأولوية القطعية. و إذا كانت مهدوية الخضر و نظائره في تاريخ الرسالات التي عرفنا منه القليل و جهلنا منه الكثير ، نافعة في زمان البعثات ، فما و جه الغرابة أن تكون نافعة في زمان غياب الرسل . بل سوف تكون إذاك آكد في النفع متى أدركنا أن الرسالة الخاتمة تستدعي و جود مهدي يحمل من خصائص عظمة الرسالة الخاتمة أيضا. حيث لا يمكن انبعاث نبي آخر. إن مقتضى الخاتمية أن يكون المهدي حيث لا فترة بعد النبي. فتصبح الخاتمية دليلا أقوى على ضرورة المهدي أكثر من الرسالات غير الخاتمة ، متى أدركنا مقاصد النبوة و مقاصد المهدوية. إن فكرة الخلاص الأخير و المهدوية بأوصافها العظيمة هي الدليل على عظمة

---

[٢٦٧] ـــ المجلسي ، بحار الأنوار ج٩٢ ص ٩٣ ، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت ١٩٨٣م.
[٢٦٨] ـــ نهج البلاغة ، الخطبة ٨٦.

النبوة نفسها ، حيث ثبوت العظمة للفرع هي عنوان ثبوتها للأصل. فحيثما اتجه النظر إلى المستقبل ، كلما تضخم الإحساس بضرورة الخلاص و شموله. فالمهدوية بالأوصاف العظمى التي خلدتها التعاليم الدينية هي الدليل الأبرز على أن ما كان قبلها من رسالة هو الأعظم و الخاتم بلا شك.

إن و ظيفة المهدي مكملة لوظيفة النبي. و قد يقال هاهنا كيف يتم ذلك و قد أكمل الله دينه و أتم نعمته. غير أن الشبهة هنا و اضحة التهافت . فتمام الرسالة ببيان و ظيفة المهدي و الإخبار عنه؛ فهو مشمول في آية الإكمال. و شاهده قول الإمام الرضا ـــ ع ـــ :" إن الله تبارك اسمه لم يقبض رسوله ـــ ص ـــ حتى أكمل له الدين فأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء بين فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام و جميع ما يحتاج الناس إليه كملا. فقال عز و جل : ما فرطنا في الكتاب من شيء. و أنزل عليه في حجة الوداع و هي آخر عمره : اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا. و أمر الإمامة من تمام الدين."[٢٦٩] . و بما يتحقق تمام النعمة بالتأويل كما تمت النعمة قبله بالتنزيل. إن تمام النعمة في زمن التنزيل كان بالقوة . بينما سيكون تمام النعمة في زمن التأويل بالفعل. و هذا ما أكدت عليه الآيات و الأخبار . حيث جاء لسانها بصيغة "لو" [١٣٩] ، نظير قوله تعالى:" و لو أن أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض"[٢٧٠].

لكن و قوع ذلك سيكون في زمن المهدي بالفعل ، حيث سيتحقق ذلك كما دلت الآيات و الأخبار. فمن الآيات قوله تعالى:" بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين"[٢٧١].

ومن الأخبار ، ما جاء في رواية لأمير المؤمنين يشرح فيها قوله تعالى:" هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله:. فسأل الجالسين: هل أظهر الدين لحد الآن؟ قالوا : نعم، قال : كلا ، و الذي نفسي بيده ، لا يصير حتى لا تبقى قرية و ينادي

---

[٢٦٩] ـــ الغيبة للنعماني ، ص٢١٨، مكتبة الصدوق ـــ طهران ، ١٣٩٧هـ.
[٢٧٠] ـــ سورة الأعراف/٩٦
[٢٧١] ـــ سورة هود/٨٦

فيها ليلا و نهارا بشهادة ،لا إله إلا الله".[٢٧٢] أقول ، إن المهدي مصداق لمعنى الآية ، حيث ذكر إرسال الرسول بالهدى. فالهدى و الظهور، هي أصدق في المهدي الذي هو من متممات هذا الأمر.

ليست و ظيفة المهدي التكميلية منافية لكمال التنزيل..بل هي إكمال في طول المضامين النبوية. إنما ليست اختراعا لدين جديد أو رسالة جديدة على نحو الجعل البسيط ، بل هي إكمال و تأويل و تشكيل متطور لرسالة الإسلام على نحو الوجود المركب. إن المهدي سيحقق كل مطالب النبوات و الرسالات بإقامة العدل بين الناس، و القضاء على الظلم و الطغيان. و ما دام أن أكثر دعوات الأنبياء لم تتحقق، في توحيد البشرية على التوحيد و تطهير الأرض من الظلم ، كدعوة نوح بأن لا يذر على الأرض من الكافرين ديارا؛ فإن المهدي سيتوفر له من و سائل الإعجاز ما لم يتوفر لغيره. بل ما من معجزة كانت لنبي إلا و يؤتاها حتى يتحقق المراد. أو كما قال الإمام الباقر ـــ ع ـــ :"ما من معجزة من معجزات الأنبياء و الأوصياء إلا و يظهر الله تبارك و تعالى مثلها على يد قائمنا لإتمام الحجة على الأعداء"[٢٧٣]. إن المهدي هو محقق كل رجاء الأنبياء؛ و ليس إلا المهدي حقيق بهذا الدور. فالمهدي بهذا المعنى هو ضرورة نبوية و رسالية!

المهدوية و المعاد:

تجسد المهدوية نموذجا مصغرا للمعاد .ففضلا عن كون ظهوره و عد الله و الله لا يخلف الميعاد كما جاء في بيان الأئمة،حيث هو من المحتوم لا الموقوف، فإنه حين ظهوره سيتولى مع أنصاره عمران الأرض و إنجاز رسالة الاستخلاف. و تحكي التعاليم الدينية حول المهدي أنه سينجز ما يشبه جنة على الأرض من حيث ما يحث في زمانه من الخيرات و أيضا سيقيم ما يشبه نارا لمعاقبة المفسدين و البطش بالاستكبار. و لذلك سمي مهديا لأنه يدعوا إلى أمر خفي، فغيحاسب الناس بعلمه لا بظاهر حالهم. فيتخن في معاقبة المتمردين

---

[٢٧٢] ـــ القندوزي ، ينابيع المودة ص ٤٢٣.
[٢٧٣] ـــ مكيال المكارم ج ١، ص ٧٩.

عن الحق و يطاردهم في كل الدنيا ليجسد بذلك عنوان المعاد بشقيه؛ السعادة و الشقاء. فعن غزال بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله ـــ ع ـــ يقول:" إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها و استغنى الناس و يعمر الرجل في ملكه ...الخبر"[٢٧٤].كما يقابله ما جاء في قول الإمام الصادق ـــ ع ـــ تفسيرا للآية الكريمة " يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي و الأقدام:، قال: يقتل المنافقين و الكفار في ذلك اليوم بسيف عدالة المهدي ـــ عج ـــ "[٢٧٥]. فمن عز عليه تصور المعاد الأكبر ، أمكنه استيعاب مفهومه و إمكانه من خلال المعاد الأصغر. فيكون المهدي بهذا الصنيع عنوان لطف يعزز عند الناس عقيدة المعاد. و أيضا نموذجا تتحقق معه مضامين المعاد الأكبر؛ حيث مظاهر النشأة الأخرى على صعيد العمران و النضج العقلي الكبير و التحول الأعظم في حياة البشر، و الارتقاء في أسباب السماوات و الأرض. ففيه الإثابة و فيه النقمة و العذاب. فكل ما كان يتحدث عنه القرآن على لسان أنبياءه بالقوة سيتحقق بالفعل في زمن الظهور و دولة المهدي العظمى. و يؤكد على أنها حالة تغيير كبرى في عالم الناس ، قول الإمام :" إذا قام القائم ـــ ع ـــ جاء بأمر غير الذي كان"[٢٧٦].لذا حق أن نقول ؛ إن المهدوية انتقال الحقائق النبوية و مجد الرسالات من القوة إلى الفعل. فهي اللحظة الأوج في تحقق مقاصد الرسالات. فتكون المهدوية مصداقا لمقاصد الشريعة و حكمة الرسالة.ولذا قال عنها تعالى:" بقية الله خير لكم ، إن كنتم مؤمنين ". و حيث لا شيء يتغير سوى أن المهدي إنما سمي كذلك لأنه يهدي إلى أمر خفي. و بأنه سيحاسب الظالمين بعلمه و يطالهم بإعجازه.

وسوف تكون دولته العظمى نموذجا لكل ما كانت تهفوا إليه قلوب الأنبياء و الأمم قاطبة. أليس من لطفه تعالى و عدله أن يظهر للناس ما كان يقصده من أمر بعثه المتواتر للرسل ؛ حتى يكون ذلك في ذاته حجة على العباد. إن دولة المهدي العظمى تظهر بأن ما دعى له الأنبياء ممكن التحقق على الأرض .وبذلك يكون المهدي و دولته حجة لله على الناس ، حتى لا يقال إن ما دعت إليه الرسالات كان عصي التحقق على الأرض، فكان

---

[٢٧٤]ـــ الغيبة للطوسي ، ص ٤٦٨، المصدر

[٢٧٥]ـــ إحقاق الحق ج ١٣ ، ص ٣٥

[٢٧٦]ـــ الغيبة للطوسي، ص ٤٧٣، مؤسسة المعارف الإسلامية ـــ قم ، ١٤١١هـ.

المعاد المهدوي الأصغر حلقة كبرى في مسلسل الحجية المتواترة. فلا يحتج علـــى الله بعـــد تحقق دولته ـــ عج ـــ أحد على أساس إمكان تحقق دولة النبوات و الرسالات و الشرائع الإلهية متى شاء الناس . و لا يحتج أحد على الله بعد المهدي ، على أساس أنها اللطف الذي مكن فيه للمؤمنين و يسر لهم سبل الطاعة ؛ فلا يكفر بعد ذلك إلا شقي. فدولة المهـــدي تأخذهم بالحكم الواقعي و تحاسبهم بالعلم لا بالظن، و بالقوة لا بالاختيار، و هي رحمـــة الله التي ترفع من قوة اللطف، حتى تكاد تجبر الناس على و رود موارد السعادة، حيـــث لا دولة بعد هذه الدولة يرتجى فيها خير الدارين، أو على قول الصادق ـــ ع ـ : " دولتنا آخر الدول ، و لن يبقى أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنـــا سرنا مثل سيرة هؤلاء. و هو قوله تعالى: و العاقبة للمتقين."[٢٢٩]

المهدوية و العدل:

ارتبط ذكر المهدي بالعدل في صورته الفعلية . فلما كانت غاية بعثة الأنبياء و الرسل . أن يقيموا العدل بين الناس، لقوله تعالى:"لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنـــا معهـــم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط"[٢٣٠].

فإن العنوان البارز في دولة المهدي العظمى ، هو العدل بالفعل . فسوف يسخر المهدي كل إمكانياته التي و ضعها البارئ تعالى بين يديه لخدمة الناس بالعدل و القـــضاء علـــى الجور.

إذا كان تعاقب الأنبياء رحمة للأمم فإن خاتمية الرسالات لا ترفع رحمة التذكير و الهداية لمزيد من الباعثية و تكثيف للحجة..إن و جود المهدي يؤكد على منتهى العدل الالهي .

ولقد أظهرت قصة الخضر ، كيف أن العدل الإلهي تمثل في سلوكه الذي خفيت أسراره على النبي موسى حتى كاد موسى يستشكل على ما بدا من ظـــاهره إجرامـــا في حـــق الإنسانية . لكن عدل الله القائم على العلم المطلق لا على العلم المنقوص أو الجهل المركب هو من سيجعل الكثير ممن سيعاصر المهدي يأخذه العجب حتى يقال : لو كان ابن فاطمة

---

[٢٢٩] ـــ الغيبة للطوسي، ص ٤٧٣ المصدر.
[٢٣٠] ـــ سورة الحديد/٢٥

لرحم. سوف يحدث زلزالا قبل أن تقر عين البشرية بالسلام. إن و جود مهدي يحقـــق العدل بعلمه لا بالظن ، هو تجلي للعدل الالهي. حيث البشرية تتجه و جهة تجعلها تيـــأس من غلبة الظنون التي افتقدت معها كل حقوقها. و حيث ستجرب كل الخيارات ، حـــتى تدرك البشرية أن لا مجال لإقامة العدل إلا على أساس العلم و الحكم الواقعي و اتباع أمر من يهدي بأمر الله.

إن ما ينقص العالم اليوم هو العدالة. و في ظل هذه الفظاعات التي تقض مضجع الأمم قاطبة ، أصبح السؤال و ارداً: إن كان الله عادلا ، فكيف لا يلطف بعباده الذين أصـــبح العدل في عيونهم أشبه بالخيال في ظل النظم الظالمة. و كيف تتحقق العدالة الكونية في ظل تحكم عالمي بالثروة ، و تهميش كارثي لأغلبية المعمورة. حتى بدا و اضـــحا أن التـــسليم بالظلم أمرا لا مرية فيه في عصرنا الموسوم بهذه الجبرية الظالمة و الجـــبروت المغـــشوش. و سوف يكون المخرج الوحيد لهذا الانسداد الأعظم في فرص العدالة ثورة كونية لا يمكن أن يقوم بها إلا مؤتمر بأمر الله ، و معززا مشروعه بالمعجزات و الحجج القاهرة. فعدله يتعدى إلى كل البشرية و كل المستضعفين في الأرض. إنه و سيلة تحقيق النموذج البشري الأكثر عدالة في تاريخ النوع. و للإمام المهدي ـــ عج ـــ كل الشروط و الوسائل لتنفيذ أمر الله بنشر العدل و ملأ الدنيا به بعد أن ملئت جورا. و أهم تلك الشروط التمكين في الأرض و العلم الواقعي. و متى اجتمعا الشرطان معا لم يتأخر عنهما تحقيق العدالـــة. و تتجلـــى مظاهر العدل المهدوي في الأبعاد التالية بحسب المستفاد من الروايات المتكاثرة في المقام. إن عصر الظهور هو عصر القضاء على كل الآفات التي سببها الجهل و ضـــعف الـــتمكن. فالمهدي يأتي بالعلم الضروري للقضاء على ما أعجز الطب. و من العلم ما أعجز العلماء. أي ما معناه أن ثمة عدالة و وفرة على صعيد التقدم العلمي و النظام التربوي و التغطيـــة الصحية. بل سيملك من أسباب السماوات و الأرض ما يرفع به قصور و سائل الإنتـــاج عن استخراج الثروة الكافية للنوع من الأرض و ما يعجز القوانين عن ضبط العدالة بـــين بني البشر. و هذا يؤكد على أن الإمام المهدي سيوفر من العلم التكويني و التشريعي مـــا يرفع العقبات عن طريق تحقيق العدالة الاجتماعية. لا سيما العدالة الاقتصادية و هي أساس المشكل الاجتماعي الذي و جدت في طريقه قوانين و سياسات محكومة بقانون الندرة. و

حيث أن الإمام المهدي سيحل الإشكالية المالتوسية القائمة على أساس مضاعفات التطور الديمغرافي على الثروة ، من خلال استثمار أمثل للثروة و التدفق في الإنتاج و تجاوز اقتصاد الندرة الذي هو سبب كل فظاعات العدالة الاجتماعية. كما أنه سيتجاوز معضلة الفالراسية القاضية بالتمييز بين الموقف العلمي و الرياضي من عملية الإنتاج و الموقف الأخلاقي الإنساني من عملية التوزيع، من خلال أن عالم الوفرة لا يتيح هذا الفصل التعسفي الذي هو ناتج عن و اقع الندرة و الجشع. إن عصر الظهور عصر أخلاقي لا فصل فيه بين العلم و الأخلاق. حيث انتفاء الحاجة إلى هذا الفصل التعسفي. إن بلوغ الثروة و الرفاهية بالسوية لكل الناس، يرفع أي حاجة للاستعباد و الاحتكار و غيرها من الآفات التي تؤبد النظم الاقتصادية الظالمة. مع عصر الظهور ستتحقق مقولة علي بن أبي طالب:" لو كان الفقر رجلا لقتلته". و حيث أكد أمير المؤمنين على قاعدة تفسر سبب اختيار العدالة الاجتماعية، لما قال :" ما و جدت نعمة موفورة إلا و بجانبها حق مضيع". ففضلا عن أن ذلك دعوة إلى تقليص الفجوة بين الفقر و الغنى ، إلا أنه أكد على أن و اقع اقتصاد الندرة لا يساعد على التحقيق المطلق للعدالة الاجتماعية.لذلك فإن الفقر حتى بمعناه الأقل ضررا في حكومة النبي ـــ ص ـــ و علي ـــ ع ـــ ظل قائما. لكنهم أشاروا غير ما مرة إلى أن و اقع الندرة له علاقة بالكفر و الظلم ، و حيث و كما مر معنا ـــ لم يعم التوحيد و لم يظهر على الدنيا ـــ لا يتم القضاء على أسباب الظلم و الكفر إلا في عصر الحجة ـــ عج ـــ ، فيكون ظهوره مساوقا لارتفاع الندرة و تحقيق العدالة كاملة. فإذا كان النبي ـــ ص ـــ و الأئمة ـــ ع ـــ كلفوا بأن يحكموا بالظواهر ، فإن الإمام الحجة ـــ عج ـــ مكلف بالحكم بالباطن. و الحق أن الإمام الحجة سيقتل الفقر و ينتصر للفقراء و سيعم الخير الدنيا حتى لا يظل هناك ما يدعوا أحدا للكفر. من هنا فلن يكفر بعده إلا أهل الشقاوة الذاتية كما لا يخفى. إذا ضممت إلى ذلك العدالة في الصحة و الحرية و باقي الحقوق الأخرى و حمايته بالتمكين المتاح للإمام الحجة لردع الاعتداء و الاستكبار و دحر كل معتدي على قيم العدالة الاجتماعية، فسندرك أي معنى ستأخذه هذه العدالة. لا يحتاج الإنسان في زمن الظهور إلى إسراف في النظريات الاقتصادية طالما أن قصة الاقتصاد السياسي تبدأ من و اقع الندرة و الجشع الذي يفوق ما تنتجه الأرض. و لذلك ، كان

عصر الظهور هو عصر الاقتصاد في النظريات الاقتصادية ، حيث فائض الثروة النظيفة يتم تلقائيا و بأقل إجراءات و قائية. ان العدالة الاجتماعية لا تعني التفقير الاجتماعي و القضاء على حق الفرد، بل ان المهدي سيزيح كل العقبات التي تجعل الاقتصاد متى قام على العدالة الاجتماعية كان ذلك مؤشرا على تراجع الوفرةالاقتصادية . لا شك أن النظام الاقتصادي العالمي اليوم يقوم على و سائل في الإنتاج غير نظيفة، حيث التلوث البيئي هو و احدة من معضلات نمط الإنتاج المعاصر. كما أنه اقتصاد يقوم على سوء التوزيع و نمط في الإنتاج احتكاري، يستند إلى المنافسة غير الشريفة و شل اقتصادات أغلب المعمورة لصالح الاحتكارات الكبرى في بلاد الشمال. مثل هذا الوضع الذي تتطلع الشعوب إلى تغييره لصالح معادلة في العلاقات الاقتصادية قائم على العدالة و دحر سياسات الاحتكار و الاستتباع الاقتصادي، سيكون هو عنوان دولة المهدي العظمى. بل إن ذلك هو مصداق نشره العدل في الأرض و القضاء على الفجور، و أوله الفجور الاقتصادي. و إذا كان عنوان دولته الإيمان و التوحيد و نبد الكفر ، فذلك مصداق على ان دولته تأخذ بمبدأ الشكر القائم على إظهار النعم و توزيعها على قدر يفيض على الناس حتى يستغنوا. و حيث إن من مظاهر الكفر و الظلم ، خراب العمران بسياسات التفقير، و حيث جربت البشرية كل أشكال النظم الاقتصادية و أنماط الإنتاج ، أصبح و اضحا أن لا مخرج من هذا الشكل من الظلم الاقتصادي إلا دولة المهدي التي تملك و حدها أن تعمر الأرض عمران لا خراب فيه.إنها دولة الوفرة و العدالة الاجتماعية على أساس اقتصادي فعال و وسائل إنتاج نظيفة و سياسة في التوزيع بالغة العدالة.

المهدوية و الإمامة:

لا مهدوية إلا بإمامة. إنها من جنس اللازمات العقلية. فهي ، أي الإمامة من المهدوية، بمثابة المشمشية للمشمش .أي اللازم لملزومه. و إذا كان إصلاح مستقبل الأمم لن يكون إلا بالإمامة، و المهدوية لا تقوم بالمعنى الذي نتصوره من شأنها إلا بأن يكون المهدي إماما، فإن الأئمة قالوا كلنا مهديين..وأن المهدية في المستقبل تجيب عن كل الإشكاليات التي شطت فيها الأمة عبر التاريخ الإسلامي الطويل..إنها منطقية مع سياق المحنة التي و اجهها

الأئمة...وقد كان حقا أن يتساءل البعض: ماذا يمكن أن يتحقق من نفع بوجود المهدي؟! و الحق أن الجواب لا يتم إلا عبر سؤال آخر: ماذا خسر المسلمون ، بافتعال الاستغناء عن أئمة أهل البيت ـــ ع ـــ و استبدالهم بأغيارهم ؟ و نبذ أئمة يهدون بأمر الله و لا يقودون الناس بالجهل المركب الذي هو النسبة العظمى في علم أغيارهم ؟ و إذن هذا ما ستخسره الأمة أيضا بإغضائها عن إمام غائب ، تبين أنها حصدت من نكران بعضهم للغيبة أو و جود المهدي ـــ عج ـــ ، من كل مؤشرات اليأس.إن المهدوية تمنح المسلمين و كل البشر المتطلعين للخلاص تفائلية ، تجعل الاستمرارية ممكنة في ظل أعتى صور الظلم. و من دونها يضيق العالم و يستبد اليأس.

إننا نلاحظ أن كل صنوف الرفض لعقيدة الإمام المهدي، هي نفسها التي سبقها المشركون في سياق الرفض للنبوة. و من هنا ، و بعد أن تحقق الاعتقاد بالمهدوية كفكرة عامة ، راح البعض يتحدث عن و جودها كفكرة مجردة لا كحركة و واقعية يقودها شخص معين. و ما أشبه هذا بمن استنكر على الله أن يبعث رسولا بشرا أو رجلا من القرية عظيم أو شخصا يأكل الطعام و يمشي في الأسواق أو من طلب أن يبعث الله ملكا أو قرطاسا...وغيرها من المتعللات التي تجعل المنكرين لهذه الحقائق يتعجبون من تشخصها الفعلي في العالم ، حيث لا قيمة للأفكار المجردة و لا مكنة لها أن تحدث كل هذا التحول من دون قيادة عظمى. و ليس في دنيا البشر من الإمكانات و الأسرار و العلم اليقيني ما يجعل هذا الأمر مسألة اعتباطية تنبثق من داخل فظاعات الإنسان المعاصر، سوى أن يكون القائد موصولا بمدد القوة الحقيقية و متصرفا و منصورا و مزودا بالمعجزات.وما يجري على الأرض دليل أقوى على أن لا أحد من الأقطاب العالمية يملك أن يحكم العالم و يوحده حتى على الباطل أو الظنون، سوى أن يرد من يملك أن يخاطب فطرة الناس و يقدم بين يديهم ما كانت البشرية تتوق إليه.

إن لا أمر يقوم في دنيا الناس صحيحا أو باطلا إلا بإمامة. فهل شأن كشأن المهدي الذي سيغير ما كان ، و يحدث الثورة الكبرى ، ألا يحتاج إلى إمامة. يقول الإمام الرضا ـــ

ع ـــ :" إن الإمامة أس الإسلام النامي و فرعه السامي"[٢٧٩]. فهل يعقل أن يكون ثمة فرعا للإسلام أسمى تحققا على الأرض من إسلام المهدي ـــ عج ـــ. فبهذه الدوحة بدأ الأمر و بهم سيختم لا محالة.وكلهم هداة مهديين ، و إمامة القائم جامعة مانعة تستوعب رجـــاء الأنبياء و المرسلين و الأوصياء و حلم البشرية و المعذبين في الأرض قاطبة. إنها قصة كبرى و دولة عظمى و انتظارية طولى ؛ لكن الأمر يهون ما دام أن : " بقية الله خير لكم "!

---

[٢٧٩] ـــ الغيبة للنعماني ، ص ٢١٧ ، المصدر.

مـــي صبحي الخنســـاء

«الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِلْمُتَّقِيْنَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالغَيْبِ و يُقِيْمُوْنَ الصَلٰوةَ و مِمَّا رَزَقْنٰـــهُمْ يُنْفِقُوْن»

إن الحديث عن الإمام المهدي (عج) حديث غير عادي فنحن عندما نسمح لأنفسنا بالتحدث عن الإمام المغيّب بالقدرة الإلهية، نتحدث بخشية شـــديدة، كيـــف لا و نحـــن نتحدث عن إمام العصر و الزمان، الإمام الذي و ردت غيبته في سورة من أعظم الســـور (البقرة).

نتحدث عن إمام غائب غير موجود فيقتنع قسم من البشر و يتهكّم قسم آخر، و يصفنا فريق ثالث بأننا مغالون مبتدعون الى آخر الأوصاف و النعوت. في المقابـــل، تتحـــدث ديانات اخرى عن الإمام المهدي (عج) و لكن بتسمية و أسماء أخرى منـــها المخلّـــص و الموعود و وبوذا الخامس و فارقليط ... الخ.

إن الحديث عن الإمام المهدي (عج) أحد سلالة أهل البيت عليهم السلام لـــن يكـــون حديثاً عادياً لشخص عادي من عائلة عادية و نسل عادي. و نحن عندما نتحدث عن اهل البيت (ع) يبقى الكلام صغيراً متواضعاً أمام عظمة هذا البيت الطاهر، و يعجز القلم دائماً أمام حضرة الأئمة الميامين لذكر خصالهم الحميدة و مدى تأثيرهم على الحياة البـــشرية، و ما كانت ستؤول اليه الدنيا لو لم يكونوا. كما أن الإرتباط بأئمة أهل البيت (ع) لـــيس مجرد ارتباط عاطفي أو و جداني يتأتى من الشعور بالحب و المودة أو التعاطف و التفاعل العاطفي النفسي، بل ان الأمر يتعدى هذا بكثير إذ أن ما يجمعنا بأئمة أهل البيت بـــشكل عام هي علاقة فكرية عقائدية مترسخة عقلانياً و وجدانياً، و تتخطى كل المقـــاييس. و بالحديث عن أهل البيت عليهم الصلاة و السلام، يفتح لنا الطريق الحديث عـــن الإمـــام

الحجة (عج)، ذلك ان الارتباط بهذا الإمام يندرج في إطار علاقة فريدة نوعية بإنسان حيّ كامل متكامل جسداً و روحاً، هو الذي يرانا و لا نراه، يعرفنا و لا نعرفه، يسددنا و يوجهنا إلى حيث مصلحتنا و مصلحة الأمة. إنه إمام الإنس و الجن بل إمام الكون و قوامه. هو المخلّص لأمتنا في هذا الزمن الرديء، و هو الحي في كل زمان و مكان. إنه مهدي هذه الأمة و أملها المرتجى، به يحيي الله عزّ و جلّ الحق و العدل و يعيد إلى الأمة حريتها و كرامتها و يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعدما ملئت ظلماً و جوراً. هو الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين (ع) الذين أوجب الله طاعتهم على الخلق أجمعين؛ انه هو الإمام المهدي المنتظر صاحب العصر و الزمان، عجّل الله تعالى فرجه الشريف و جعلنا من أنصاره و أعوانه.

و لنتقل الآن لنلقي الضوء على حياة الإمام الحجة (عج) و بعض صفاته الخُلُقية و الخَلْقية.

اسمه أبو القاسم محمد بن الحسن، و لد في سنة ٢٥٥ للهجرة في سامراء و لم يولد لأبيه مولود غيره. توفي و الده الحسن العسكري (ع) و له من العمر خمس سنوات، فآتاه الله الحكمة و جعله آية للعالمين و إماماً للمسلمين، كما جعل عيسى بن مريم و هو في المهد نبياً. أخفاه أبوه عن أعين الناس فلم يعلم به إلا خواص شيعته خوفاً عليه.

و ورد الكثير من الأحاديث التي تتطرق الى و لادة الامام المهدي و نشأته و مراحل حياته، بالإضافة الى اوصافه و شمائله و وصاياه و تعاليمه (عج). و الشواهد على ذلك كثيرة. ففي صحيح الترمذي أن النبي (ص) قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم و احد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من آل بيتي يواطئ اسمه اسمي". و يقول ابن تيمية بصحة الحديث الذي نقله عن ابن عمر عن النبي (ص) و جاء فيه: "يخرج في آخر الزمان رجل من و لدي اسمه اسمي و كنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً كما امتلئت جوراً و ذلك هو المهدي". و في رواية أخرى تنتهي بسندها إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال: "إن علي بن أبي طالب إمام أمتي و خليفتي عليها من بعدي و من و لده القائم المنتظر الذي يملأ به الأرض عدلاً و قسطاً كما ملئت ظلماً و جوراً، و الذي بعثني بالحق بشيراً و نذيراً إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر"، فقام إليه

جابر بن عبد الله الأنصاري و قال: "يا رسول الله و للقائم من و لدك غيبة؟ قـــال: أيْ و ربّي و ليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين، يا جابر إن هذا الأمر سر من ســـر الله مطوي عن عباد الله فإياك و الشك فيه فإن الشك في أمر الله كفر". و يضاف الى هـــذه الأحاديث و السندات، الكثير الكثير من الروايات التي بشرت بمهدي أهل البيت.

اما في و صف خلق الإمام المهدي، فيُذكر عن النبي (صلى الله عليه و آله) قال: المهدي رجل أجلى الجبهه، أقنى الأنف، أزج الحواجب، أبلج، أعين، كث اللحية، برّاق الثنايا، في و جهه خال، في كتفه علامة النبي.

وعن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): "المهدي مشرّب حمرة، مبدح البطن، عـــريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده و شامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه و آله".

ويقول الإمام الحسين عليه السلام في خُلُقه: "تعرفون المهدي بسكينة و وقار، و معرفته الحلال و الحرام، و بحاجة الناس إليه و لا يحتاج إلى أحد".

بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري، أقام المهدي (عج) الأدلّة القاطعة على و جوده، و نجح في تبديد الشكوك حول و لادته و وجوده و إمامته. فأمسك بزمام الأمور و قـــام بالمهام الكبرى و هو في مرحلة الغيبة الصغرى في خفاء عن عيون الحكّام. ١٥١

و لم ينقطع الإمام عن مهامه بل استمرّ بالقيام بمهامّ قيادية في ما يسمى بمرحلـــة الغيبـــة الكبرى، الى حين تتوافر له مقدّمات الظهور للإصلاح الشامل الذي و عد الله به الأمم.

بدأت غيبة المهدي (ع) الكبرى سنة (٣٢٩ هـــ) و لازالت هذه الغيبة مستمرة حتّى يومنا هذا. خلال مرحلة الغيبة الصغرى، مارس الإمام محمد بن الحسن المهـــدي (عليـــه السلام) نشاطاً مكثّفاً في الخفاء طبعاً و هو مستتر عن عامّة أتباعه لتثبيت موقعه كإمـــام مفترض الطاعة، و أنه هو الذي ينبغي على الأمة أن تنتظر خروجه حين قيام ثورته العالمية الشاملة. لم يقطع الإمام المهدي المنتظر (عج) خلال مرحلة الغيبة الصغرى علاقته بأتباعه من خلال نوّابه الأربعة، غير أن هذه المرحلة انتهت قبل أن تكتشف السلطة مكان تواجد الإمام و نشاطاته، و انقطعت الأمة عن الارتباط بوكلائه عند اعلانه انتهاء الغيبة الصغرى، لكنه بقي سائراً على الدرب التي رسمها الله له لينير طريقنا و يوّجهنا الى الطريق السليم و

الصراط المستقيم، و ظلّ يمارس مهامّه القيادية لمنفعة الأمة.

ترك الإمام المهدي المنتظر (عج) للأمة الإسلامية خلال مرحلة الغيبة الصغرى، تراثاً غنياً لا يمكن التغافل عنه او تجاهله. و هو لا يزال يمارس ما يمكنه من مهامه القياديـــة خـــلال مرحلة الغيبة الكبرى. و هو ينتظر ظروفاً معينة و ينتظر أمراً من الله عز و جلّ ليعلن عـــن ظهوره، فيخرج و يقوم بكل استعداداته و طاقاته التي أعدّها و هيّأها الله له ليملأ الأرض عدلاً بعد أن تُملأ ظلماً و جوراً. و هذه الظروف معروفة بما يسمى بعلامات الظهـــور و قد و ردت في العديد من الكتب و قد تطرق اليها الكثير من الباحثين و رجال الـــدين و أكدوا على و جود علامات و مظاهر لظهور الإمام المهدي (عج). و ذلك بعد أن تتـــهيّأ كل الظروف الموضوعية اللازمة من حيث العدد و العدّة، و سائر الظروف العالمية الـــتي ستمهّد لخروجه و ظهوره كقائد ربّاني عالمي، ليفجر ثورته الإسلامية الكبرى، و يحقـــق أهداف الدين الحق. ان المخلّص المنتظر ذُكر في معظم الديانات و هكذا يتأكد لنـــا دون ادنى شك اجماع المؤمنين و احيانا غير المؤمنين بظهور مخلّص منتظر. و لكن لا بد مـــن و جود مشككين في هذا الظهور. و قبل ان ننتقل الى بيان الديانات و الفرق الـــتي تـــؤمن بالإمام المهدي (عج)، نذكر هؤلاء المشككين.

بالطبع ليس الجميع مؤمن بوجود الإمام المهدي (عج) و بظهوره في آخر الزمان ليسود العدل و السلام. اذ يعمد الكثير من الباحثين الى النكار و لادته او انكار و جوب ظهوره او حق إمامته. و ينطلق المنكرون للإمام المهدي المنتظر (عج) من دوافـــع و مـــبررات لا تنسجم و منهج الإسلام بشكل عام في طرحه العقائد و دعوته إلى الإيمان بها. فالإســـلام يعتمد بشكل أساسي على المنطق و الفطرة، لكنه يقوم في جانب كبير منه على ضـــرورة الإيمان بالغيب. و هذا الأمر و ارد في عدة أماكن من القرآن الكريم، إذ هنـــاك عـــشرات الآيات التي تتحدث عن الغيب و الدعوة إلى الإيمان به.

والأحاديث النبوية الشريفة كذلك، كلها تؤكد الإيمان بالغيب و تشير الى أنه جـــزء لا يتجزأ من العقيدة، و أنّ الغيب سواء تعقّله الإنسان و أدرك جوانبه أو لم يـــستطع إدراك شيء منه و خفيت عليه أسراره، فإنه مأمور بالإيمان، كما هو الأمر في الإيمان بالملائكة و

بالجن و بعذاب القبر و بالبرزخ و غير ذلك من المغيّبات التي جاء بها القرآن الكريم أو نطق بها الرسول الأمين و نقلها إلينا الثقاة المؤتمنون.

لذلك، أحاول ان ادحض في بحثي هذا بعض ما انتهجه المشككون في إنكـــار إمامـــة المهدي (عج) و التشكيك بالأحاديث التي أوردت ذكره.

عندما اصطدم المشككون بعدم إمكانية ردّ تلك الروايات أو تضعيفها لكثرتها، و تعدد و صحة أسانيد عدد كبير منها كما أثبتها أئمة الحديث، لجأوا مرةً أخرى إلى إحاطة أمر المهدي (عج) بأساطير من اختراعهم، كأُكذوبة السرداب التي لا أصل لها عند المعتقـــدين به. كما لجأ آخرون إلى إنكار و لادته الميمونة بإغراء ذوي المطامع أو الطموح السياسي و الاجتماعي لتبنّي هذا الإنكار و الإفادة منه، إلى غير ذلك من التعلقات الواهنة التي تسقط لدى عرضها على الحقائق الوفيرة، فضلاً عن مقتضيات الأحاديث الصريحة الصحيحة.

لم يخرج منهج المشككين عن مثل تلك المنطلقات و التوهمات أو المغالطات المنكـــرة، و بل و تعارض مع الأصول المعتبرة الدينية و الروائية. إذ إنّ و جود الغموض في تحديد هوية الإمام المهدي (عج)، و الإصرار على بقاء الأمر سراً هو دليلٌ على و جود الإمام و الخوف عليه من الأعداء لا على عدم و جوده، كما توهّموا. فالأئمة (ع) لم يرغبوا في الكـــشف عن تفاصيل حياة الإمام المهدي (عج) و ولادته الميمونة، لمعرفتهم بتكالـــب الأعـــداء في طلبه، و جدّهم و تربّصهم به. و كيف لا يحرص الأئمة (ع) على حياته العزيزة، و قـــد فعل سلاطين الجور الأفاعيل، و ارتكبوا الحماقات بحق أهل البيت و ذرية الرسول الأكرم (ص)، و أذلوهم و أبعدوهم بعد ان طاردوهم و سجنوهم و أذاقوهم التشريد و القتل. ١٥٣

كما يقول المشككون: "لا نستبعد أن يطيل الله عمر إنـــسان ... و لكـــن لا يمكـــن الإعتقاد بحدوث هذا عن طريق القياس، و قد كان سيدنا الـــصادق يـــرفض القيـــاس في الفروع، فكيف في الأمور التاريخية و العقائدية ؟؟ ".

هنا يمكن الرد عليهم بطرق عدة، فقد فات هؤلاء أن القياس أمر و ارد، و دليل معتـــبر عند أهل المنطق و أهل النظر في مثل هذه الموارد التي قد لا يدركها الإنسان إلا عن طريق التشبيه و القياس. بل انه ايضاً أسلوب علمي، و منهج قرآني (ويضرب الله الأمثال للناس) سورة إبراهيم، الآية ٢٥. كما قال تعالى للمنكرين لبعض الأمور الإعتقادية كالمعـــاد في

الآية المباركة : (وضرب لنا مثلاً و نسي خلقه قال من يحي العظام و هي رميم * قل يحيها الذي أنشأها أول مرة) سورة يس، الآية ٧٨.

أما في الحديث عن طول عمر الإمام الحجة (عج)، فقد أنكر البعض ان يكون الإمـــام يتمتع بطول العمر الذي هو بحدود ألف و مائة و اثنان و سبعين سنة (حـــسب التقـــويم الهجري). و يسألون: هل بالإمكان ان يعيش الانسان قروناً؟

وأردّ على هؤلاء بما يلي:

لا بد في البداية من تحديد كلمة الإمكان، فهذه الكلمة يمكن ان تعني أحد ثلاثة حسب البعد الذي تكتسبه، و قد أكد على ذلك علماء مختصون و شرحوا الأمر بطريقة علميـــة مؤكدين على ما يلي:

أولاً: الإمكان العملي: يُقصد به أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لكـــم، أو لإنسان آخر فعلاً أن يحقّقه، كالسفر عبر المحيط، و الوصول إلى قاع البحر، و الصعود إلى القمر.

ثانياً: الإمكان العلمي: و يُقصد به أنّ هنالك أشياء قد لا يكون بالإمكان عمليـــاً لي أو لكم، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدينة المعاصرة، و لكن لا يوجد لدى العلم و لا تشير اي من اتّجاهاته المتحركة إلى ما يبرّر رفض هذه الأشياء و وقوعها و فقاً لظروف و وســـائل خاصة. إذ لا يرفض العلم امكانية صعود الإنسان إلى كوكب الزهـــرة. إذاً الوصـــول إلى كوكب الزهرة ممكن علمياً و إن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً. و على العكس من ذلك، فإن الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء غير ممكن علمياً، أي لا أمل في و قوع ذلـــك، لأن العلم يرفض إمكانية صنع درع و اقٍ من الاحتراق بحرارة الشمس.

ثالثاً: الإمكان المنطقي أو الفلسفي: و يعني أنه لا يوجد لدى العقل و فق ما يدركه من قوانين قبليّة – أي سابقة على التجربة – ما يبرّر رفض الشيء و الحكم باستحالته. فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي و بدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقـــي؛ لأنّ العقل يدرك – قبل أن يمارس أي تجربة – أنّ الثلاثة عدد فـــردي و لـــيس زوجـــاً و إنّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً و زوجاً في و قت و احـــد، و هـــذا تناقض، و التناقض مستحيل منطقياً.

هكذا نعرف أنّ الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي، و هذا أوسع دائـــرة من الإمكان العملي.

ولا شكّ في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقيـــاً. لأنّ ذلـــك لـــيس مستحيلاً من و جهة نظر عقلية تجريدية، و لا يوجد في افتراض ذلـــك أي تنـــاقض، لأنّ الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع، و لا نقاش في ذلك.

كما لا شكّ أيضاً و لا نقاش في أنّ هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عمليـــاً، لأنّ العلم بوسائله و أدواته الحاضرة فعلاً، و المتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصـــرة، لا يستطيع أن يُمدّد عمر الإنسان مئات السنين.

بينما اذا تناولنا الموضوع من الزاوية العلمية، فيمكن التأكيد على انه لا يوجد علميـــاً اليوم ما يبرّر رفض ذلك من الناحية النظرية. فبقدر ما تشير إليه اتّجاهات العلم المتحرّكة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان، سواء فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع و احتكاك مع مؤثّرات خارجية، أو نتاج قانون طبيعي للخليّة الحيّة نفسها يسير بها نحو الفناء.

نخلص بالتالي الى أنّ طول عمر الإنسان و بقاءه قروناً متعدّدة أمر ممكن منطقياً و ممكن علمياً، و لكنه لا يزال غير ممكن عملياً، مع أنّ اتّجاه العلم سائر في طريق تحقيـــق هـــذا الإمكان عبر طريق طويل، و هذا ما أكده الباحثون المختصون.

هنا أتناول عمر المهديّ (عج) و ما أحيط به من استفهام أو استغراب. فبعد أن ثبـــت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً و علمياً، و ثبت أنّ العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى إمكان عملي تدريجياً، لا يبقى للاستغراب مكانٌ إلاّ استبعاد أن يسبق المهديّ العلم نفسه، فيتحوّل الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه، قبل أن يصل العلم في تطوّره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل.

لكن كيف سبق الإسلام – الذي صمّم عمر هذا القائد المنتظر – حركة العلم في مجال هذا التحويل؟ الجواب: أوَ ليست الشريعة الإسلامية ككلّ سبقت حركة العلم و التطـــوّر الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة ؟

أوَ لم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان، ثمّ جـــاء العلم ليثبتها و يدعمها ؟

إذا كنا نؤمن بهذا كله، لماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة – سبحانه و تعالى – أن يسبق العلم في تصميم عمر المهديّ (عج) ؟

وكما أسري بالنبيّ (ص) ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فهذا الإسراء إذا أردنا أن نفهمه في إطار القوانين الطبيعيّة، إنما يعبّر عن الاستفادة من القـــوانين الطبيعيـــة بشكل لم يُتح العلم أن يحقّقه إلاّ بعد مئات السنين. فالخبرة الربانية نفسها الـــتي أتاحـــت للرسول (ص) التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، هي التي أتاحـــت لآخـــر خلفائه العمر المديد ، قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك.

فلماذا نستغرب إذا اتّسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة و الخارجـــة عن المألوف، كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإنّ غرابة هذه الظواهر و خروجها عن المـــألوف مهما كان شديداً، لا يفوق غرابة نفس الدور العظيم الذي سيتم إنجازه في اليوم الموعود. فإذا كنا نفهم و نستوعب ذلك الدور الفريد تاريخياً على الرغم من أنـــه لا يوجـــد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نفهم و لا نستوعب ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟

لماذا نقبل أن يكون عمر النبيّ نوح (ع)، كما نصّ القرآن الكريم قد لامس ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، و قدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد؛ و لا نقبل عمر المهديّ (عج) الذي تجاوز ألف عام، و سيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد؟

هذا السؤال أتركه لكل المشككين الذين لا يزالون ينكرون طول عمر المهدي (عج) و يتساءلون حول إمامته و ظهوره في آخر الزمان.

وبعد الرد على أولئك المشككين الصغار، سأتابع البحث لبيان و تأكيد وجود غيبـــة الإمام المهدي (عج) من خلال ما ورد في الأحاديث الشريفة و الروايات.

إن البحث في علائم ظهور المهدي (عج) حسب الشريعة الإسلامية طويل و لا يـــسعه هذا البحث المختصر، لذلك سأكتفي بذكر هذه الملاحظات – نقلاً عن الشيخ المفيـــد – تماماً كما أوردها نقلاً عن الأحاديث الشريفة.

يقول الشيخ (رحمه الله):"قد جاءت الأخبار بذكر علامات الزمان قيام المهدي (عليه السلام) و حوادث تكون أمام قيامه، و آيات و دلالات، منها: خروجُ السفياني، و قتل الحسني، و اختلاف بني العباس في الملك الدنياوي، و كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، و خسوف القمر في آخره على خلاف العادات، و خسف بالبيداء، و خسف بالمغرب، و خسف بالمشرق، و ركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، و طلوعها من المغرب، و قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، و ذبح رجل هاشمي بين الركن و المقام، و هَدمُ سور الكوفة، و إقبال رايات سود من قِبَلِ خراسان، و خروج اليماني، و ظُهور المغربي بمصرَ و تملُّكه للشامات، و نزول التُرك الجزيرة، و نزول الروم الرملة، و طلوع نجم بالمشرقِ يُضيءُ كما يُضيءُ القمر ثم يَنعطفُ حتى يكاد يلتقي طَرَفاه، و حُمرة تظهر في السماء و تنتشر في آفاقها، و نار تظهر بالمشرق طُولاً و تبقى في الجوّ ثلاثة أيام أو سبعة أيام، و خلعُ العرب أعنَّتها و تملُّكها البلاد و خُروجُها عن سلطان العجم، و قتالُ أهل مصر أميرهم، و خراب الشام، و اختلاف ثلاثة رايات فيه، و دخول رايات قيس و العرب إلى مصر و رايات كندة إلى خراسان، و ورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة، و إقبالُ رايات سُود من المشرق نحوها، و شقٌ في الفرات حتى يدخُل الماءُ أزقّة الكوفة، و خُروجُ ستين كذّاباً كلُّهم يدّعي النبوة، و خُروج اثني عشر من ١٥٧
آل أبي طالب كلُّهم يدّعي الإمامة لنفسه، و إحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء و خانقين، و عقد الجسر ممّايلي الكرخ بمدينة السلام، و ارتفاع ريح سوداء بها في أوّل النهار و زلزلة حتى ينخسف كثير منها، و خوف يشمل أهل العراق، و موت ذريع فيه، و نقص من الأنفس و الأموال و الثمرات، و جراد يظهر في أوانه و في غير أوانه حتى يأتي على الزرع و الغلاّت، و قلّة ريع لما يزرعه الناس، و اختلاف صنفين من العجم، و سفك دماء كثيرة في ما بينهم، و خروج العبيد عن طاعة ساداتهم و قتلهم مواليهم، و مسخٌ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة و خنازير، و غلبة العبيد على بلاد السادات، و نداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلُّ أهل لغة بلغتهم، و وجه و صدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس، و أموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها و يتزاورون". ثم يُختم ذلك بأربع و عشرين مطرة تتّصل فتحيا بها الأرض

من بعد موتها و تعرف بركاتها، و تزول بعد ذلك كلُّ عاهة عن معتقدي الحقِّ من شـــيعة المهدي (عليه السلام)، فيعرفون عند ذلك ظُهوره بمكة فيتوجَّهون نحوه لُنصرته".

وإني و بعد الرد على المشككين أنتقل لربط إيماننا بالعقيدة المهدوية و عقيدة الأديـــان الأخرى.

أولاً: المهدي (عج) و المسيحية

إن الديانة المسيحية هي آخر الديانات قبل الإسلام لذلك تعتبر هي الأقرب إلى الاسلام من غيرها من الأديان. لذلك، فإن الكتب الدينية المسيحية هي أكثر من يتحدث عن ظهور المخلّص بطريقة مشابهة للإسلام و إن اختلف المسيحيون حول تسمية هذا المخلّص. و قد و ردت احاديث في كتب كثيرة مثل أناجيل تلاميذ المسيح كلوقا و مرقس و متى و برنابا ... كلها أجمعت و ان اختلف الشكل على و جوب ظهور مخلص في آخر الزمان عنـــدما يكثر الظلم و يسود الظلام في العالم اجمع.

ففي الفصل السادس و التسعين من إنجيل برنابا المترجم من الانجليزية، يسأل الكـــاهن السيد المسيح (عليه السلام): هل أنت مسيح الله الذي ننتظره؟

أجاب يسوع: حقاً إن الله و عد هكذا و لكني لست هو لأنه خُلق قبلـــي و ســـيأتي بعدي.

ورداً على سؤال حول اذا كان المسيح هو المخلص الذي تنتظره البشرية في آخر الزمان، أجاب يسوع: "لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي إني لست (المسيح) الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما و عد الله أبانا إبراهيم، فحينئذٍ يرحم الله العالم و يرسل رسوله الـــذي خلق كل الأشياء لأجله، الذي سيأتي من الجنوب بقوة، و سيبيد الأصنام و عبدة الأصنام، و سينزع من الشيطان سلطته على البشر، و سيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به، و سيكون من يؤمن به مباركاً". هذه الكلمات و اردة في التعاليم المسيحية و تؤكد على أن السيد المسيح ليس هو المقصود بتخليص العالم، و هذا لا يترك مجالاً للشك بـــأن الإمـــام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) هو الإمام الحجة المنتظر.

كما و رد في المزمور ٧٢ من مزامير داوود (عليه السلام) ذكر النبي محمد (صلى الله عليه و آله)، و الامام المهدي المنتظر، و قد جاء في بداية المزمور: "اللهم أعطِ شريعتك للملك و عدلك لابن الملك...

ليحكم بين شعبك بالعدل و لعبادك المساكين بالحق ...

فلتحمل الجبال و الآكام السلام للشعب في ظل العدل ...

ليحكم المساكين الشعب بالحق و يخلص البائسين و يسحق الظالم!..."

هنا اختلف اليهود و النصارى في تعيين الشخصيتين المتوسل إلى الله تعالى بهما في بداية هذا المزمور بأن يرسلهما لإنقاذ المستضعفين من الناس و للعمل بشريعة الله و إقامة عدله في الارض. اما اليهود فاعتبروا أن المقصود بالملك هو نفسه نبي الله داوود (عليه السلام) و بابن الملك هو سليمان ابنه، لكن النصارى قالوا بأن المقصود بالملك هنا هو سيدنا عيسى (عليه السلام) و بأن جميع ما جاء في هذا المزمور جاء بشارة به (عليه السلام)، و لكنهم لم يستطيعوا تقديم أي تفسير بما يخص ابن الملك.

لكن مما يمكن ملاحظته عند قراءة بقية هذا المزمور، هو انه لا النصارى و لا اليهود صدقوا في تفسير هذه الكلمات. و هنا يأتي الإسلام بالأدلة الواضحة على أن المقصود بالشخصيتين هما نبي الله محمد (ص) و الإمام المنتظر المهدي (عج). و يمكن ان ندحض مقولة اليهود بالقول إن النبي داوود (عليه السلام) لم يكن صاحب شريعة لكي يقول "اللهم أعط شريعتك للملك" لأنه (عليه السلام) لم يأت بشريعة بل كان نفسه خاضعاً لشريعة موسى (عليه السلام). ١٥٩

أما ادعاء النصارى بأن هذه البشارة و ردت بحق سيدنا عيسى المسيح (عليه السلام) فإنه ادعاء باطل أيضاً من عدة وجوه سأكتفي بذكر برهانين اثنين و حسب.

١- عيسى بن مريم (عليه السلام) لم يكن صاحب ملك و لم يحكم و لا يوماً و احداً بل على العكس، فقد كان لليهود السلطة عليه عندما أخذوه و أهانوه و ضربوه و استهزؤوا به و قتلوه على حسب زعمهم.

٢- لم يكن للنبي عيسى ابن فهو لم يتزوج في حياته، لذلك فإن القول: "وأعط عدلك لابن الملك"، لم يكن يقصد سيدنا عيسى (ع). و انما البراهين على أن المقصود

بالشخصيتين العظيمتين هما خاتم النبيين محمد (ص) و الإمام المنتظر (عـــج)، و أقـــول إن جميع الأوصاف الواردة فيها تشير و بدون تكلف إلى رسول الله محمد (صلى الله عليـــه و آله) الذي تم التعبير عنه في هذا المزمور بالملك و الى حفيدة الإمام المهدي المنتظر (عـــج) المعبر عنه بابن الملك.

ففي الفقرة الأولى من هذه البشارة و التي جاءت على شكل دعـــاء: "اللـــهم أعـــط شريعتك للملك و عدلك لابن الملك، تشير إلى أنه سوف تظهر بعد زمن داوود (عليـــه السلام) شخصيتان عظيمتان: إحداهما سوف تحمل شريعة الله إلى الناس كافة، أما الثانية و هي ابن الملك فليس بنبيّ و لا بصاحب شريعة، إنما سيكلّفه الباري عز و جل بإقامة العدل في الأرض و ابن الملك سيكون بمثابة إمام يهدي الناس إلى الله و يحكم بينهم بالعدل على أساس شريعة ذلك النبي المرسل.

كما تشير الفقرة الأولى إلى أن المبشر به سيكون له سلطان على الناس حيث عبر عنـــه بالملك و سيكون صاحب شريعة و أحكام لجميع الناس حيث يلزم على جميع الشعوب و الأمم الانضواء تحت رايتها.

ومن المعلوم أن هذه الصفة لا تنطبق إلاّ على رسول الله محمد (صلى الله عليه و آلـــه) صاحب الشريعة المستقلة عن كل ما سبقها من الشرائع، و صاحب السلطة الإلهية علـــى جميع البشر حيث أرسله الله تعالى للناس كافة حيث قال: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّـــاسِ بَشِيراً و نَذِيراً و لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)). و جعله رحمة للعالمين، حيث قال سبحانه و تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)).

بينما أرسل بقية الأنبياء برسالة خاصة كل إلى قومه. و بالتالي فإن المقصود هنا هو النبي محمد (ص) الذي اصطفاه الله على العالمين و جعله خاتم النبيين.

مهما كثرت التقاويل و اختلفت التفسيرات، يبقى العامل المشترك بين الديانة المسيحية و الإسلام هو و جوب ظهور مخلّص في آخر الزمان، يرسله الله عز و جل لينقذ العالم من ظلم و جور استبدّا فيه، فتكون النهاية لكل الأشرار الذين عاثوا في الأرض فساداً و زادوا من الفحشاء و المنكر، و قتلوا أنبياء الله و كفروا. سيأتي يوم هؤلاء و سيأتي منقذ يبيدهم

عن بكرة أبيهم، ليظهر الحق و يزهق الباطل، لتعود البسمة الى شفاه الأطفال، و لتسود الحرية و السلام في كل العالم.

ثانياً: المهدي (عج) و اليهودية

كأي ديانة سماوية اخرى، لم تتجاهل الديانة اليهودية ذكر المخلّص في كتبها و في أسفار التوراة، و أسهبت في الحديث عن الإمام المنقذ الذي سيحوّل العالم المليء بالظلم و المأساة و الآلام الى عالم من الحب و السلام الأبدي. و إذا تأملنا في مجموع التراث اليهودي المقدس، نجد فيه تصويراً لملامح ثلاثة موعودين هم: السيد المسيح (عليه السلام)، الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه و آله)، و الإمام المهدي (عج).

وبما أن الشعب اليهودي لم يؤمن بالسيد المسيح (عليه السلام) و رسالته بل خُيّل لهم بانهم قتلوه و صلبوه فموعودهم لم يظهر حتى الآن. كما لم نر اليهود يتبعون أياً من المسيح (عليه السلام)، أو الرسول محمد (صلى الله عليه و آله).

تقول الروايات أن جماعة من اليهود تلتف حول رجل ظالم و مستبد يدعى (الدجال) و تسنده و تلتحق به، و مع ظهور المهدي و نزول السيد المسيح إلى الأرض يقتل هؤلاء قتلاً جماعياً لتطهير ساحة التاريخ و الإنسانية من هذه الجرثومة الملوثة او الافة الكبرى. و ليست الوقائع اليومية التي نشهدها في فلسطين المحتلة سوى دليل على مدى انحطاط هذا الشعب و خبثه. لكن في النهاية لا يصح الا الصحيح، و سيظهر الحق و يزهق الباطل و لو كره المشركون. سوف يظهر صاحب العصر و الزمان و يبيدهم عن بكرة أبيهم لأنهم لن يخضعوا للحق، و سوف ينضمون إلى زمرة أنصار الدجال.

وعلى الرغم من البشائر الواردة في اسفار اليهود و في كتبهم الدينية التي تشير الى ظهور الإمام المخلّص و الموعود الذي سينقذ البشرية من براثن الظلم و الاستبداد، إلا ان اليهود لا يؤمنون فعلاً بوجود المهدي (عج) بل يخافون خوفاً عظيماً من هذا اليوم العظيم، لأنهم لم يقبلوا منطق الحق لا من النبي عيسى (عليه السلام) و لا من الرسول محمد (صلى الله عليه و آله)، علماً أن البشارة بهذين النبيين العظيمين و ردت في كتب اليهود أنفسهم. و بالتالي فهم أكثر من سيكون قلقاً إزاء قضية الموعود و مفهوم الانتظار، و على هذا الأساس، نقول لكل اليهود الذين يعثون في الأرض فساداً ألا يمروا على كل البشائر و

الإشارات البيّ و ردت في نصوصهم و كتبهم مرور الكرام. بل أن يعكفوا بشكل أكـــبر على تأمل هذه المفاهيم، و يستعدوا ليوم الظهور، و ذلك بأن يرفعوا يدهم عن كل ألوان الظلم و الخيانة البيّ مارسوها و مازالوا يمارسونها بحق البشرية بشكل عام و بحق الإخسوة الفلسطينيين الأبرياء بشكل خاص. لذلك فإن اليهود هم أكثر من يجب ان يخشوا عواقب الظلم و العدوان، لأنهم لم يذعنوا لموعوديهم، لا المسيح بن مـــريم (عليـــه الـــسلام) و لا الرسول محمد الأكرم (صلى الله عليه و آله)، و لن يؤمنوا طبعاً بالإمام المهدي (عج).

ثالثاً: المهدي (عج) في المعتقدات غير السماوية و الأديان و الملل الأخرى

لكل أمة من الأمم أو شعب من الشعوب معتقداته الخاصة و ثقافته الموروثة و المخلّص الذي ينتظره. فكما ينتظر المسلمون المؤمنون ظهور الإمام المهـــدي (عـــج)، و ينتظـــر المسيحيون "المسيح المخلّص"، و اليهود ينتظرون "النبي الموعود"، كذلك الذين يعتقـــدون بالديانة البوذية و الصينية و الزردتشية و غيرها، يؤمنون بوجوب ظهور مخلّص في آخـــر الزمان، و تتحدث كتبهم عن ظهور المنقذ بعد ان يعمّ الظلم و الجور في العـــالم، لكـــن بالطبع تختلف التسميات لهذا المخلص الذي سينقذ العالم من الشرّ المدقع، و من المحـــن و الآلام. ففي الديانة البوذية، تتحدث الكتب عن ظهور "**بوذا الخامس**" الذي سينقذ العالم، و العيسوية تتحدّث عن "**فارقليط**"، و البراهمة ينتظرون "**كريـــشناي**". امـــا الـــصينيون فيؤمنون بظهور ما يسمّونه بالمبشّر او "**يترتنكر**". و من الشواهد على ذلك مـــا و رد في كتاب أوبانيشاد، في المقدمة صفحة ٥٤ ما نصّه: "... حينما يمتلىء العالم بالظلم يظهـــر الشخص الكامل الذي يسمى (يترتنكر ا المبشر) ليقضي على الفساد و يؤسس للعدل و الطهر..."

اما الديانة الهندية فيؤمن متتبعوها بظهور "**تاراي و يشنو العاشر**"، كما جاء في كتب بورانا (Burana) و ما جاء في كتاب ريك و دا، ماندالاي ص ٤ و ٢٤:

"يظهر و يشنو بين الناس.. يحمل بيده سيفاً كما الشهاب المذنب و يـــضع في اليـــد الأخرى خاتماً براقاً، حينما يظهر تكسف الشمس، و يخسف القمر و تهتز الأرض".

بينما طرحت الديانة الزرادشتية موعودين ثلاثة يطلق على كل منهم اسم "**سوشيانت**"، لكن اهمّهم هو الموعود الثالث الملقّب بـــ"**سوشـــيانت المنتـــصر**". و جـــاء في رســـالة

جاماسب، صفحة١٢١: ... "سينشر "شوشيانت، المنقذ" الدين في العالم فكراً و قـــولاً و سلوكاً ".

لقد عاشت أمتنا الإسلامية في ما مضى عصوراً من التخلف، سادت فيها حالات مـــن التعصب المذهبي، و نزاعات بين الطوائف و الفرق، و لم تجنِ الأمة من كل ذلك ســـوى التمزق و الضياع، و الانشغال عن بناء قوتها، و مواجهة التحديات الخارجية.

ويفترض الآن أن يتجاوز المسلمون هذه الحالة المزرية، مع تطور مستوى الوعي عنـــد الناس و ازدياد ساحات النقاش و حرية التعبير اضافة الى التقدم التقني و التكنولوجي الذي ألغى الحدود الجغرافية. و مع توافر و سائل التواصل و الانفتاح، لا بد مـــن ان يتوصـــل الجميع الى تقبل الآخر، و أن يتم النقاش بالعقل و الحكمة. و ليكن البحث عن الحقيقة هو الهدف المنشود، عبر الدراسة الموضوعية لموارد الخلاف، و الحوار البنّاء بعيداً عن التهريج و التشنج أو التقليل من احترام الفرق الأخرى. فالقرآن الكريم ينهى المسلمين أن يتجادلوا مع اليهود و النصارى بأسلوب غير مؤدب، و يقول تعالى: ﴿لا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. علينا ان نمتثل لدعوة نبي الله الى الهدوء و عدم التـــشنج و عـــدم افتعـــال الحروب. و كما يقول سيدنا عيسى عليه السلام "أحبوا بعضكم بعضاً"، فالمحبـــة هـــي العنوان الأبرز و هي الحل الأنجع لكل مشاكل البشرية.

وهنا أقول للمشركين بالله عز و جل و للكافرين ان و عد الله حق، و قد و عد الله بأن يرسل على العالمين إماماً هو الشاهد بالحق و خليفة الله على خلقه، يلجـــأ الى القسوة و السيف ليقيم الدولة العالمية العادلة و يقود البشرية في ثورة عالمية كبرى يعمّ بعدها الأمن و السلام كل الأرض.

التلازم الذاتي بين المهدوية و كمال معاني الإنسانية

محسن وهيب عبد

١. العقيدة:

العقيدة: هي مسلمات الفرد بقواعد فكرية و أحكام و آداب، تضبط و تحكم سلوكه و ما يصدر عنه، طبقا لنظريات تفسر الكون و الرسالة و المصير، انطوى عليها عقلـــه، و انعقدت عليها نفسه، باعتبارها ما يستجيب لحاجاته و يجيـــب علـــى تســـاؤلاته. دون الإلتفات إلى مصدرها، و مهما كانت في و اقعها صحيحة أو سقيمة.

ولذا فمن الصعب على المرء أن يغير عقيدته ما لم تهتز مسلماتها التي يستبطنها في ذاته.

العقيدة المهدوية، كعقيدة سماوية؛ تعتمد المسلمات الغيبية، فالدين يشترط الأيمان بالغيب و سيلة لازمة لبلوغ الهداية، و هذا و اضح من قوله تعالى:

(**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب** خ)[٢٨٠] ١٦٥

وهذا الشرط مرده إلى لطف الله السابق، لعلمهﷻ باستحالة إحاطة الإنـــسان بـــالعلم الكامل الذي يؤهله للخيار الصحيح لفعله.

نقصد بالصحيح؛ توافق فعله مع النسق الكوني المترجم لإرادة الله في خطابه التكـــويني لمخلوقاته: (**قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى**)[٢٨١].

فاشتراط الإيمان بالغيب يأتي من اعتباره سبيلا و حيدا لتفعيل للهداية التكوينية:(و **إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم الـــست بـــربكم قالوا بلى..**)[٢٨٢].

---

[٢٨٠]) البقرة – ٢– ٣

[٢٨١]) طه – ٥٠.

[٢٨٢]) الأعراف – ١٧٢..

فتفعيل الهداية التكوينية في النفس، يذكي الفطرة و ينقيها، مما يمكن النفس مـــن إدراك المطابقة بين سننها التكوينية مع السنن الكونية[٢٨٣] في سعيها الفطـــري للحـــصول علـــى المعرفة[٢٨٤].

و لذا فان الأيمان في ضوء العلم، يصدق، و ينفع، و يبلغ غايته، حيث تتكامل الـــنفس في مدا رج الرقي من خلال تعاضد العلم و الأيمان.

فهناك جانب سلبي في اعتماد المسلمات دون علم، يبقي النفس حبيسة الأوهام في كثير من الأحيان. إلا أن هناك ضمان أكيد في القراءة الصحيحة للوحي المكتوب- القران الذي حفظ لنا بلطف الله- فهو معيار لصحة المسلمات التي نعتقد بها.

فالمسلمات بذاتها غير معززة بسند عقلي يمنحها القرار في الـــنفس، و الـــنفس بعـــد المسلمات الموروثة لا تقر و لا تنطوي و لا تطمئن إلا إذا تطابقت سنتها التكوينيـــة مـــع السنة الكونية في أي مشكلة تتعرض لها.

ومسلمات المهدوية تختلف عن مسلمات العقائد الأخرى، لأنها تأخذ معقوليتـــها مـــن أبواب معروفة و معرّفة، و أخرى خاصة يحظى بها الخاصة، و مع هذا فهي تعزز معقوليتها عند العامة.. من هذه الأبواب:

١- المرتكزات العقلية المحضة:

٢- بديهيات السنن الكونية، و هي بذاتها مسلمات يقرها العقل لتطابقها مع مرتكزاته، كصغريات لكبرياته، لتحصيل المعرفة الموثوقة.

٣- النصوص المشعرة بما يجب أن تكون عليه الحال، لضرورة توافق النصوص و السنن الكونية.

٤- توافق النصوص و البديهيات و العقل في مسلمات العقيدة المهدوية.

---

[٢٨٣]) السنة الكونية: أمر نافذ و متحكم ينتظم المادة و الكون..
والسنة التكوينية في الأحياء: هي السنة الكونية في المادة رفع عنها القصور الذاتي، فهـــي الغريـــزة فـــي الأحياء، و العقل في خلق الإنسان، حيث يرتفع القصوران الذاتي و الحيوي.
ولذا فان السنة الكونية للمادة، و السنة التكوينية للحياة و في خلق الإنسان، تكونان نظام العقل فيه.
. فالعقل: هو عبارة عن السنن التكوينية في خلقة البشر.

[٢٨٤]) و قد أشار القران الكريم لهذا المعنى في سورة الحجرات حيث يقول تعالى: **(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الإيمان في قلوبكم)**

فالعقل يدرك من الطبيعة و من الحياة و من ذاته: أن الله سبحانه و تعالى لا يخلق خلقا دون إمام، فمن بديهيات السنن، التي يدركها العقل؛ و جوب و جود الإمام بما لا يخلـــو منه الزمان و المكان.، و سنوضح هذا المعنى في لاحق البحث.

والنص المعصوم من الكتاب و السنة؛ يؤكد إدراك العقل هذا؛ فالآيات التالية تشير إلى هذا المعنى:

١- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ و لا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ و نَذِيرٌ﴾[٢٨٥].

٢- ﴿ و إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٢٨٦].

٣- ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا...﴾[٢٨٧].

٤-﴿ و اذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ و قَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ و مِـــنْ خَلْفِهِ﴾[٢٨٨].

٥- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ و لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢٨٩].

٦-﴿ و مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ﴾[٢٩٠].

٧- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾[٢٩١].

٨- ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٢٩٢].

وأحاديث الرسول في الإمامة أكثر من أن يحاط بها في هذا البحث الموجز؛ (من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[٢٩٣] أو من مات و ليس في عنقه بيعة لإمام مـــات ميتة جاهلية)[٢٩٤].

---

[٢٨٥]) المائدة: ١٩

[٢٨٦]) فاطر: ٢٤

[٢٨٧]) الملك: ٨ - ٩

[٢٨٨]) الأحقاف: ٢١

[٢٨٩]) الرعد: ٧.

[٢٩٠]) الشعراء: ٢٠٨.

[٢٩١]) النحل: ٣٦.

[٢٩٢]) الإسراء: ١٥.

[٢٩٣]) الإمامة للشهيد مطهري: ص/٥٥، نقلا عن دلائل الصدق:٦-١٣

و **توصيات المعصوم المشعرة** بما يجب أن تكون عليه الحال المطابقة مع النسق الكـــوني، بالكيفية اللازمة لنفاذ تلك التوصيات؛ مثل حديث الثقلين و حديث السفينة المتواترين.

وما يجب أن تكون عليه الحال؛ نجده تماما في ما تصفه و تتطلبه المهدوية كعقيدة حية في واقع الناس.

ومن خلال إدراك المرء لتداخل النصوص و البديهيات و المسلمات باتـــساق، و مـــن تعاضدها مع النسق الكوني، يحصل له علم، و تنطوي نفسه على معرفة تتطابق مع مسلماته بالعقيدة المهدوية، فيتعزز إيمانه، و هو من سبل بلوغ الكمال في الميزات الإنسانية للإنسان، التي لا تدرك إلا من خلال المهدوية.

إلا إن هذا قد يحصل بلطف من الله لعبده، كما حصل للشيخ الأخضر جبـــاري مـــن الجزائر، الذي تعلّم بطريقة أبلغته اليقين بالمهدوية[٢٩٥].

العقيدة المهدوية:

المهدوية – كما اصطلح عليها المحدثون– هي جزء العقيدة الإسلامية الخاص بالإمامـــة كسنة كونية لا تنقطع؛ متجسدة و اقعا بوجود إمام العصر (المهدي المنتظر(ع))، الـــذي

---

[٢٩٤]) نفس المصدر السابق و نفس الصفحة،نقلا عن مسند احمد، و صحيح مسلم:ج٣/١٤٧٨

[٢٩٥]) الأخضر جباري؛ رجل ذو ثقافة متواضعة جدا، و لكنه يحفظ القران تماما، و هو إمام مسجد المختار في قرية ثيار في مدينة سيدي بلعباس في غرب الجزائر، شاء الله أن يحضر يوما نقاشا دار بين رجل سلفي و هابي و بين أزهري شافعي، و كان الأول ينفي أصلا فكرة المهدي و يعتبرها من الموضـــوعات، و الثـــاني يؤكدها و يعتبرها من مسلمات الإسلام التي لاشك فيها؛ و احتدم النقاش دون الوصول إلى نتيجة.

يقول الشيخ الأخضر(وقد إهتزت مسلماته): خرجت من الجلسة و أنا في حيرة من أمري ؛ فلا أنا من أهل العلم و التحقيق و أستطيع أن أتابع الموضوع لأصل بنفسي إلى الحقيقة.. و لا أنا أثق بأحـــد كعـــالم ربـــاني متبحر يقنعني فاتبعه.. فلجأت صادقا إلى ربي و أسبغت الوضوء، و صليت ركعتين قربة لله تعالى، و توجهت بالدعاء؛ قائلا رب أنت اعلم بحالي، فكيف السبيل إلى معرفة حقيقة هذا المهدي؟

ولم يطل الوقت و لم أزل في مكاني في المسجد، و كأني في سنة نوم، و إذا برجل ذو هيبة يسألني أتحفظ القران؟

قلت بلى. قال:اقرأ.

فبدأت: الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه. قال قف. فتوقفت. قال: هل هذا الكتاب فيه ريب؟

قلت: لا.. قال كذلك المهدي لا ريب فيه.

يقول: و كأني لم أكن نائما، و لكني لم أجد الرجل، و قد استقر في نفسي علم، لو قال العالم كله: لا مهدي فسأقول: إن المهدي لا ريب فيه.

هو من عترة النبي(ص) و امتداده؛ اسمه كاسمه و كنيته ككنيته، يخرج في أخر الزمان ليملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

إن هذه العقيدة في جوهرها و مضمونها و مرتكزها، و فيما تقرر و تؤكد، لا تخـــص المسلمين و حدهم، فهي عقيدة كل الأديان السماوية، بل هي عقيـــدة بعـــض العقائـــد الخارجة على الدين بشكل أو بآخر.

فهناك من ينتظر المسيح المنقذ، و منهم من ينتظر المخلص، و منهم من ينتظر المـــصلح الأكبر، و آخرون ينتظرون الأخ الأكبر المقنع!.. الهابط مـــن الفـــضاء أو المستنـــسخ في الأرحام!! مع ما في التفاصيل من توافق و تخالف.. في من هـــو؟ و أيـــن ؟ و مـــتى؟ و كيف؟ خ.

فالمهدوية؛ هي العقيدة الأساس أو الملحقة المكملة لكثير من العقائد. و هي و ان كانت مسلمات لا يدعمها العلم بحقائقه و الوعي بعمقه في ذوات الغالب من الناس، إلا انه يمكن محاكمة تلك المسلمات لنرى مقدار علميتها، و جوهريتها في معاني الاعتقاد و العقيدة، و الجمال و الكمال.

معاني الكمال الإنساني:

الإنسان كائن يتميز على غيره من المخلوقات، **بقدرته على الإبداع في خيار فعله و ما يصدر عنه**، بما تعني هذه الميزة من امتلاكه سطوة الإرادة، و قوة العقل، و القدرة علـــى التعلم، و اكتساب العلم، مع صورة تناسب تلك الملكات، في حين تتحرك ارقي الحيوانات بالغريزة فقط.

وبالمقارنة بين أفعال الكون و الكينونة، و بين ما يصدر عن الإنسان، نجد أن؛ **أفعـــال الكون و الطبيعة و الأحياء كلها تصدر و فق نسق كوني و احد، تنطلق بعلة و احـــدة هي الرحمة، و تجري لغاية و احدة؛ هي الكمال.**

وهذا النسق يتجسد في و جوب كون الموجود جزء من ستة أنماط، و تحكمه ثمـــان سنن.

و غاية الأنماط و السنن؛ هي بلوغ الكمال الذي ندركه من خلال مقدار رفع القصور المتدرج في ذوات الموجودات.. و على الواقع و كما هو مدرك؛ فالموجودات تتطـــور إلى الكمال حتى تبلغ غايتها في خاتم الرسل و كمال الرسالات، أي بـــسيدنا محمـــد(ص) و امتداداته في عترته(ص)، و بالإسلام و تمامه في دولته العالمية التي لابد أن تقوم للانـــسان الكامل المهدي(عج)، و لو بقي يوم و احد من الدنيا.

إذن فالكمال في خيار الإنسان لفعله؛ يأتي من تطابقه مع النسق الكوني، فنقول أحسن الخيار، أو أحسن الفعل، و النتاج حسنة و الفاعل محسن.. و عند عدم تطابقـــه يحـــصل التقهقر، فالقصور و القبح و النتاج سيئة و الفاعل مذنب.

فالمعاكس للنسق الكوني؛ يبدو نشازاً في هيئة كونية كلية متسقة و موجهة، في كل جزء من أجزائها ، و النشاز في تلك الأجزاء، هو من يعاكس سنن كينونتها.

يدرك الإنسان النسق و يتوافق معه في حالين:

أن يحيط تماما بماهية النسق الكوني، فيمتلك علما تنطوي عليه نفـــسه، و يـــدرك بـــه خيارات الفعل ما تستجيب لحاجاته، و تجيب على تساؤلاته، و فق ماهية النسق الكوني، عند هذا الحال فان خياره لفعله يقع بالضرورة منطبقا على النسق، فيتوجه مع الكائنـــات نحو الكمال، فيأتي فعله متناغما مع أنماط الخلق و سننه فهو محسن.. و حصول هذا جـــد نادر إلا من حباه الله تعالى من لدنه علما و أخلصه إليه بخاص رحمته.

وقد ضرب الله لنا مثلا لهذا الصنف النادر في عبده الخضر عليه السلام.

أن يحظى الإنسان من لطف الله الدائم بعقيدة، كاملة شاملة تـــستجيب بأوامرهـــا و نواهيها لحاجات الإنسان، و تجيب برؤيتها الكونية على تساؤلاته، و فقا لإرادة الله تعالى التي يترجمها و حيه، و التي أيضا تحكيها قوانين الطبيعة و الحياة و يجسدها العقل بـــسلوك الأئمة المختارين، المطلوب طاعتهم.

فإذا آمن الفرد و صدق و التزم بخيارات تلك العقيدة الصحيحة، بما تحرم و تحلل و توجه، فإنه بالضرورة أيضا سوف يتطابق في فعله مع النسق و يكون محسنا.

ومن معاني لطف الله الدائم، سلامة الفطرة المفضية إلى صحة العقيدة، فكلما كانـــت الفطرة صافية شفافة، صارت مرآة للنسق، ينعكس عنها و تتوافق معه لتبلغ الإحسان.

قال تعالى:

(فأقم و جهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلـــق الله ذلـــك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون)[٢٩٦].

وهذا من لباب القران الذي يعلمنا بان الدين هو خيارات الفعل المتوافقة مـــع النـــسق الكوني.

فما هو النسق الكوني؟:

الكون؛ هو بذاته فعل؛ (كان يكون كونا).

والفعل؛ هو ظاهر لباطن قوة. فلا فعل بلا قوة تنجزه على الإطلاق (و هـــي حقيقـــة علمية تعتبر من مبادئ الفيزياء).

فالكون دالة قوة موجدة، و هي و احدة موحدة رحيمة نافذة حق صـــادقة عادلـــة، حسنة دافعة للحسن، لا متناهية لا يخرج شئ عن طاعتها خلقا فنتاج تلـــك القـــوة – الكون– يحصل بنسق و احد

فالنمطية التي تميز الموجودات، قبضا و بسطا، و التي تبدو في كل مفردة من مفـــردات الفعل، و كل جزء من أجزائه، و الحركة الصاعدة في البسط، و العجز الذاتي في الأجزاء، و الترابط و التكامل بين جميع الأجزاء الوجودية ، في سعيها لإنجـــاز الفعـــل، و كـــون موجدات النمط السابق لبنات لبناء موجودات النمط اللاحـــق، و الارتفـــاع التـــدريجي للقصور...؛كل هذه الحقائق العلمية، إنما هي؛ دليل **على أن الكون كله فعل و احد بدأ بإرادة و احدة لعلة و احدة و ينشد غاية و احدة.**

١٧١

وهذه الطبيعة أمامنا كتاب مفتوح؛ أفعالها كلها معلولة(قوانين الفيزياء الكلاسيكية كلها علية)، فلا حدث منجز بدون قوة، فالكون فعل، و إحداثه كلها ظواهر للقوة، فهي أفعال تنجز بالقوة..القوة التي خلفها إرادة و حكمة و علم و وضوح..

فبمشيئة الله جل و علا و بأمره، بدأ تمايز الوجود بنمط؛ بدأ من القبض في التجـــرد (التقدير في علم الله)، فأمره محض حسن سار، و نور دائم.

---

[٢٩٦]) الروم – ٣٠.

فمن العلم في تقدير الله تعالى(القبض في التجرد) إلى البسط في الطاقة؛ و هي و جـــود غير معرّف، و هي حدث بعد تمام القبض، تمايزت بالأمر الإلهي (كن)؛ فكانت من لا شئ إذ أن مجموع طاقة الكون تساوي صفرا.

ثم يبدأ **النمط الثاني** بقبض الطاقة لتكون المادة الميتة (Black-hole)؛ داخلها الأمر كن في طور القبض، فهي معرّفة و متمايزة بغموض؛ لأنها في طور القبض، ثم تنبسط المادة الميتة بالانفجار الكبير.

وفي **النمط الثالث** تقبض نتائج الانفجار الكبير في النظام السماوي و المادي؛ و الذي يبسط في تكوين الأجرام السماوية و المادة التي تكوننا في جانبنا المادي تجسيداً لبسطها.

وفي **النمط الرابع**؛ تقبض المادة في أربع مركبات تكون لغة الحياة(DNA)، لتبسط في عدد متنوع و متعدد من الأحياء.

وفي **النمط الخامس** تقبض الحياة للأمر كن في نظام العقل، ليبسط في بني آدم من الناس العقلاء.

ويقبض العقل في الوحي لمعنى النبوة، ليبسط بواسطة الأنبياء، و الرسل.

فالموجودات ست أصناف لستة أنماط: طاقة، و مادة ميتة، و مادة، و أحياء، و أناس، و أنبياء.

هكذا الموجودات، كلها أنماط متمايزة، و لولا تلك الأنماط لا يمكن معرفة شيء علـــى الإطلاق. فكل موجود عاجز ذاتيا؛ هو قبض للموجود الذي يليه في سلم رفع القصور. و كل موجود اقرب للكمال هو في حال بسط للقبض الذي سبقه.

فالحدوث: هو بسط للوجود من القبض..والقبض هو طور يبدأ بـــه نمـــط خلـــق أي موجود.

فكل شيء مقدر له أن يكون؛ فقد مضى به الأمر كن؛ فان له و جود سابق مقبوض في علم الله، و يسير إليه جل و علا، فهناك نسق يشمل كل موجودات الكون؛ و هو سعيها إلى الكمال.

فمن الوجود المقبوض في التجرد، إلى البسط في الطاقة ثم قبض الطاقة لتكون المادة الميتة؛ فنقول عنها أنها تعاني من عجز تام، و الحقيقة إنما معرفة الأمر كن.

و مثلها عن المادة نقول؛ أنها تعاني من قصور ذاتي، و الحقيقة؛ هي أنها معرّفة بالكينونة بأمر الله تعالى، بحدود حظها من جوهر الأمر كن، بعد أن لم تكن، و نـــدركها بتوافـــق سرعة بسطها مع سرعة بسط و جودنا، لأنها جزء من تكويننا.

فكل شيء بعد الأمر بكونه يخرج من القبض في نمطه لطور البسط.

فالمادة الآن في طور البسط، فهي في سريان و تدرج، ليكون التعريف بالمادة بين المـــادة الجامدة و الحياة، تعريفا أكثر للحياة.

وفي الحياة؛ حيث يرتفع العجز الذاتي في المادة، التي سبقت الحياة، لتكتسب المادة الحية القدرة على الحركة الذاتية و التوالد و الموت.

وهكذا يكون للعقل أمام الموجودات التي سبقته؛ أن يميز ذاته أكثر بتعريف ذاته علـــى الموجودات، بارتفاع القصورين الذاتي و الحيوي.

ثم يسري الأمر(كن) متكاملا ليرتفع القصور العقلي من الإنسان في شـــخص الـــنبي؛ فالعقل بالوحي في الأنبياء يتجرد أكثر، و ترتفع عنه جميع القصورات، فيكون النبي مميـــزا بالقدرة على التجرد و الاقتراب من تمام الأمر كن(أي للكمال).

هكذا الكون إذن، كله أفعال نمطية؛ ساعية إليه ﷺ.حيث الكمال المطلق.

١- **فالنمط الأول** للخلق يبدأ من القبض في التجرد(التقدير في علم الله) إلى البسط في الطاقة.

٢- ثم يبدأ **النمط الثاني** من القبض في الطاقة لتكون (Black-hole)؛) المادة الميتة، إلى بسط للمادة الميتة في الانفجار الكبير.

٣- ثم يأتي **النمط الثالث** في القبض للانفجار الكبير في الأفلاك الكونية (السماوية و الذرية و ما فيها)، إلى بسط للنظام في التكوين الذري للمادة يبرز في عناصرها أل(أكثر من مائة)، و في الأجرام السماوية.

٤- و **النمط الرابع**؛ قبض في المادة(أربع مركبات مختارة من المادة)، لتكون لغة الحياة تتمثل في (DNA)، إلى بسط للحياة في الأحياء و تنوعها و تعددها متطورة و فق ذات النمط.

٥- و **النمط الخامس**؛ قبض للحياة بنظام الروح التي نفخها الله تعالى لمعنى الخلافة الجعل يتمثل بالعقل، ثم بسط للعقل في الناس على تنوعهم.

٦- و النمط السادس؛ قبض للعقل يتمثل بالنبوة ، و بسط للنبوة في الأنبياء بواسطة الوحي.

إذن؛ فغاية الكمال في النبوة، و غاية النبوة في المحمدية، و غاية المحمدية في المهدي(عج)، و غاية الختم في الإسلام، و غاية الإسلام في الدولة المهدوية

إدراكنا و تطور الأنماط الخلقية:

القبض في التجرد (التقدير في علم الله)؛ بالنسبة لإدراكنا؛ هو تمام العتمة و تمام العجز و تمام القصور، لأنه تمام القبض.قال تعالى :**(و لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء..)**[٢٩٧]

١٧٤

ثم بسط لأمر الله تعالى من تقديره؛ يبرز في الطاقة[٢٩٨]، فهي صورة غير معرفة قبل المادة.

ثم قبض للطاقة في المادة الميتة، ثم بسط للمادة الميتة بتحطيمها ليكون الحيز المتغير الذي ندركه في الزمكان(النظام السماوي و النظام المادي).

و ندرك الحياة؛ بما تعاني فينا من قصور حيوي ذاتي في قبض معنى الحياة، و التي هي بسط في و جود الأحياء (كمصاديق للحياة). و ندركه الآن من قدرتنا على تغيير مميزات الأحياء عن طريق علم الجينوم و البروتيوم.

---

[٢٩٧]) البقرة- ٢٥٥.

[٢٩٨]) كحقيقة علمية؛ فان مجموع الطاقة في الكون يساوي صفر، بمعنى أن الله خلق الموجودات لا من شئ.

و ندرك العقل، بما يعاني فينا من قصور ذاتي عقلي في قبض نظام العقل، و الذي هـــو بسط في و جود الناس كمصاديق للعقلاء)، من خلال المفارقة بـــين نظـــام عقولنـــا، و انعكاساته من خلال النماذج المختلفة التي نواجهها ميدانيا لبسطه في المصاديق المتعددة لبني البشر.

وهكذا النبوة قبض في الوحي، و بسط في و جود الأنبياء كمصاديق لارتفـــاع كـــل القصورات باتجاه الكمال الإنساني.فلا يمكننا أن ندرك معنى نبوة النبي، و لذا قال الـــنبي لعلي(ع): (يا علي لا يعرفني إلا الله و أنت ...)

وبمقدار الوضوح في العقل و ارتفاع القصور يتم تحديد مراحل ارتفـــاع القـــصورات حسب أصناف الخلق، فنقول:

- قصور ذاتي مادي: معناه أن المادة عاجزة عن التأثير في ذاتها، باتجاه كمال النسق، ما لم تؤثر عليها قوة خارجية تخرج المادة من قصورها.
- قصور حيوي ذاتي:معناه أن الكائن الحي قاصر أو عاجز عن التأثير في حياتـــه باتجـــاه كمال النسق، ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تخرجه من قصوره.
- قصور عقلي ذاتي؛ معناه أن العاقل، قاصر أو عاجز عن التأثير في عقله باتجاه كمـــال النسق، ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تخرجه من قصوره.
- إن الوحي؛ هو القوة الخارجية التي تخرج العقل من قصوره في شخص الـــنبي، باتجـــاه كمال النسق الكوني، نحو التجرد و اقترابا للكمال، لأن الوحي أمر الله برفع القـــصور عن عقل الإنسان المختار(النبي)، الذي أرسل ليكون أسوة حسنة..يقـــول الله ﷻ في معنى الوحي:

"وأوحينا إليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان و لكن جعلنـــاه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا.."[1]

فالوحي؛ روح من أمر الله، و أمر الله محض خير، و قد جعله الله ﷻ و ضوحا(نـــورا) يرتفع به العجز و القصور، و تمحى به العتمة، و حيث ما يحل يسري.

---

١) الشورى -٥٢

فالنسق الكوني للفعل الحسن يتردد بالنمط بين طورين؛ هم طـــور القـــبض و طـــور البسط.. أي يتردد بين الوحي المكتوب و الإنسان المعصوم، كنمط و احد لا يكتمـــل إلا بهما معا زمانا و مكانا.

ومن هنا يتضح أن الإسلام عقيدة النسق الكوني و ان التلازم بين الكتاب و العترة تلازم ذاتي. و خيار الفعل الإنساني لا يبلغ الحسن إلا إذا تردد في خياره بـــين هـــذين الطورين ذي النمط الواحد؛ هو النمط الارقى للكمال.

ولذا جاء الحديث الشريف؛ في تقويم الفعل الإنساني، و ضمان عدم الضلال بالتمسك بالثقلين باعتبار أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه (ص) الحوض، فهما طوران لنمط و احـــد للنسق .

و لا يتحقق هذا الواقع للنسق في نمطه إلا من خلال صدق التمسك بالعقيدة المهدوية: فالقران حاضر – قبض الوحي – و إمام العصر– بسط الوحي– موجود. و المتمسك بهما يجسد خيار الفعل و فق نمط و احد ساع للكمال، و إلا فأين يكون فعـــل لإنســـان في خارج هذا المعنى مطابق للنسق الكوني؟؟؟

ان حديث الثقلين؛ من الأحاديث المشعرة بصدق المسلمات المهدوية؛ لتطابق مضامينها مع النسق الكوني، و ان الاعتقاد بها سبيل و حيد لرقي الميزات الإنسانية باتجاه الكمال.

فالنمط لفعل الله في خلق الإنسان كخليفة في الأرض؛ يتم بين قبض الوحي و بـــسط المعصوم المجسد له. و ليس هناك من يخبرنا بوجود معصوم على و جه الأرض غير العقيدة المهدوية.

إن التمسك الصادق و الصحيح بالعقيدة المهدوية، يعبر عن تلازم ذاتي بين خيـــار الإنسان لفعله و بين معاني الكمال.

فالذي نتحدث عنه من قصور ذاتي في المادة، أو قصور ذاتي حيـــوي في الأحيـــاء، أو قصور ذاتي عقلي في الإنسان؛ إنما نتحدث عما يتضمنه العكس في معنى القصورات تلك.

فبمقدار العجز أو القصور؛ يدرك العقل ذلك الموجود، و يحتسب مقدار كماله فطريا، و لذا فالأولى أن نتحدث عن التعريف، أو مقدار الوضوح في الموجود الذي يتمثـــل بمـــا ينطوي في كينونته من **توالي الأمر كن** في ذات الموجود.

فمثلا عندما نقول: أن المادة قاصرة ذاتيا، إنما ذلك القول هو تعريف و إدراك من العقل بما فيه من كمال إزاء الجمود الذي في المادة، فتعريف المادة يتضمن تعريف العقل لذاتـــه، من خلال مقارنته بغيره.

وعندما يصيّر الأمر كن من المادة حياة؛ يرتفع القصور الذاتي للمادة، فتبـــدو الأحيـــاء متمايزة بالقدرة على التلقائية الحركية و التوالد و الموت..

يرى العقل إن المادة الحية؛ تجاوزت القصور الذاتي، و تعالت عليه، فهي اقرب إليه، أي اقرب للكمال.

وهو (أي العقل)؛ يدرك ذاته و يرى انه أكمل من الأحياء، مثلما يدرك أن مقام النبوة؛ و مقام العصمة، و هو مقام أعلى في التعريف أو ارتفاع القصورات، فهو أعلى مرتبة منه لأنه اقرب للكمال. و طاعة خيار فعل الإنسان لخيار فعل المعصوم الموجود فعلا يرتقـــي بفعل ذلك الإنسان للكمال.

فالأفعال الكونية، ظواهر لقوة محركة نحو الأحسن و الأكمل، باعتبارها آثـــار لطـــور البسط في نمط الأمر كن، و لذا فلا استقرار و اقعي للموجودات، لأنها فعل في طور البسط و حال سريان إلى الكمال؛ ((فالحسن هدف لذاته في هذا الكون)).وهذا هـــو النـــسق الكوني للفعل.

جوهرية الحسن في الكينونة:

كان الحديث عن جزء من النسق الكوني، و الجزء الأخر هـــو جوهريـــة الحـــسن في الكينونة، و ندركه بديهيا في ثمان سنن نافذة في الموجودات لا يفلت منها موجـــود و لا يتحقق للموجود و جود إلا بنفاذها؛ و هي:

أ- بديهية الطاعة:

الطاعة؛ **هي استجابة الموجود لنظام و جوده**.. فهي الوجه الظاهر للموجودات، بمـــا فيها الإنسان.

ولذا فلا وجود بلا طاعة، فإنما الوجود؛ هو ظاهر لمعنى الطاعة الباطن. و هذه السنة تحكم و تنفذ، تجسيداً مُربوبية الموجودات للرب الخالق الواحد جل شأنه، تقابلها في النفس الإنسانية سنة تكوينية تسعى بالإنسان للطاعة. و تجدها في نفس كل واحد منا.

ويحسن الموجود أو الكائن بتمام طاعته لنظام و جوده، و ينعدم الموجود أو ينحرف عند انفلات نظام و جوده أو تخريبه.

وعندما تكون الطاعة؛ هي استجابة المخلوق لنظام خلقه، فهو بحد ذاته، تحقيق لمعنى القوة التي انضبطت بها الأبعاد و تحددت بها الحدود، فتمايزت بها الأشياء، فهي سنة لا تحوّل عنها لضبط و تحديد الحسن في كل موجود، فمتى توقفت استجابة المخلوق لنظام خلقه فسد و قبح.

فإذا و قع خيار الفعل الإنساني في معنى الطاعة الكونية هذا؛ فهو حسن، و إلا فهو خيار مخالف لنظام و جود الإنسان، فهو خارج معنى السيادة الجعل(مهمة خلافة الأرض).

ويتشخص هذا النظام تماما من خلال استيفاء الفعل الإنساني لبقية السنن حيث تتشخص بها تمام الطاعة. يقول الله تعالى:

(يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم)[٣٠٠].

و الله تعالى معروف، و كذا الرسول(ص) و أولي الأمر؛ ليسوا نكرات، فالله تعالى لا يأمر بطاعة نكرات، و حاشاه ﷻ أن يأمر بطاعة من هم معروفين بالشر و الظلمة، و حاشاه ﷻ أن يأمر بطاعة من لا و جود له[٣٠١]..

فعلى هذا لا مصداق لمعنى الطاعة و لا لنفاذ لمعنى الآية، إلا بطاعة امتداد الرسول(ص)، المعصوم، المعروف، المعرّف، المنصوص على إمامته، و لا ينطبق هذا المعنى إلا على المهدي(عج)، و بهذا المصداق، تأخذ خيارات الإنسان سبيلها إلى الكمال بالتطابق مع النسق.

---

[٣٠٠]) النساء – ٥٩.

[٣٠١]) تبلغ الطاعة غايتها في النبي الذي ارتفع عنه القصور بالوحي لبلوغ سنة الطاعة التكوينية في عقله كمالها، و كذا امتداده الإمام المعصوم، و لذا تقاس صحة الطاعة لدى الإنسان بمقدار مطابقتهما لطاعة المعصوم، و بالقدر ذاته يبلغ الإنسان الكمال.

ب- **بديهية الرحمة:**

الرحمة: هي صفة القوى الكونية، و علة الموجودات الطبيعية.

و لو حل التنافر و القسوة بين أجزاء و جسيمات المادة، فلا و جود مادي إطلاقا.

أو إذا فقدت الإحياء الرحمة (الأمومة و الأبوة ...) فلا حياة إطلاقا.

و إذا لم تعتمد أحكام العقل عقل الغرائز، و تحري الرحمة، فلا عقل إطلاقا.

فلولا الرحمة إذن؛ لا شيء يدرك.

فالرحمة: هي معنى جامع لكل أسباب الجاذبية، و العقل، و المحبة، و الود، و الألفة، و العاطفة، و اللطف بين المخلوقات، مثلما هي معنى معاكس تماماً لكل أسباب القهر و التنافر و التباغض و القسوة، تقابلها في نفس الإنسان سنة تكوينية تسعى لمعاني الرحمة.يجدها كل و احد منا في ذاته، عززها الرحمن الرحيم، أن كتب المودة على الناس لآل محمد(ص)..وليس من آل محمد(ص)، الآن أولى بالود، و لا احد يمثل امتداد عصمتهم إلا المهدي(عج).

إن سنة الرحمة؛ علة الوجود، و علة السعي إليه، و استكماله، و هي سبب المسرة و الجاذبية لأدراك مقدار الكمال في كل موجود.

فالرحمة علة الشعور بالحسن، و علة إدراكه، فان حلت القسوة كعلة للفعل أو الحدث بدل الرحمة، حل التبرم و الغضب و النفور.

وتسري سنة الرحمة على كل القوانين الطبيعية، بل و لتتغير أصوغا لمعاني الرحمة؛ كما يشذ الماء عن قوانين الطبيعة في الأصقاع الباردة رحمة بالأحياء المائية.

فإذاً؛ إذا و قع الفعل من الفرد ضمن معاني الرحمة، متمثلا بود آل محمد(ص)، و قسع على النسق و سعى إلى الكمال[٣٠٢].

إن المهدي (عج) هو امتداد للرسول الأعظم (ص) الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، و ان الاعتقاد بوجوده و الارتباط به عبر جسور المودة المكتوبة، يعزز الكمال في النفس المعتقدة، لان في هذه المودة تفعيل للسنن التكوينية في النفس، و الذي بدوره يؤدي إلى

---

[٣٠٢]) و لذا فالأمر بمودة آل محمد(ص)؛ هو تطبيع للنسق الكوني في نفس المؤمن إذا التزم:(قل لا اسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) الشورى-٢٣.

سعي تلك النفس للتطابق مع السنن الكونية المماثلة في الواقع بما يؤدي إلى الارتقـــاء إلى مراتب أعلى في الكمال الإنساني.

ج – بديهية الحق و العدل؛

الحق؛ هو الصدق الثابت المنقول عن و اقع الكون و الكائنات.. و يتجـــسد بثوابـــت الأنماط و النسب في و اقع الوجود بين المعاني المختلفة، و بين المعاني و العلل التي قام بهـــا الوجود، و عليها يستمر.

أما العدل؛ فهو كل فعل يجري و فق معنى الحق هذا.

ثوابت الحق و العدل في الواقع؛ يمثلان ثوابت النسب في سريان حركـــة الكائنـــات؛ فبثباتهما يدرك الحسن و الكمال.

وقد قام الكون بثوابت أنماط الفعل، و ثوابت النسب بين المعاني و العلل..فلا و جـــود بلا هذه الثوابت، و لا دوام للوجود إلا مع ثبات و استمرار الحق،الذي هو عبـــارة عـــن سريان العدل.

ولذا فان الباطل؛ جاء في اللغة من باب تسمية الشيء باسم لازمه، فهو نقيض الحـــق، فهو من اسمه زائل باطل.

ولذا فلا حسن و لا كمال مع الباطل و الظلم، و طبقا لمعنى الحق فان الرحمة الكونيـــة تعتبر من معاني الحق و العدل.

إن الباطل و الظلم؛ مزرعة ثمارها القبح و الشر، و أما الحرص على تحقيق الحق و إشاعة العدل في العالم لاشك سيثمر تعزيز خيارات الفعل الحسن عند الناس باتجاه الكمال.

لذا فالحق معرفة لترجمة نظام الكون، أما العدل فهو ما يجري أو يسري في الكون بمـــا ينطبق مع الحق، أي بما ينطبق مع تحكّم و نفوذ ثوابت الصدق في الواقع فقط.

ولذا فالحق؛ يعتبر معرفة و إدراك، و أما العدل؛ فهو فعل يجسد لتلك المعرفة، تقابلها في نفس الإنسان سنة تكوينية تسعى بالإنسان لإدراك الحق و طلب العدل.

وقد جاء تمام هذا المعنى في القرآن الكريم. قال تعالى:

(وممن خلقنا امة يهدون بالحق و به يعدلون)[٣٠٣].

والحق؛ بما هو أنماط و نسب ثابتة؛ فهو دعائم للثبات في قيام الواقـــع الوجـــودي لأي موجود، بل و للكون كله و من اجل استمراره، فالحق سنة لضمان دوام سعي الموجود باتّجاه الكمال، و كذا للكون كله أيضا. فان اهتزت تلك الدعائم الثابتة في و اقع ما بطل.

والعدل؛ هو جعل الأشياء مناسبة و متناسقة و فقا لتلك الثوابت..ولذا فبدون العدل و الحق لا تمايز و لا إدراك للوجود.

والفعل المختار، ليكون أكمل، يجب أن يطابق الحق و العدل، ليقع خيار الفعل في معاني النسق الكوني، و تتحقق به للإنسان السيادة الجعل(الخلافة في الأرض).

و لا مصداق لهذه الوقائع إلا في المهدوية، التي تعد البشرية بالمهدي(عج) الذي يمـــلء الأرض قسطا و عدلا.

وطبقا لهذا الفهم؛ فلا حياة للنسق في خيار الفعل إلا بالمهدي(عج) ضمانا للعدل و الحق على و جه الأرض، فلا يكتمل تقويم الفعل الإنساني إلا بالمهدوية.

د- بديهية الموت؛

الموت؛ نقلة حتمية تقع في نهاية الأجل لوجود الموجود؛ و هو في الإنسان؛ قبض لبسط خلق الإنسان، في تمام النمط الخلقي، و هذه النقلة تعبر عن تواصل سنن الحسن في الكون. ١٨١

و السنة التكوينية للموت في الإنسان، تسعى به لطلب الحسن في الحياة الأخرى الأبدية و تمنحه قوة الإيمان.

الموت:حتم لازم لانتقال الموجود، بل الكون كله إلى مرحلة أكمل و أحسن في الخلق، فالموت سنة تواصل الحسن.

والموت؛ حتم لا يفلت منه موجود على الإطلاق. و هو نقلة في أطوار خلق الإنـــسان؛ فلو تتبعنا مراحل خلق الإنسان مثلا ابتداءً من بداياته الأولى:

---

[٣٠٣]) الأعراف- ١٨١

((مادة غذائية.. فحيمن في الأصلاب، أو بيضة في المبايض.. ثم جنين في الأرحام.. ثم طفل و ليد في الدنيا.. ثم أطوار في عمر الإنسان من رضيع إلى كهل حتى يبلغ غاية الرشد من العمر.. ثم يموت)).

أولا- فهو قبل الوجود لا شيء..والشيء أكمل فهو أحسن من اللاشيء.

ثانيا- ثم الحيمن أو البيضة؛ كائن حي.. و الكائن الحي أكمل فهو أحسن من الشيء الميت.

ثالثا- ثم هو بعدها بيضة مخصبة، فجنين في الرحم.. و الجنين في الرحم؛ كائن أكمل فهو أحسن من مجرد و جود حيمن في صلب أو بيضة في مبيض.

رابعا- ثم هو بعدها و ليد، و الوليد الخارج من الرحم، أكمل فهو أحسن من الجنين في الرحم.

خامسا- ثم يصير شابا، و الشاب الذي تطور عن هذا الوليد، أكمل فهو أحسن من الطفل الرضيع.

سادسا- ثم يصير بعدها راشدا، و هكذا فالإنسان الراشد الذي تطور عن الشاب أكمل فهو أحسن من الشاب اليافع.

سابعا- ثم هو كهل، و الكهل الحكيم الذي علمته الأفعال و التفاعلات مع الموجودات؛ الحكمة، أكمل فهو أحسن من الإنسان الراشد.

ثامنا- و هكذا الموت الذي يأتي على نفس النسق الخلقي، يعتبر نقلة إلى واقع أحسن و أكمل في حياة أخرى أكثر تطورا باتجاه الكمال.

فإذا و قع الفعل من الإنسان باعتبار الانتقال إلى الأحسن باستمرار، متحسبا لما بعد الموت من عقاب أو ثواب على ذلك الفعل، تسددت أفعاله بالنسق الكوني، و اتسقت معه، فهو فعل حسن يتكامل، و إلا فهو سوء.

إن إهمال الناس لهذه الحقيقة؛ حقيقة الموت كحتم يأتي في سلسلة الانتقال إلى الأحسن، يوحي بشيوع العبثية، و لا شيء ينهي هذا الوضع في النفوس سوى العقيدة المهدوية الفاعلة في النفوس، لأنها تعطي الأمل بان الدنيا لن تنقضي حتى تقوم دولة العدل، و الانتظار يخلق في النفوس جدية الوجود و جوهريته.

أما الإيمان بلواحق المهدوية من امثال الرجعة، فتجعل انتظار المهدوي لا ينتهي بالموت، بل يطلب من الله تعالى أن يخرجه من قبره متقلدا سيفه ليسهم في ثورة سيده المهدي(عج)، و هو حال أفضل رقيا في الكمال.

ه ـ بديهية البلاء:

البلاء: سنه الدفع إلى الأكمل و الأحسن في الوجود و الموجودات، بما لا يفلت أحد منه.

فما من موجود إلا و هو مبتلي، و مبتلى به في آن. (إنها سنة التدافع و التفاعل بين الموجودات).

والبلاء؛ في كل الموجودات عبارة؛ عن فعل و رد فعل يساويه في المقدار و يعاكسه في الاتجاه، أو فعل و امتصاص للفعل، إلا في الإنسان.

فعند الإنسان لا يحصل الخيار الأحسن، برد الفعل، أو الانفعال بالحدث، و لا بامتصاص الفعل، بل يحصل إذا انطبق خيار الفعل عند الإنسان مع الطاعة و الرحمة و الحق و العدل و اعتبار الموت، بما يتطلب ذلك من صبر و عزيمة و تحمل من اجل تلك المبادئ.

فإذا فشل الإنسان في خياره للفعل في اجتياز البلاء؛ سقط في تحقيق الكمال، ففعله (سيئة).

واليوم، بمقتضيات التقدم التقني صارت الأرض كلها مدينة و احدة، لا يمكن لأحد أن يعيش بمعزل عن العالم، و البلاء سنة كونية، يكون فيها كل إنسان في آن و احد مبتلي و مبتلى به..وهذا المفهوم تناوله الوجوديون و الصوفيون بشكل معتبر؛ تحت عناوين المسؤولية و الوعي و القلق ..

إن البلاء؛ يتجسد في تفاعلية كل البشر و الكائنات بعضهم ببعض، فكل كائن مادي، حي، أو عاقل؛ هو مبتلى و مبتلى به في نفس الآن، و لكن المجتمعات البشرية تحتاج إلى قيمة الصبر و التحمل لتعايش الناس بعضهم مع بعض باللطف؛ أي بأفعال تطابق مع النسق الكوني.

إذن؛ فلولا البلاء لا يعرف الحسن من القبيح، أو الرحيم من القاسي، أو العادل مسن الظالم خ

فالبلاء: **سنة كونية فاعلة في كل موجود دافعة لتجلي الحسن الكوني فيه، لان نتيجة المفاعلة تنتهي إلى حالة اقرب لرفع القصور، طبقا لحركة الكائنات بنسق صاعد إليـــه جل و علا.**

و لولا البلاء فلا يمكن لأحد أن يرى الحسن أو يتفاعل معه أو ينجذب إليه، و ســـنة البلاء التكوينية في النفس تسعى بالإنسان لامتلاك الصبر و التحمل و العزمة في الإرادة و الثبات على المبدأ، و التوازن في حال أحسن.

مع المهدوية و ما تتطلبه من الصبر و التحمل و الانتظار مقرونا بالأيمان، يتحقق كمال إنسانية الإنسان. و قد أشار الحديث الصحيح إلى منزلة الصبر من الأيمان؛ الصبر من الأيمان كمنزلة الرأس من الجسد.

و– بديهية الخلافة؛ أو الإمامة و السيادة:

السيادة: تتجسد في عشق الإنسان لحريته، و سعيه لتحقيق قدرته في اختيار فعلـــه، و رفضه لكل ما من شأنه الوقوف ضد إرادته في الحرية و الاختيار.وهذا ما يجده كل و احد منا في ذاته.

وأما المعنى الكوني للإمامة: **فهو ميزة الحسن في كل ذات خلق، أو ميزة الحـــسن في كل صنف خلق.**

وضمن أنماط الخلق نجد أن البروتون إمام خلق المـــادة.. و ال(**DNA**) إمـــام خلـــق الأحياء، و العقل إمام خلق الناس، و الوحي امام خلق النبي..(يسمي القـــران الكتـــب المنوحاة إماما).

ولذا فلولا البروتون فلا معنى لخلق المادة. فكيف تكون مادة العناصـــر دون البروتـــون الذي هو ذاتها؟؟؟

و لولا أل(**DNA**) فلا معنى لخلق الأحياء.فكيف يمكن أن نتصور كائن حـــي بـــلا أل(DNA)، و هو ذات الحياة و معناها؟؟؟

و لولا العقل فلا معنى لخلق الناس. فما معنى أن يخلق الناس مجانين ؟؟؟.ولولا الـــوحي فلا نبوة، فكيف يكون نبيا بلا و حي؟!

فالإمامة: ميزة الحسن في خلق الكائنات.

والسعي للحرية و للسيادة، هي مهمة و جود العقل، و هي ببداهة ما يجده كل منا في نفسه.

فهي طبع و جبلّة كل إنسان سوي، فبديهي أن يكون للعائلة رب، و للقبيلة شيخ، و للجيش قائد، و للأمة زعيم خ، و للناس إمام.

و هكذا في الأحياء؛ للنمل ملكة، و كذا للنحل ملكة، و للطيور المهاجرة قائـــد، و للسمك اهاجر رائد، و في كل صنف من الأحياء إمام.

طبقا لهذه السنة، التي تدرك ببداهة؛ لابد أن يوجد الآن إمام العصر؛ الإنسان الذي يمثل المعنى الحسن لوجود(الإنسان) خليفة الأرض. و المهدوية عقيدة تطابق النسق في مرتكزاتها، و تحيي النفوس بانتظار الإنسان الكامل، فهو المعنى الحسن لوجود الإنسان، و الذي بدونه لا و جود.

ز– بديهية الوحدانية:

تدرك كل نفس و حدة كيانها، و وحدة النظم التي تحيط بها، و وحدة المشاعر الإنسانية (فكل الناس نظائر لبعضهم)، و وحدة الثوابت الكونية، و وحدة معنى الحياة في ذاتها و في ميزاتها، و وحدة مرتكزات العقل و آلية عمله، و بالتالي و حدة ثوابت الوجود، فوحدانية خالق الكون ﷻ.

فهو سبحانه و حده مصدر الوجود، و الحياة، و العقل، و النبوة، و الخير بيده جل شأنه و حده.

لذا فان الاعتبار بمعاني الوحدانية هذا، في خيار الفعل من قبل الإنسان، يضع الفعـــل في النسق و ضمن حدود و معاني السيادة الجعل(الخلافة)، فيكون الفعل حسنة.

فالوحدانية في الفعل؛ هي كما يقول المعصوم الإمام الصادق عليه السلام:

"أن لا تجوّز على ربك ما جاز عليك، و العدل أن لا تنسب لخالقك ما لامك عليه"[٣٠٤].

فبالوحدانية: المعنى الجامع لتوجه الموجودات بفعلها لخالقها الواحد، فهي إذاً سنة الكمال، و السكة الوحيدة للتوجه به و اليه ﷻ.

فالواقع إن الوحدانية؛ هي و حدة المربوبية في كل معاني الوجود و الحياة و العقل، و سنتها التكوينية تسعى بالإنسان لطلب الكمال في الوحدة و التوحد مع الموجودات، و التوحيد في كل نظام.

حتى نمط التعميم الذي يعتبر جوهر الاستقراء لبلوغ الحقائق، هو تجسيد لسنة الوحدانية التكوينية في الإنسان.

وهذا ما يجده كل و احد منا في ذاته و تصوراته و علمه.

ثم إن سنة التوحيد: هي سنة الامتناع على التعدد في جوهر السنن الكونية النافذة في الوجود، التي تتجسد في و حدة المرتكزات العقلية و وحدة الثوابت و وحدة الشروط الكونية.

و عليه فان التوحيد؛ هو جوهر النظام الكوني في توجهه للحسن و الأحسن و الكمال، بل هي سر كل ما هو مسر و ما يجذب، عندما يتحرر فينا الإدراك من الشرك.

وهناك معنى ظاهر لجوهر الوحدانية هذا، متجسد في الواقع، و هو الإمامة(المعنى الحسن في ذات كل خلق أو كل نوع خلق)، فلا مصداق للإنسان الموحد إلا في الإمام..في حين يقول تعالى: (**و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم به مشركون**)[٣٠٥].

نحن الآن في عصر مصداق الموحد و حامل لواء التوحيد لهدم معالم الشرك و الظلم فـ(إن الشرك لظلم عظيم)[٣٠٦].

وفي غير المهدوية لا يصدق أن يكون الإنسان منتظرا و ممهدا، و ربما جنديا يحمل مع سيد الموحدين لواء التوحيد ليبسطه على الأرض كلها.

---

[٣٠٤]) الري شهري؛ محمد ' ميزان الحكمة ' ج٣، ط١، دار الحديث، إيران –١٤١٦ ص/١٨٩٥.
[٣٠٥]) يوسف – ١٠٦.
[٣٠٦]) لقمان– ٨.

بمعنى في غير المهدوية لا يوجد دافع من ذات الإنسان يسعى به في سنن الكمال و سككه لحمل لواء التوحيد جنديا فدائيا.

في المهدوية؛ ينتظر المعتقد أن يعيش حقيقة الوحدانية الحق، لله الحق من خلال اقتران كمال البعد المعرفي الموضوعي للشعار؛ لا اله إلا الله مع بعده الروحي في كمال المعصوم المهدي(عج)، في تكامل الزمان و المكان، حيث تصبح الأرض دولة و احدة.

وهذا ما تشير إليه الروايات، و هذه الروايات كانت تقرع أسماعنا قبل هذا التطور في و سائل الاتصال و الأعلام.

ح- بديهية السعي للكمال(سرعة البسط):

هي سنة الحركة الجوهرية الدائمة لأنماط الخلق، و تتجسد في حتمية الزمكان.

ونجده في كل منا طبعا؛ في ماهية عشقنا للكمال و الجمال، أو بمعنى أخر استمرار تكامل الطاعة و دوامها، و سعي النفس للأفضل و الأكمل و الأحسن، جبلة أو ملكة لا يعدمها أحد من الناس، بل الكون كل بما فيه من موجودات تتطور بشكل بديهي للأفضل و الأكمل.

فسنة السعي للأحسن(في الخير و تغيره)؛ نجدها في كل الموجودات، حيث تسعى لبلوغ الأحسن و الأفضل دوماً في كل نشاطاتها ضمن النسق المتمثل في ستة أنماط و ثمان سنن كونية؛ تمثل دعوة كل الموجودات لضمان التطور للأحسن، و سنتها التكوينية في الإنسان تدفعه دوماً للتكامل و طلب الكمال.

في الإنسان؛ سنة التطور للأحسن؛ تتجسد في دعوة الله تعالى عباده للسير في النسق ليحسنوا، من خلال إرسال الرسل تترا، و إنزال الكتب، و قيام المعجزات.

هذا كلام صحيح في المعرفة، و في التاريخ، لكن كيف توضفه العقائد في إذكاء كمال الإنسان و تكامله في ميزانه الراقية؟

ان الجواب على هذا السؤال يكمن في تفاصيل العقيدة المهدوية لا في غيرها، فالمهدوية تتحدث عما سيقوم به المهدي(عج) إبان ظهوره البهي، و فق تفاصيل تحقيق غايات الزمان و المكان في مسيرة النسق الكوني التي تحدثنا عنها.

فبه(عج) تتحقق معاني الطاعة الحق، و به تشيع الرحمة و يندحر الظلمة، و به يسود الحق و يبسط العدل، و به تحصد نتائج البلاء، فطوبى للصابرين المنتظرين، و تعسا للأشقياء المكذبين.

و به تتجسد الإمامة بمعناها الكوني؛ حيث يتجلى المعنى الحسن لخلق الإنسان، و بها تترسخ عقيدة التوحيد، و بالمهدي (عج) تتكامل الإنسانية ليبرز معنى الإنسان الخليفة الذي تتحقق به إرادة الله في خلق آدم؛ فالمهدي(عج) عنوانها و مصداقها.

ولا نجد شيء من هذا في غير مهدوية الإسلام.

فالمهدوية عقيدة النسق؛ منه و اليه و به، و بغير النسق الذي هو إرادة الله لا يتحقق الكمال للإنسان.

وذلك هو ما نقرأ بوضوح في ثمان بديهيات للكون لا يعدمها الإدراك لأي مراقب ذي لب و بصيرة لأحداث الكون.. و ذلك أيضا هو ما قرأناه في المهدوية كعقيدة من عقائد الإسلام و لعل السبب في إهمال أو عدم الالتفات إلى تلك السنن الحسنة، هو كونها بديهيات أولاً.

و ثانياً؛ ربما ابتعادنا عن الفطرة السليمة بما انطوت عليه نفوسنا من قسوة عانيناها أو نمارسها أو نعيشها، هي السبب في عدم إدراك تلك البديهيات.

تداخل السنن الحسنة:

إن هذه السنن الكونية الثمانية، و التي تدرك بشكل بديهيات كونية، إنما سرت و نفذت و تحكمت في الكيان الإنساني باعتباره مادة، حية، عاقلة، فهو يحوي أصناف الوجود كلها:

أتحسب انك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر

ولذا فالإنسان بنفسه يعبّر عن ماهيات أجزاء الكون كلها..وعليه؛ صارت هذه السنن الكونية في النفس الإنسانية سنناً تكوينية بعد رفع القصور الذاتي بالحياة؛ و برز بها عقل الإنسان؛ بعد رفع القصور الحيوي بالروح التي نفخها الله في خلقته

فالإنسان العاقل المتوجه للكمال؛ هو الذي يسعى بذاته للطاعة، و يعزز في نفسه معاني الرحمة، و يطلب العدل، و يريد السيادة، و يعمل لما بعد الموت، و يتجاوز البلاء، بالصبر و يسعى للتوحد و التوحيد، و يتكامل لضمان بلوغ الأحسن بالزمكان.

هذا على الصعيد النظري، فهل من الإسلام كعقيدة تطابق النسق الكوني ما يدعوا لتحقيق ذلك عمليا؟

والجواب هو نعم؛ و ذلك من خلال العقيدة المهدوية التي تقوم على الانتظار للثائر المصلح و التهيؤ لأمره و التهيؤ لدولته، أو على الأقل التحاش من بطش عدله و تحري العذر من خذلانه.

فمن ضرورات الانتظار و التهيؤ و الاستعداد؛ تبرز عند المعتقد بالمهدي(عج)، جوهرية الحسن في الكينونة، و إدراك الجدية في مهام الرسالة الإنسانية، و عدم العبثية بما يتطلبه ذلك الاعتقاد، من حقيقة التلازم الذاتي بين نسق الفعل في الكون المجبول على السعي للأفضل و الأحسن حيث الكمال، و بين خيار الإنسان لفعله الحسن بذات النسق حيث لا غيره.

فالذي يعيش بفعله لا ينتظر له نتيجة تقربه لقائده و إمام عصره، بل قد يكون لا يشعر بأن له إمام موجود، ليس كمثل الذي يعيش لرسالة سامية، و هو في حال تهيؤ لمقدم إمامه المنتظر في أي لحظة، فله همّ يعنى به، و استعدادا يربطه بغايات قائده السامية؛ فالمهدوي ليس إنسانا ضائعا، لأنه في دأب دائم لبلوغ الغايات السامية لخلقه، و ليس كغيره؛ يأخذه العبث صباحا و تمسي به الخيبة مساءا!! ١٨٩

فالذي في عنقه بيعة لإمام حق، و يستوعب في خياره لفعله، و جود إمامه هذا المعد لإصلاح العالم، و الذي يعتقد انه ينظر إليه و يقيم فعله (**فسيرى الله عملكم و المؤمنون**)، فانه يحرص على أن يكون فعله كمأموم يصب في آمال إمامه و لغاياته السامية.

و هكذا يتقوّم فعل المهدوي(المعتقد بالمهدوية)، و العامل بمضامينها بالكمال لتلازمه ذاتيا مع النسق الكوني.

الأنماط الستة للخلق التي تبدأ من القبض في التجرد(التقدير في علم الله) حتى تنتهي إلى البسط في التجرد (في علياء الله و عزه).. هذه الحقيقة؛ نرددها دوما في قولنا: إنا لله و إنا إليه راجعون؛ تشعر بتطابق الإسلام مع النسق الكوني.

هذه الأنماط نعيشها و ندرك مراتبها و مراتب مخلوقاتها، دون أن يلتفت الكثير منا لحقيقة توجه الفعل في الكون إلى الكمال، سواء في بسطه أو في قبضه، حتى يظن الظّان، أنما الخلق عبث، فلا يجد الكثير منا حرجا في ارتكاب أي فعل، و لا يتعب نفسه في خياره لفعله فيما إذا كان يتوجه مع النسق أو يكون ضده، بل قد لا يعلم هذا المعنى على الإطلاق.

إن مجرد الإقرار بوجود إمام العصر المتهيئ و المعد لمهام الإصلاح الأكبر، مقابل و جود منتظرين له ممهدين لدولته، يضع أولئك الناس، في جوهر الكينونة، و يبقى غيرهم في عده التزام لمعنى النسق أو الكلام فيه.

أما إذا كانت للإنسان بيعة و التزام لهذا الإمام المنتظر، فإنما يكونون في سبيلهم إلى إتباع الكمال الذي يمثله الإمام المعصوم.

ونجد أن الذين عاشوا الوهم في الدنيا، يوم يرون الواقع من البسط في التجرد، و في ساحة اللقاء مع البارئ العظيم، إنهم لم يكونوا على شيء في الدنيا؛ كانوا على الهامش ضائعون، الكون يجري لغايته، و هم يعيشون لا غاية لهم: ١٩٠

(الذين كذبوا بالكتاب و بما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون، إذ الأغلال في أعناقهم و السلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون، ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله، قالوا ضلوا عنا، بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا، كذلك يضل الله الكافرين)[٣٠٧] .

وهذا الجوهر الذي يفتقده الناس في و جودهم و حياتهم و عقلهم مما لم يفت الفلاسفة الكبار من الأولين و الآخرين.

فمثلا هذا هيجل، يشير إلى هذا الجوهر و معنى الوجود و الباعث له و فيه.

---

[٣٠٧]) غافر – ٧٤.

يعتقد هيجل؛ أن **الروح المطلق**، ؛ هو الباعث على الديالكتيك، الذي يسميه العمليـــة المنطقية و ان " العقل هو الوسيلة التي لابد منها لإدراك الديالكتيك؛ الذي هو التطور من و حدة إلى تعارض و من تعارض إلى و حدة"

(و ان مهمة الدين هي بلوغ المطلق؛ (الله)، و ان الله هو نظام الصلات الذي تتحرك به جميع الأشياء و تعيش.

إن المطلق ينهض في الإنسان إلى و عي ذاتي، و يصبح الفكرة المطلقة، و ذلك إن الفكرة تدرك نفسها كجزء من المطلق)[٣٠٨].

وقول هيجل هذا كله مجرد نظر لا يغني و لا يسمن من جوع، فالمهم هو الوسيلة الـــتي تضع أقدام الإنسان على خطى الروح المطلق، و في خياراته من اجل بلوغ الله تعـــالى في إرادته.

فإن الحسن و القبح ليس مجرد معاني نستحضرها بألفاظ تدل عليها؛ **إنما الحسن و القبح حادثات و أفعال**؛ تدرك من خلال استحضار القوى المنجزة لها، فالقوة هي التي تسبطن الفعل و تدل عليه.

وإن كان الناس يتداولون ألفاظا لمعاني الفضائل، و يجادلون مثلا، بقـــولهم؛ إن الكـــرم حسن، و البخل قبيح، و الصدق حسن، و الكذب قبيح الخ

إن الواقع غير هذا تماما، بل و اعقد؛ فهذه المعاني لا تكون حسنة أو قبيحة، إلا بملاحظة علتها الدافعة لفعلها المنجز لها، فتكون حسنة إذا أتت معلولة لجوهر الكون و علة الكينونة و هي الرحمة، و متطابقة مع النسق الكوني.

فلكي تكون هذه المعاني فضائلا حقيقية، لابد أن تتطابق في أدائها السنة الكونية، مـــع السنة التكوينية للنفس الإنسانية التي يصدر عنها الفعل.

فالكرم الفضيلة؛ هو الكرم الذي يأتي مدفوعا بعلة الرحمة و تجسيد لروح الحسن الكوني الساري.

---

[٣٠٨]) قصة الفلسفة / ٣٧٩.

أما إذا كان هذا الكرم يأتي لعلة غير هذا؛ كالرياء و السمعة أو العجب أو التفاخر ـ فانه قبح.

فاللفظ ليس فيه حسن أو قبح، و كذا المعنى؛ و ما يأتي على الألسن مما يقوله النـــاس، ألفاظا لمعا ني و يظنون أن الحسن و القبح، يقترن بتلك المعاني؛ فالحقيقة هي أن اللفـــظ و معناه، لا حسن فيهما و لا قبح، إنما الحسن و القبح يترتبان على الفعل الموافق لذلك المعنى و ليس على المعنى و حده، إنما حسنه و قبحه يتوقف على العلة الدافعة للفعل الذي يبرز بـــه ذلك المعنى.

يكمن تمييز المعنى الكوني للرحمة، كي لا تختلط بالعاطفة أو الحب الأعمى، أو أي شكل من أشكال المؤالفة أو الرأفة. فالرحمة الكونية تتميز بأنها؛ قوة يأتي الفعل لإبرازها في معاني معرّفة تتحقق في العقيدة التي تنطوي عليها نفس الإنسان، ما إذا كان الفعل– أي فعـــل– غير مستوعب هذه الحقيقة، فهو باطل و خواء.

فكيف نضمن أن يكون الفعل المختار من قبل الإنسان، متطابقا مع معناه؟

الضمان؛ يتحقق من خلال انطواء النفس على عقيدة صحيحة يقوّم بمراعاة معتقداتها عند صدور الفعل منه.. و هذا لا يحصل إلا من خلال نفاذ السنن الثمـــان الكونيـــة الحسنة في الفعل.. و هذا لا يتحقق إلا من خلال الإمام الحاضـــر في ذات الإنـــسان، الفاضل و الكامل و الرقيب و المنتظر، صاحب الهدف الكبير و الرســـالة العظيمـــة و الغاية السامية..التي تجند معتقديها لذلك القائد العظيم.. و الذي يمكن أن يظهر في أي لحظة، و هذا لا يتحقق إلا من خلال رابطة قوية حقيقية تربط بين المأموم المنتظـــر و الإمام المنتظر.

نعم قد يكون في الغالب العام؛ لا يتحقق هذا الضمان، و بهذه الصورة، إلا أنهـــا الصورة الواقعية و المعدة، لبناء الإنسان الكامل. فالمهدوية هي أطروحة الكمال.

وتفسير هذا القول يكمن في: إن الإسلام بدون المهدوية؛ بعدان فقـــط، و تكتمـــل في تأثيرها بخيارات فعل الإنسان من خلال استيعاب المهدوية، ليكون الإنـــسان بالإســـلام؛ آملا، فاعلا، ممهدا، منتظرا، مستعدا لمهامه في الوجود.. و **في غير المهدوية لا يمكـــن أن يكون الإنسان هكذا.**

فان الكمال، جوهر و جودي، ندركه فقط، حين تتوفر مكوناته و مركباتـــه، فهـــو كمحصلة مركبات القوى، بالضبط كأي مقدار اتجاهي في الطبيعة و الحياة و العقل.

ففي الإسلام تبلغ الهداية التكوينية غاية كمالها في الإمام الغائب (عج)، و تمتد إلى كل فرد ممن يؤمن به عبر جسر الانتظار و التهيؤ لمقدمه البهي، و باعتباره المعـــصوم الإمام المكلف بالإجهاز على مواقع الضلال و قواه، فهو الثائر العظـــيم، و المنقـــذ الأكبر، و المصلح الكوني الذي يؤيده رب العزة لتمام الهداية و شيوع العدل.

ان الكمال الإنساني هو من معاني امتدادات الهداية التكوينية للإمام المنتظر (عج) في ثلة المنتظرين، في ضوء معاني الانتظار، و معاني التمهيد للظهور البهي للمعصوم.

و يمكن تلخيص ذلك؛ في تصور إنسان ينتظر قدوم ضـــيف، كيـــف تكـــون استعداداته، إذا كان ممن يعرف معاني إقراء الضيف و آثاره كلها؟

و كيف يكون التصور في التهيؤ لانتظار ثائر عالمي و مصلح كـــوني، اذا كـــان يعرف متطلبات التغيير و معاني الثورة؟

و لكي يكون الإنسان أحد أتباعه (عج) فعليه أن يكون بمستوى الموقـــع الـــذي يطمح من خلال كمال الهداية لينال رضاه (عج) فرضا خالقه ﷻ.

نعم قد يكون هناك تقصيرا في فهم معنى و جود الإمام (عج)، و معـــاني التـــهيؤ لمقدمة، مثل تقصيرنا في و عي المعاني الهادية الأخرى لوجود الإمام المعصوم، لكن هذا ليس ذنب العقيدة، إنما هو ذنب المعتقدين، أو هو طبيعة الناس في التفاوت بالوعي، أو قصورهم عن بلوغ تمام معانيه، لذا يبقى في معاني الهداية التكوينية حيزاً للتفاوت بين الناس في الوعي.

وأيضاً أن الإمام (عج) غائب، لكنه موجود في ساحة العقيدة، حيث هناك ثقافـــة خاصة بمعنى الغيبة، و علامات الظهور، و زمن الظهـــور، و شـــعارات ثورتـــه، و موجباتها، و كيفيات فعله، و هناك خطط بينتها الأحاديث الكثيرة لحركته الثورية و بشكل مفصل.

فهو كالشمس حين يحجبها السحاب، تبقى تمد الحياة بالوجود و الاستمرارية.

هذه الثقافة و مناقشتها بالفعل و المنطق و ردها إلى القرآن شريك العـــصمة مـــع

الإمام، تمثل تفعيلا لمعاني الهداية التكوينية لوجود الإمام (عج) و مع الانتظار يـــزداد تفعيل هذه المعاني.

فالمنتظر إذا شد نفسه بالمنتظَر الثائر الكوني، إنما ينتظر ثورة و اضـــحة المعـــالم و الخطط و الأهداف – و تلك هي من مجسدات الهداية التكوينية للإمام مع غيبتـــه – تجعل المنتظر في منحى هداية الإمام دوماً لأنه متزودٌ بما يريده الإمام و متجنبٌ لمـــا يمكن أن يغضبه.. و تلك من معاني الكمال في إنسانية الإنسان.

فلا ينجو من عدله إلا من بايعه على الهدى، أو أذعن للحق الذي جاء به.

وفي ذلك معيار لأثر المهدوية في صناعة ماهية الكمال في الإنسان.

الخلاصة

- تمهيد
- ملاكات الإعتقاد بالمهدي عليه السلام
- الإعتقاد بالمهدي عليه السلام في الآيات والنصوص القرآنية
- الإعتقاد بالمهدي عليه السلام في روايات أهل السنة
- الإعتقاد بالمهدي عليه السلام لدى فرق أهل السنة
- عبارات الروايات حول المهدي عليه السلام
- الإعتقاد بالمهدي عليه السلام في فرق الشيعة
- المهدوية في نظر الشيعة الامامية
- المعطيات التاريخية للإعتقاد بالمهدي عليه السلام
- خصوصيات الامام المهدي عليه السلام
- مقام أصحاب الامام المهدي عليه السلام
- معنى الانتظار و شروطه و علائمه و آثاره
- أقسام الانتظار
- أهم العوامل المؤثرة في توطيد الحكومة الاسلامية

الاعتقاد بالمهدي(عج) و معطياته التاريخية

السيدة فاطمة الخزرجي النجفي ١٩٥

مهدي النجفي

تمهيد:

إنّ نور الأمل الذي ينير دائماً أعماق الروح البشرية ويمنح الإنسان عنصر القوة في مواجهة التحديات الصعبة التي يفرضها الواقع، هذا النور يأخذ بيد الإنسان الذي يعيش متاهات الحياة في حركة الواقع ويسلك به في خط الكمال المعنوي والروحي في أجواء الانفتاح على الله والإيمان.

لولا الأمل فإنّ الإنسان لا يجد في نفسه دافعاً للسير في خط المسؤولية وتحمل الصعوبات والعمل من أجل حلّ المشكلات والسعي لكشف خواص المادة وقوانين الطبيعة، فكل ما نراه من حركة في دائرة الزراعة والصناعة والفنون المتنوعة والعلوم المختلفة وغيرها من مظاهر النشاط البشري، ناشيء ببركة نور الأمل الذي يعيشه الإنسان

في واقعه الباطني كسنّة إلهية في حركة الحياة، إلّا أنّ أكثر أو كلّ الناس – إلّا ما نـــدر – يبتعدون عن هذا النور. ولذلك نرى أنّ شمس الأمل عندما تشرق علـــى أرض الـــنفس البشرية المظلمة وتنير زوايا الروح المتعبة، تستيقظ قوى الخير فيها ويمنحها الأمـــل صـــفاءً وحيوية وعزماً واستقامة في واقع الإنسان وحركته في خط المسؤولية والإيمان.

إنّ الاعتقاد بالمهدي وانتظار ظهور الموعود في آخر الزمان، يحتل في ثقافتنـــا الدينيـــة مكانة خاصة وممتازة، فمضافاً إلى أنّ هذه العقيدة تعكس واقعاً في عالم الوجود وتحكي عن وعد إلهي جازم لا يقبل النقض، فإنّها تمنح الإنسان نور الأمل في واقع الحياة، وعلى ضوء ذلك فإنّ تشكيل المجتمع المثالي بمعايير أخلاقية وإنسانية بحيث تسود فيه العدالة وينعدم فيه الظلم والجور، كان ولا يزال يمثّل حُلماً في وعي البشرية جمعاء، ولذلك فكّر الإنسان منذ قديم الزمان بأطروحة المدينة الفاضلة، والمفاهيم والتصورات التي تنطلق من هذه الفكـــرة التاريخية تتحدث عن حقيقة حاسمة، وهي ضرورة الوصول إلى تحقيق هذه المدينة المثالية(١) على أرض الواقع الاجتماعي. ومن هنا كانت المدينة الفاضلة بخصوصياتها المثالية مطروحة في دائرة الفكر الفلسفي لدى عامة الفلاسفة والمحققين(٢).

إنّ التطلع إلى عالم مثالي والحياة في أجواء الفضيلة كانت مورد اهتمام جميع الأديـــان والمذاهب ولم تكن من افرازات الخيال، فينبغي تتبع معطيـــات هـــذا المفهـــوم في واقـــع المجتمعات البشرية. وأحد أهم المسائل التي وقعت مورد اهتمام المفكرين في أجواء المعارف الإسلامية وعلى مستوى كافة المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة هي مسألة المهدوية.

فإنّ الإمام المهدي (عج) في الوعي الإسلامي يمثّل أمل المستضعفين وشوكة في عيـــون المستكبرين وقوى الجور، وسوف تتسع عدالته لتشمل جميع أرجاء المعمورة حيث تجـــف جذور الجهل وينتهي عصر الحكومات الظالمة وتعيش البشرية في أجواء عدالته الشاملة.

ملاكات الاعتقاد بالمهدي عليه السلام

أمّا من حيث الأدلة النقلية والنصوص القرآنية التي يمكن الاستدلال و الاســـتناد بهـــا لإثبات صحة الاعتقاد بالمهدي وحتمية ظهوره فبالإمكان تقسيمها إلى:

١ – الآيات التي تدلّ على أنّ الإرادة الإلهية والمشيئة الربانية تعلقت بهذه الحقيقة، وهي أنّ المستضعفين سيرثون الأرض بعد هزيمة الطواغيت والمستكبرين وفي ذلك يقول تعـــالى: «ونريد أنّ منّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين»(٣).

وبديهي أنّ هذه الإرادة الإلهية عامة وشاملة ولا تختص بقوم بني اســـرائيل وفرعـــون وهامان اللذين استضعفا بني اسرائيل، فهذه الآية شاملة في مضمونها جميـــع المستـــضعفين بشكل عام حيث تشملهم العناية الإلهية في تحقيق هذا الوعد، وهذا من جملة السنن الإلهية، ومن الواضح أنّ ظهور المهدي الموعود يمثّل منّة على المستضعفين لتحقيق غلبة المستضعفين على المستكبرين و يعدّ مقدمة لتحقيق وراثة المستضعفين وخلافتهم الإلهية على الأرض.

٢ – الآيات التي تتضمن هذه الحقيقة، وهي وعد اللّه تعالى بأن المستضعفين سيخلفون و سيرثون الأرض، وقد ورد هذا الوعد الإلهي للصالحين والمتقين في أقدم الكتب السماوية بأنهم سيرثون الأرض ويكونون قادة الأمم، من قبيل قوله تعالى: «ولقد كتبنا في الزبـــور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون»(٤).

٣ – الآيات التي تتضمن هذه البشارة، وهي أنّ الإسلام سيغلب سائر الأديـــان مـــن موقع الهيمنة والشمولية وأنّ نور اللّه الذي هو الدين الإسلامي والحكومة الإسلامية سيعم جميع المجتمعات البشرية فيما يمثّله من أصول وفروع ودساتير وأحكام وقيم، وذلك بموجب قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي».(٥)

و «يريدون أن يطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه إلّـــا أن يـــتمّ نـــوره ولـــو كـــره الكافرون»(٦).

و «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله»(٧).

و «يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم واللّه متمّ نوره ولو كره الكافرون»(٨).

هذه الآيات الشريفة وآيات أخرى، مضافاً إلى دلالتها على استقرار دين اللّه في جميع بقاع الأرض حسب ما تتوقعه من مستقبل زاهر للبشرية جمعاء، فإنّها تدلّ حسب المدارك والتفاسير والأحاديث المعتبرة على وقوع نهضة إنسانية عظيمة بقيادة الإمام المهدي عليـــه السلام، حيث ورد في الكثير من هذه الأحاديث في كتب أهل السنة من قبيل «شـــواهد

التنزيل» الذي جمع فيه «٢١٠» آية نزلت في حق أهل البيت‌عليهم السلام، وذكر فيه أكثر من ١١٦٠ حديثاً يتصل بهذه الموضوع أيضاً.

ويعدّ السيد هاشم البحراني من جملة المحدّثين المرموقين والعلماء الكبار الذي ألّف كتاباً في هذا الموضوع جمع فيه الآيات التي نزلت في الإمام المهدي عليه السلام وسماه «الحجّة في ما نزل في القائم الحجّة» وقد ذكر في هذا الكتاب أكثر من ١٠٠ آية مع جملة من الأحاديث الواردة في تفسير كل آية منها، وعلى هذا الأساس فإنّ العقيدة بالمهدي في المنظور القرآني، ومع الأخذ بنظر الاعتبار هذه الآيات الشريفة والتدبر في مضامينها وما ذكره العلماء في التفاسير والكتب الروائية، تعدّ أمراً ثابتاً وغير قابل للانكار.

الاعتقاد بالمهدي‌عليه السلام في روايات أهل السنّة

إنّ مسألة المهدي الموعودعليه السلام وانتظار الفرج وتشكيل الحكومة العالمية لا يختص بالدين الإسلام أو بالمذهب الشيعي وعقيدة أتباع أهل البيت الطاهرين‌عليهم السلام، بل إنّ هذا الموضوع قد كان موضعاً للبحث والدراسة على نحو الجدّ و قد ورد قبل ديس الاسلام بهذه العناوين: مبشر، منذر، مصلح العالم، مؤسس الحكومة العالمية و... في كتب الفلاسفة والمفكّرين والمؤرخين وأرباب الديانات الإلهية فيما تمثّله هذه العقيدة من مسألة تستحق الدراسة والتأمل، ولكننا في هذا المجال نقتصر بدراستنا هذه على ما ورد في الفكر الإسلامي وأحاديث الفريقين من الشيعة وأهل السنّة.

إنّ مسألة المهدوية من جهة ابتنائها على الأحاديث المعتبرة والمتواترة تعدّ في غاية الوضوح والبداهة، فقد وردت روايات وأحاديث كثيرة في كتب الحديث والصحاح والجوامع والسنن و المسانيد و الأصول لدى الشيعة وأهل السنّة(٩)، فمنذ عصر الرسالة إلى زماننا هذا كان صحابة النبي وبعدهم التابعين وتابعي التابعين وسائر الطبقات الأخرى ينقلون هذه الأحاديث نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل.

إن كثرة وتعدد وتنوع هذه الروايات وورودها بطرق وطبقات مختلفة يدل دلالة قاطعة على عدم وجود احتمال تباني الرواة على الكذب في نقل هذه الأخبار وبالتالي فمع غض

النظر عن وثاقة وأمانة الرواة فإنّ فمسألة جعل هذه الأحاديث لا يدخل في دائرة الاحتمال العقلاني.

الاعتقاد بالمهديعليه السلام لدى فرق أهل السنّة

إنّ مسألة المهدوية تعتبر مورد قبول جميع فرق أهل السنّة، وخاصة إننا نرى تدوين كتب متعددة منذ صدر الإسلام ولحدّ الآن في هذا الخصوص. والسبب في الاهتمام بهذه العقيدة ينبغي أن ندرسه في إطار هذه الحقيقة، وهي أنّ موضوع المهدي الموعود عليه السلام وظهوره في آخر الزمان قد ورد على لسان النبي الأكرمصلى الله عليه وآله وكذلك تحدّث به الكبار من الصحابة والتابعون وتابعو التابعين جيلاً بعد جيل إلى زماننا هذا. ويمثّل هذه الموضوع إحدى أكبر البشارات الإسلامية المهمة للبشرية. ولذلك نجد هذا الكم الهائل من الأحاديث الشريفة الواردة في مسألة المهدي الموعود وكذلك كثرة الرواة بحيث أدّت إلى أن يعتقد علماء الحديث والحفاظ الكبار من أهل السنّة بتواترها، ومن هذا المنطلق كانت مسألة المهدي الموعود مسألة حتمية ويقينية، وحتى أنّ علماء اللغة أشاروا إلى هذه الحقيقة في كتبهم ومصادرهم اللغوية، ومن ذلك ما ذكره: لسان العرب، وتاج العروس في ذيل كلمة المهدى(١٠) حيث ذكروا روايات تحدثت عن مؤسس الحكومة العالمية الواحدة، وما ورد في منابع أهل السنّة عن هذه الحقيقة لا يقلّ عن روايات الشيعة، وهنا نستعرض بعض هذه المنابع والمصادر الروائية:(١١)

١ – صحيح البخاري، ج٤، كتاب الأحكام وباب نزول عيسىعليه السلام؛

٢ – صحيح مسلم، ج ١، الفتن وشرائط الساعة، باب نزول عيسىعليه السلام؛

٣ – سنن ابن ماجة، ج٢، باب خروج المهديعليه السلام؛

٤ – سنن ابن داود، ج ٢، كتاب المهديعليه السلام؛

٥ – سنن الترمذي، باب ما جاء في المهديعليه السلام؛ ٦ – الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي؛ ٧ – نور الأبصار للشبلنجي؛ ٨ – الفصول المهمة، لابن الصباغ؛ ٩ – اسعاف الراغبين محمود الصبّان؛ ١٠ – البيان للكنجي الشافعي؛ ١١ – كفاية المأمول، للمنصور علي؛ ١٢ – سبائك الذهب للسويدي.

وفي هذا المجال ننقل عبارات وأقوال بعض علماء أهل السنّة من الذين ادعوا التواتر في روايات المهدي عليه السلام، منهم:

– «أبو الحسن الأبري» الذي يعدّ من كبار علماء أهل السنّة حيث يقول: «إنّ الأخبار متواترة ومستفيضة من طرق كثيرة حيث ورد فيها أنّ محمد المصطفى أخبر عن المهدي، وأنّه من أهل بيته، ويحكم سبع سنوات ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنّ عيسى يخرج معه ويساعده في قتل الدجال و سيتولى منصب الإمامة هذه الأمة و يصلي عيسى خلفه».(١٢)

– الشبلنجي: إنّ الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله متواترة بأنّ المهدي من ذرّيته و سيملأ الأرض عدلاً»(١٣)

– ابن أبي الحديد: «و قد اتفقت جميع فرق المسلمين بأنّ الدنيا لا تنقضي إلا بظهور هذا الإمام».(١٤)

– زيني الدحلان: «و أمّا الأحاديث في ظهور المهدي فهي متواترة جدّاً»(١٥)

– ابن حجر العسقلاني، وهو من أكابر علماء أهل السنّة أيضاً: «إنّ الأخبار الواردة في المهدي متواترة ومفيدة للعلم، ولا يحتاج للعمل بها للتحقيق والبحث»(١٦).

– أحمد شيخ الإسلام الشافعي: «إنّ الروايات الواردة عن المهدي كثيرة إلى حدّ التواتر، ثم يقول: وقد ورد فيها الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة، ولكن بما أنّ هذه الأحاديث كثيرة ورواتها متعددون ومن طوائف وطبقات مختلفة ممّا يدعم أحدها الآخر بحيث تفيد العلم واليقين بذلك».(١٧)

و من مطالعة مجموع هذه الأحاديث والروايات المتواترة التي نقلها الشيعة وأهل السنّة نستوحي منها:

أولاً: إنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أخبر عن ظهور إمام في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويعمل على محو وإزالة أسباب الظلم والجور والعدوان، وفي ذلك الزمان ينتشر الإسلام ويحكم بتعاليمه السماوية جميع المجتمعات البشرية في العالم حيث تنال البشرية أقصى ما تطمح إليه من الرفاه والعمران والسعادة المنشودة.

ثانياً: إنّ مسألة المهدي الموعود كانت في عصر النبي الأكرمصلى الله عليه وآله وكذلك بعده من الأمور المسلّمة والمتفق عليها بحيث إنّ المسلمين كانوا ينتظرون ظهور هذا الإمام طيلة التاريخ الإسلامي من أجل إقامة دولة الحق والعدل والعمل على إصـــلاح الأمـــور وأشكال الخلل في المجتمع البشري وبذلك يعمّ الإيمان والعدل والإسلام في أرجاء العالم.

عبارات الروايات حول المهدي عليه السلام

بالرغم من وجود اشتراك في هذه الروايات حول الحقيقة المذكورة أعلاه، إلّا أننا نرى وجود بعض الاختلافات في العبارات الروائية أيضاً، مثلاً نجد في بعض الروايات أنّهـــا لم تصرح باسم المهدي، ولكن في البعض الآخر منها نجد تصريحاً باسم المهديعليه الســـلام، ولذلك فإنّ العلماء حملوا الطائفة الأولى من الروايات المطلقة على الطائفة الثانية المقيدة لها، وبهذا الترتيب جمعوا بين هاتين الطائفتين من الروايات.

والملفت للنظر أنّ المفكّر الإسلامي «أبو الاعلى المودودي» يقول في هذا المجال: «لقد استعرضنا في هذا الباب (باب ظهور المهدي) روايات ورد ذكر المهدي فيها بـــصراحة، وهنالك روايات أخرى ورد الكلام فيها عن ظهور خليفة عادل بدون التـــصريح باســـم المهدي، ثم يقول: ولمّا كانت هذه الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النـــوع الأول في موضوعها فقد ذهب المحـــدّثون إلى أنّ المـــراد بالخليفـــة العـــادل فيهـــا هـــو المهدي»(١٨). ٢٠١

وبالنسبة إلى خصائص، سيرة الإمام عليه السلام، الحكمة من الغيبة، علائم الظهـــور، كيفية الظهور و حكومته، مسؤولية الناس في ذلك العصر وغيرها من المسائل المتعلقة بهذا الموضوع فقد بحث العلماء والمفكرون تفاصيل هذه المسائل المختلفة في كتبهم ومصنفاتهم.

الاعتقاد بالمهدي في فرق الشيعة

تعتبر مسألة المهدوية من العقائد المشتركة بين الفرق الشيعية المختلفة، كالكيـــسانية، الزيدية، الإسماعيلية، الإمامية و...

«إنّ إحدى المعتقدات في الدين الإسلامي وفي المذهب الشيعي بالخصوص هو انتظـــار ظهور المهدي من آل محمد، فكل فرقة من فرق الشيعة، وبالرغم من الخلافات الفكريـــة بينها، ترى أنّ آخر إمام لها هو المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان ويملأ الأرض قـــسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً»(١٩).

والآن ربّما يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال: لماذا شغل موضوع المهدوية أذهان وقلوب الناس وخاصة الشيعة؟ وللجواب عن هذا السؤال يمكن تقديم بعض الأدلة على ذلك:

١ – إنّ موضوع المهدي يتمتع بالشمولية وقد بشّر به جميع الأنبيـــاء وخاصـــة نـــبي الإسلام وأنّه حامل راية العدل في آخر الزمان.

٢ – إنّ ظلم وجور الحكّام كان قد وصل إلى درجة استدعى أن يتـــصور النـــاس أنّ العالم مليء بالظلم والجور، فقد ملأت جرائم بني امية وبني العباس وخلفاء كمعاوية ويزيد وعبدالملك ومروان والمنصور وهارون والمتوكل وغيرهم، صفحات التاريخ الإسلامي، ومن هنا كان الشيعة يواجهون تحديات صعبة وضغوط عسيرة، ولذلك كانوا أحوج من بقيـــة الفرق والمذاهب الإسلامية للتمسك بفكرة المهدي.

٣ – إنّ أئمة الشيعة هم أتقى القادة ويملكون محبوبية في قلوب الناس، ولهذا الـــسبب كان العدو والصديق يحسب لهم حساباً خاصاً، وكان البعض يتحرك من موقع التقرب من أئمة الشيعة لاستغلال قداستهم من أجل بسط نفوذهم وقدرتهم، فالمختار جاء للإمام زين العابدين عليه السلام، وأبو سلمة الخلال جاء للإمام الصادق عليه السلام، والمأمون تحرك لكسب ود الإمام الرضا عليه السلام، وعلى هذا الأساس وبعد استشهاد كل واحد مـــن هؤلاء الأئمة فإنّ أتباعهم – ما عدا الشيعة الإمامية – كان يصعب عليهم قبول حقيقـــة موت ذلك الإمام حتى أنّ بعض الأتباع أصروا على البقاء من موقع الانتظار ولم يؤمنـــوا بموتهم(٢٠).

المهدوية في نظر الشيعة الإمامية

وفي نظر الشيعة الجعفرية فإنّ المهدي الموعود هو ابن الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة، أي الإمام الحسن العسكريعليه السلام فقد ولد الإمام المهدي عليه السلام كما هو المشهور في عام «٢٥٦ ه ق».

ويذكر الشيعة الأدلة التالية لإثبات ولادة الإمام المهديعليه السلام(٢١):

١ – تصريح الإمام الحسن العسكريعليه السلام بولادة ولده المهدي عليه السلام.

٢ – شهادة قابلة الإمام وكذلك «حكيمة بنت الإمام الجوادعليه السلام» عمة الإمام الحسن العسكريعليه السلام.

٣ – شهادة أصحاب الأئمة وآخرين ممن كانوا يعيشون في زمان الإمام العسكري عليه السلام ولقائهم للمهدي عليه السلام.

٤ – شهادة وكلاء الإمام المهدي عليه السلام والمطلعين على معجزاته بلقائهم للإمام في عصر الغيبة الصغرى.

٥ – شهادة النواب الخاصين على ولادة الإمام المهدي عليه السلام.

٦ – شهادة الخدام والعبيد والجواري الذين كانوا يعيشون في بيت الإمام العسكري عليه السلام على رؤيتهم للمهدي عليه السلام.

٧ – طريقة مواجهة السلطات العباسية للإمام الجوادعليه السلام وخاصة للإمام العاشر والحادي عشر حيث اسكنوهما في معسكر مغلق ووضعوهما تحت المراقبة الشديدة، وحيث أنّ بيت الإمام الحادي عشر كان يخضع للمراقبة المباشرة من قبل عناصر السلطة، وكذلك ملاحقة النواب الخاصين للإمام المهدي عليه السلام ووكلائه في عصر الغيبة الصغرى. كل ذلك يدلّ على ولادة الإمام صاحب الزمان حيث شغلت أذهان السلطة العباسية سياسياً وعسكرياً بما يقارب من مائة عام(٢٢).

٨ – اعتراف العرّافين بولادة الإمام المهدي عليه السلام (٢٣).

٩ – اعتراف علماء أهل السنة بولادة الإمام المهدي عليه السلام، كابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» حيث ذكر ذلك في حوادث عام ٢٦٠ للهجرة، وابن خلكان في كتاب «وفيات الأعيان»، والذهبي في كتبه «العبر في خبر من غبر، وتاريخ الدول

الإسلامية، وسير أعلام النبلاء» وابن حجر الهيثمي في كتاب «الصواعق المحرقة» وكذلك علماء مثل محيي الدين ابن عربي، وأبو عبدالله الكنجي الشافعي(٢٤).

١٠ – شهادة أفراد موثوقين كثيرين في عصر الغيبة الكبرى على لقائهم للإمام صاحب الزمان بصور مختلفة(٢٥).

١١ – إنّ المدعين للنيابة في عصر الغيبة الصغرى الذين يبلغ عددهم سبعة أشـــخاص، كانوا يعترفون بولادة الإمام المهدي، ولكن بعد وصولهم لأهدافهم نصبوا أنفسهم سفراء للإمام وتحركوا من موقع التصدي لنواب الإمام الحقيقيين وهذا يعتبر دليلاً آخر على ولادة الإمام صاحب الزمان عليه السلام(٢٦).

إنّ الإمام المهدي الموعود الذي يذكر في مصادر الإمامية بلقب إمام العصر وصـــاحب الزمان، هو ابن الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث يطابق اسمـــه اسم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد ولد في سامراء سنة ٢٥٦ للهجرة وبقي إلى سنة ٢٦٠ للهجرة، أي إلى حين وفاة والده، فبقي تحت كفالة وتربية والده في هذه المدّة مخفياً عن أنظار الناس ولم يعلم به سوى بعض الخواص من الشيعة الذين تشرفوا بلقائه، وبعـــد شهادة الإمام العسكري عليه السلام ٢٦٠ للهجرة استقرت الإمامة في الإمام المهدي عليه السلام وقد اختار الغيبة عن الناس بأمر الله تعالى، واستمرت غيبته الصغرى حتى وفاة آخر النواب الخاصين في سنة ٣٢٩ للهجرة، وبعد ذلك بدأت الغيبة الكبرى.

المعطيات التاريخية للأعتقاد بالمهدي عليه السلام

ومن خلال مطالعة تاريخ الإسلام نلاحظ أنّ مسألة المهدوية قد استغلت من قبل بعض الأشخاص والجماعات من أجل تحقيق مقاصدهم وأهدافهم:

أ – الثورات والحركات التي وقعت في تاريخ الإسلام تحت دعوى المهدي المنقذ.

ب – مدّعو المهدوية والبابية وكذلك الأشخاص الذين يُعتبرون لدى أتبـــاعهم أنهـــم المهدي.

ج – سعي الأئمة المعصومين عليهم السلام لبيان المفهوم الصحيح للمهدوية وتعريـــف الناس بالمصداق الواقعي له.

وفي البداية نستعرض الثورات الشيعية في التاريخ الإسلامي التي انطلقت باسم المهدوية:

١ – ثورة المختار.

٢ – ثورة زيد.

٣ – ثورة عبدالله بن معاوية «حفيد جعفر بن أبي طالب».

إنّ الثورات التي قام بها الشيعة و العلويون في العصر العباسي ضد السلطات الظالمة وبالاستفادة من مسألة المهدوية عبارة عن:

١ – ثورة السادات الحسنيين، فبعد مقتل زيد وابنه يحيى في مواجهتهم للأمويين حصل فراغ في القيادة الشيعية على مستوى التصدي لقوى الجور، لأنّ الإمام الصادقعليه السلام كان يسير في طريق أبيه وجده على مستوى الاهتمام بالمسائل الثقافية والعلمية وبيان اصول الدين ومعارفه والأساسية وتربية علماء صالحين وكسب قلوب الناس إلى الدين والإيمان، ولذلك سلك هذا الإمام طريق التقية في المسائل السياسية، فما كان من محمد ذو النفس الزكية، وهو من ذرية النبي ومن السادة الحسنيين، إلّا أن تحرك على مستوى جذب الزيدية وأتباع المعتزلة وأهل السنة مضافاً إلى بعض الشيعة المتشددين واستغلال دعوى المهدوية لهذا الغرض.

٢٠٥ إنّ عبدالله بن الحسن وهو والد محمد (المعروف بالمحض) قد اعدّ ابنه منذ الطفولة ليتخذ موقع ودور المهدي في جو ذلك المجتمع، وعندما بلغ محمد سن الرشد سعى والده لإظهار هذا الابن للناس على أساس أنّه هو المهدي الذي بشّر به النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، وقد تبعه على ذلك كبار المعتزلة وبعض أشخاص من بني هاشم، وفي سنة ١٢٦ ه قام عبدالله بدعوة أقربائه في جوار بيت الله الحرام لبيعة ابنه محمد بالإمامة وقد بايعه كبار بني العباس في مجلس في منطقة «الابواء». وقد اعترض الإمام الصادقعليه السلام لأنّه يرى نفسه أنّه هو الإمام الحق من ذرية النبي. وكذلك حذّر الإمام الصادق عليه السلام، عبدالله وابنه محمد من العواقب الوخيمة للتقرب إلى السلطة العباسية، إلّا أنّهما لم يصغيا لكلامه.

وكان النتيجة أنّه بعد وصول بني العباس إلى سدة الحكم ثار محمد وأصحاب على السلطة العباسية، وبالتالي مقتل محمد وأخيه إبراهيم ١٤٥ للهجرة على يد جيش المنصور العباسي وأقدمت السلطة على سجن والدهما والكثير من أنصارهما(٢٧).

وقد تعاملت السلطة العباسية، منذ بداية تشكيل حكومتها، مع العلويين من موقع الخصومة والقمع، ولاحظ العباسيون بعد فشل ثورة محمد ذي النفس الزكية وفي زمن اهادي أنّ الاعتقاد بالمهدي انتشر مرّة أخرى في صفوف العلويين حيث ادعى الحسين بن علي، وهو من السادة الحسنيين، المهدوية. وأعلن ثورته في فخ وتصدى للجيش العباسي الذي قام باجتياح هذه الثورة بكل قسوة وعنف وقتلوا زعيم النهضة والكثير من أقربائه سنة ١٦٩ للهجرة، وقد اتهمت السلطة العباسية الإمام الكاظمعليه السلام بأنّه يقف وراء هذه الواقعة، ولذلك عزم اهادي العباسي على قتل الإمام ولكنه مات قبل ذلك(٢٨).

٢ – ثورة الإسماعليين: إنّ إسماعيل يعتبر أكبر أولاد الإمام الصادقعليه السلام وكان الإمام الصادق عليه السلام يحبّه كثيراً، بالرغم من أنّ بعض الروايات تحدّثت عن إعراض الإمام عنه، ولكنّ علماء الشيعة يحترمونه كثيراً والشيخ الطوسي يعدّه من أصحاب الإمام، وقد توفي إسماعيل في سنة ١٤٣ للهجرة في زمن حياة أبيه وقد دفنه أبوه في مقبرة البقيع بحضور رجال المدينة، وقد سئل الإمام الصادقعليه السلام عن إمامة ابنه اسماعيل فنفى الإمام ذلك(٢٩).

وبعد استشهاد الإمام الصادقعليه السلام بقي بعض الشيعة على القول بإمامة إسماعيل وقالوا بعدم وجود إمام بعده، وهؤلاء يسمّون بالإسماعيلية الخاصين الذي ينكرون موت إسماعيل ويعتقدون بإمامته وأنّه غاب في حياة والده وأنه هو المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، والبعض الآخر يطلق عليهم بالإسماعيلية بصورة عامة حيث قالوا إنّ إسماعيل مات وقد نصب ابنه محمداً للإمامة بعده، وهذه الفئة من الإسماعيلية تنقسم بدورها إلى قسمين من حيث اعتقادهم بإمامة محمد، فبعض يعتقد بأنّ محمداً لم يمت بل غاب وسيرجع بعد ذلك، والبعض الآخر قالوا بموت محمد وأنّ الإمامة بعده تصل إلى الأئمة الذين يعيشون في اخفاء(٣٠).

خصوصيات الإمام المهديعليه السلام

إنّ خصائص وسمات الإمام المهدي لا يمكن استعراضها في هذا المختصر، ولكننا نشير إلى عدّة خصوصيات وردت في روايات العامة والخاصة:

اقتداء عيسى بن مريم بالإمام المهدي عليه السلام

إنّ حكم إمامة الجماعة هو أن يتقدم الأفضل، كما في روايات العامة والخاصة «إمـــام القوم وافدهم فقدموا أفضلكم»(٣١) وعندما يظهر الإمام المهدي ويقيم حكومته العالمية يترل عيسى بن مريم من السماء إلى الأرض ويقتدي بالإمام طبقاً لما ورد في روايات العامة والخاصة(٣٢).

إنّ عيسى كما هو معلوم كلمة اللّه، وروح اللّه، ومحيي الموتى بإذن اللّه، ورسول اللّـــه من أولي العزم، ولا يدانيه أحد في الفضل والقرب عند اللّه تعالى، ولكنّ عيسى بن مـــريم يأتم بالإمام المهديعليه السلام ويتحدّث مع اللّه تعالى بلغته.

وبعد أن يعترف الكنجي الشافعي في «البيان» بصحة الأخبار الواردة في إمامة المهدي لصلاة الجماعة والجهاد وأنّ هذا التقدم والإمامة من الأمور الاجماعية، ينطلـــق في بيـــان مفصّل لإثبات أنّ الإمام المهدي أفضل من عيسى بهذا الملاك(٣٣).

وفي عقد الدرر في الباب الأول روي عن سالم الأشل أنّه قال: سمعت عن أبي جعفـــر محمد بن علي الباقرعليه السلام أنّه قال: «إنّ موسى نظر إلى ما أعطى اللّه تعالى لقائم آل محمدصلى الله عليه وآله، فقال: إلهي اجعلني قائم آل محمد، فقيل له: إنّه من ذرية أحمـــد، ومرّة أخرى طلب موسى هذا الطلب وسمع نفس الجواب، وفي المرّة الثالثة بعدما رأى مقام الإمام طلب من اللّه ذلك الطلب وسمع نفس الجواب»(٣٤).

وبالرغم من أنّ موسى بن عمران من أنبيـــاء أولي العـــزم «وكلّـــم اللّـــه موســـى تكليما»(٣٥) وقد بعثه اللّه تعالى بتسع آيات «ولقد آتينا موسى بتسع آيات بينات»(٣٦) وكان مقرباً لساحة القدس الإلهي «وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجياً»(٣٧) إلّا أنه مع ذلك يتمنى مترلة المهدي ويطلبها لنفسه من اللّه ثلاث مرّات! من ذلك نعرف علو وعظمة مقام المهدي عليه السلام عند اللّه تعالى.

إنّ موسى بن عمران كان يتمنى ذلك المقام السامي من موقع علمه بهذه الحقيقة بحيث لا نحتاج لإثبات ذلك إلى رواية أو حديث، لأنّ إمامة المهدي لصلاة الجماعة وتقدمه على

عيسى في الصلاة يكفي لتمني هذا المقام، مضافاً إلى أنّ غاية الخلقة وثمرة بعثة جميع الأنبياء من آدم إلى النبي الخاتم يتلخص في أربعة أمور:

أ) إشراق نور المعرفة وعبادة اللّه في عالم الوجود وذلك بظهوره «وأشـــرقت الأرض بنور ربّها»(٣٨).

ب) إحياء الأرض بنور العلم والإيمان كما قال تعالى: «اعلموا أنّ اللّه يحـــيي الأرض بعد موتها»(٣٩).

ج) إنّه عليه السلام مظهر حكومة الحق وزوال الباطل «وقل جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا»(٤٠).

د) القيام بالقسط والعدل لعامة الناس الذي يعد العلة الغائية لأرسال جميع الأنبيـــاء وانزال جميع الكتاب «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»(٤١).

إنّ ظهور جميع هذه الآثار والمعطيات ستكون على يد قائم آل محمدصـــلى اللّه عليـــه وآله: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»(٤٢) وهذا المقام هو ما يتمناه جميع الأنبياء من آدم إلى عيسى.

الإمام المهدي عليه السلام خليفة اللّه

إنّ الإمام المهدي لقّب في روايات العامة والخاصة بأنّه «خليفة اللّه»: «يخرج المهدي و على رأسه غمامة فيها مناد ينادي هذا المهدي خليفة اللّه فاتبعوه»(٤٣) ومقتضى اضـــافة الخلافة للذات المقدّسة فإنّ هذا الإمام يعتبر آية لجميع أسماء اللّه الحسنى.

مقام أصحاب الإمام المهدي عليه السلام

إنّ علو مقام هذا الإمام يتضح من خلال مقام أصحابه حيث ذكرت بعض روايـــات الشيعة نماذج من ذلك: «إنّ عدد أصحابه بعدد أهل بدر(٤٤) وقد كتب على ســـيوفهم كلمات كلّ كلمة يعدّ مفتاحاً لألف كلمة»(٤٥).

وفي مصادر السنة هناك رواية صحيحة ينقلها الحاكم النيـــشابوري في «المـــستدرك» والذهبي في «التلخيص» على شرط البخاري ومسلم ورد فيها: «لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم على عدّة أصحاب بدر لم يسبقهم الأولون ولا يـــدركهم الآخرون وعلى عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر».(٤٦)

فهل أنّ الأصحاب الذين تابعوه وصاروا معه لهم مقام قرب السابقين في قوله تعـــالى: «والسابقون والسابقون أولئك المقربون»(٤٧) حيث إنّهم ســـبقوا الآخـــرين إلى نيـــل الكمالات والمراتب السامية، إذن فكيف يكون مقام إمامهم وسيدهم وهو بـــاب اللّـــه، وديان دين اللّه، وخليفة اللّه، وناصر حق اللّه، وحجة اللّه، ودليل اللّه؟

معنى الانتظار وشروطه وعلائمه وآثاره

إنّ حقيقة الانتظار حسب المفهوم من اللفظ ما يقع ضد اليأس، والمراد من الانتظار هو أن يعلم الإنسان بوقوعه ويعيش الأمل في انتظار ذلك الزمان، أمّا كيفية انتظـــار الفـــرج للإمام المهدي‌عليه السلام سواء قبل زمان غيبته أو عصر غيبته فهو على قـــسمين: الأول: الانتظار القلبي، والثاني: الانتظار العملي.

الأول: **الانتظار القلبي**

وهو على مراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: أن يعيش اليقين بظهور حجّة الحق وأنّه سوف يظهر قطعاً بالوعد الإلهي الذي لا شك فيه، وكلما تأخر الظهور فلا يمتلكه اليأس ولا يدخل إليه الشك.

المرتبة الثانية: أن يعتقد بأنّ الظهور لا يتعين بوقت خاص بحيث يملكـــه اليـــأس قبـــل وقوعه.

المرتبة الثالثة: أن يعيش الإنسان حالة الانتظار في كل لحظة وزمان، أي أنّه يعيش الأمل بوقوع الظهور و هو ما ورد في الرواية الشريفة: «توقعوا الفرج صباحاً ومساءاً».(٤٨)

وكذلك ما ورد في رواية: «...يأتي بغتة فجئةً(٤٩)».

و ايضاً ما ورد في رواية أخرى: «... ثم يقبل كالشهاب الثاقب(٥٠)».

وجاء في عبارة من الدعاء: «...إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً(٥١)». وأمثال ذلك.

المرتبة الأولى للانتظار

وهذه المرتبة واجبة وتتصل بها حقيقة الإيمان وعدمها يوجب الكفر والضلالة في واقع الحال والباطن وإن كان حسب الظاهر محكوماً بأحكام الإسلام، ولذلك ستكون عاقبته في جهنم مع كفار لأنّه أنكر أمر الإمام وإن كان يقرّ بالتوحيد والرسالة ظاهراً. والدليل على ذلك الآيات والروايات الكثيرة كما اشرنا إلى بعضها.

فإنّ المستفاد من الآيات والروايات بعد الوعد الإلهي الوارد في بعض الآيات القرآنية(٥٢) وحسب الأدلة العقلية والنقلية(٥٣) أنّ الأشخاص الذين يستحقون الخلافة والوراثة النبوية والولاية الإلهية ينحصرون في اثني عشر إماماً. وقد ورد اسمهم ونسبهم وصفاتهم في النصوص الدينية والأخبار المتواترة.

وبملاحظة أنّ الوعود الإلهية الواردة في الآيات والروايات لم تتحقق في أي زمان من عصر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ولا في حق غيرهم وأنّ الدين الإلهي لم ينتشر في جميع أرجاء العالم ولم يتغلب على جميع الأديان الموجودة، وبملاحظة أنّ الأئمة المعصومين كانوا ولا يزالون يعيشون المظلومية ولم تتحقق خلافتهم ووراثتهم للأرض في حال الأمن وعدم الخوف، إذن فلابدّ من انتظار تحقق تلك الوعود الإلهية في عصر ظهور الإمام المهديعليه السلام وكذلك رجوع آبائه الكرام إلى هذه الدنيا كما ورد في الأخبار المتواترة.

وبعد التأمل في الآيات والأخبار الشريفة من موقع الانصاف وبعيداً عن التعصب والعناد يتضح جيداً أنّ إنكار أو التشكيك في الأدلة القرآنية والأدلة النقلية والقطعية التي تتحدث عن الظهور والفرج للإمام المهدي عليه السلام وكذلك رجعة آبائه الكرام يوجب الكفر والضلالة، وأنّ حقيقة الكفر والضلالة ليس سوى إنكار أمر الحق أو التشكيك به بعد وضوحه وبيانه.

المرتبة الثانية للإنتظار

والاعتقاد بهذه المرتبة واجب أيضاً ولكن عدمه يوجب الفسق فقط، وذلك لتحقق اليأس المحرم الذي ورد النهي عنه، وهذه الحرمة بمقتضى تكذيب القانون الإلهي «الأشخاص الذين يعينون وقتاً للظهور».

المرتبة الثالثة للإنتظار

وهذه المرتبة تختص بكمال الإيمان وعدمها يوجب نقصان الإيمان، إذن فلازم كمال الإيمان للمؤمن، حسبما ورد في الأحاديث الكثيرة، أن ينتظر الفرج ويعتقد بأنه قريب ويتوقع الظهور في كل وقت، ويكون حال المؤمن حال الشخص الذي أخبروه بمجيء مسافر، وأنّ ذلك المسافر في طريق عودته إلى دياره، هذا المؤمن يعيش كل يوم بانتظار رؤية ذلك المسافر العائد من السفر حيث يحتمل وجود موانع أدّت إلى تأخر وصوله.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن يهيأ نفسه لملاقاة الإمام عند ظهوره ويتحلى بالآداب اللائقة للقاء الإمام.

القسم الثاني: **الانتظار العملي**

عندما يزرع الفلاح أرضه ويسقيها فإنّه يحتمل وجود آفات أرضية وسماوية تقضي على زرعه، فيدعو الله تعالى لحفظ ذلك الزرع من الآفات، ومع ذلك ينتظر ويتوقع زمان ظهور المحصول.

إنّ الله تبارك وتعالى قد جعل وجود الإمام المباركعليه السلام وسيلة لبقاء العالم و عطاء النعم في كل زمان بحيث لو لم يكون الحجّة فلا بقاء لعالم الوجود و لا عطاء له ولساحت الأرض بأهلها، وظهور الإمامعليه السلام في ما يملكه من التصرفات الظاهرية في العالم، يعدّ وسيلة للظهور الكامل لجميع النعم الظاهرية والباطنية، وبدون ذلك تكون جميع النعم الإلهية على العباد ناقصة، ويكون كل سرور وفرح مقترناً بالحزن والغم.

وكما أنّ النعم والمواهب الإلهية في الدنيا لابدّ لها من أسباب وعلل لتحصيلها كما في غرس النبات وبذر البذور وسقيها كمقدمة لظهور المحصول والثمار والأزهار المختلفة، كذلك الحال في انتظار الفرج وظهور الإمام الذي يعتبر وسيلة لظهور النعم الإلهية، فهناك

أسباب مقررة لا تحصل إلّا بيد العباد، وهذه الأسباب عبارة عن التقوى والأعمال الصالحة كما ورد في الآية الشريفة: «ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات مـــن السماء والأرض».(٥٤)

وأمّا الموانع والآفات التي تمنع من ظهور الإمامعليه السلام فتتلخص في الأعمال القبيحة والذنوب المنكرة التي يرتكبها الناس، والأشنع منها هو إفشاء أسرار آل محمدعليهم السلام وعدم التزام التقية من أعدائهم، فإنّ ذلك من أهم عوائق ظهور الإمام. ولذلك ينبغي على المؤمن أن يتوب من جميع ذنوبه وآثامه ويسأل الله تعالى رفع جميع آثارها، وفي هذا الحال ينتظر الفرج ويتوقع زمان نضج الثمار، أي زمان ظهور الإمامعليه السلام، وهذا المعنى من الانتظار البدني بخصوصياته الكاملة يعدّ من لوازم كمال الإيمان.

أهم العوامل المؤثرة في توطيد الحكومة الإسلامية

بما أنّ نهضة الإمام المهديعليه السلام العالمية هي في الواقع استمرار للنهضة التي قام بها النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، بل إنّ منهجه وحركته مستوحاة من منهج وحركة نـــبي الإسلامصلى الله عليه وآله كما ورد في الرواية الشريفة عندما سأل أحد الـــرواة الإمـــام الصادقعليه السلام عن كيفية ظهور الإمام المهدي عليه السلام فقال: «يصنع ما صـــنع رسول الله. يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهليـــة ويـــستأنف الإســـلام جديداً»(٥٥).

ومن هنا نرى من المناسب في ختام هذه المقالة أن نشير إلى أهم العوامـــل المـــؤثرة في توطيد حكومة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله تمهيداً لظهور المهدي الموعودعليه الـــسلام وتشكيل حكومته العالمية:

١ - الإيمان والتوكل على الله تعالى: حيث يبعـــث في الإنـــسان اطمئنـــان القلـــب والاعتماد على النفس ويمنح روح الإنسان صفاء وقوة تزيل أمامها الموانع المختلفة في طريق إقامة العدل، ومثل هذه الروحية والمعنوية والاطمئنان القلبي لا يحصل في واقع الإنسان إلّا في ظلّ الإيمان بالله والتوكل عليه والارتباط معه بواقع الدعاء والمناجاة.

٢ – جاذبية القرآن وحقانية الإسلام: إنّ الحقائق النورانية والتعاليم الدينية في القـــرآن والدين الإسلامي منسجمة تماماً مع العقل والوجدان، ولذلك تخلـــق في روح الإنـــسان جاذبية قوية نحو القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية التي تقود الإنسان في خط السعادة.

٣ – رعاية الأخلاق وحقوق الآخرين: لعله بالإمكان القول إنّ أهم العوامل التي أدّت إلى تأخر المسلمين هو عدم العمل بالتعاليم الأخلاقية للإسلام، بل العمل علـــى عكـــسها والتحرك في خط الكراهية والعداء للآخرين، ومن الضروري جدّاً في عصرنا الحاضـــر أن يعيش المسلمون الأخلاق الحسنة والمحبة والتواضع وصفاء القلب والمواساة وغير ذلك مـــن القيم السامية، التي يتألم المجتمع الإسلامي في هذا الزمان من فقدانها، الـــواردة في تعـــاليم القرآن الكريم والروايات الشريفة.

٤ – العلم واستخدام العقل: بلا شك أنّ العلم يساهم مساهمة فعّالة في معرفة الحقائق الموجودة على أرض الواقع الاجتماعي، فيما يمثّله من إمكانات،اولويـــات، قابليـــات و ضرورات لغرض تحقيق التقدم ونيل الحكومة المثالية العالمية للإسلام.

٥ – القائد الفذ: فكما أنّ القائد الفذ المتمثّل بالرسول الأكرمصلى الله عليه وآله كان له دور كبير في تأسيس وتقدّم الحكومة الإسلامية والمجتمع الإسلامي من خلال سلوك النبي صلى الله عليه وآله أخلاقه وتدبيره، فإن المجتمع الإسلامي المعاصر بحاجة ماسّة إلى قائد فذ بإمكانه العمل على اقرار النظم وتحقيق الوحدة والانسجام بين المسلمين لتحقيق الأهداف الإسلامية في حركة الحياة والواقع. ٢١٣

٦ – التعامل المنطقي والاصولي مع الأحداث: إنّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله كان يتحرك في تعامله مع الطوائف والفئات المختلفة على أساس الرؤية العلميـــة والمنطقيـــة في مناظراته معهم، وكذلك تحرك أئمتنا عليه السلام في هذا الخط مع الفئـــات المختلفـــة في المجتمع الإسلامي بل حتى أنّهم كانوا يجلسون مجلس المناظرة والجدال مع المنكـــرين للّـــه ويناقشوهم بأدوات العقل والمنطق بحيث إنّ الكثير من الأفراد والشخـــصيات في المجتمـــع الإسلامي آنذاك كانوا يحضرون مجلس درسهم ويستلهمون من نعيم فيضهم ويزداودن في معرفتهم للإسلام والدين وكان ذلك له دور مهم في اتساع بقعة الإسلام «ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن».(٥٦)

فالحكمة هي المناظرة بأدوات الاستدلال والبرهان المنطقي.

والموعظة الحسنة عبارة عن: النصائح التي تتسلم بتحريك العاطفة والاحساس القلبي.

وأمّا الجدال الحسن فهو عبارة عن: مناقشة الطرف الآخر على أساس احترام الـــرأي الآخر وبدافع من حسن النية، حيث تساهم هذه الأمور في تجسيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حركة الحياة والواقع.

يقول الإمام علي‌عليه السلام: اجتمع يوماً عند رسول اللّه‌صلى الله عليه وآله أهل خمس أديان: اليهود، النصارى، الدهرية، الثنوية، ومشركو العرب، فأخذ النبي يحـــدّثهم بوقـــار ويأتي لهم بأدلة وكانوا يستمعون إليه ويناقشونه، ثم إنّ هذه المناظرة استمرت إلى ثلاثة أيام واقتنع أخيراً أتباع هذه الفرق بكلام النبي واعتنقوا الإسلام وقالوا:

«ما رأينا مثل حجّتك يا محمد، نشهد أنّك رسول اللّه». وقد ذكـــر في الاحتجـــاج مشروح هذه المناظرات.(٥٧)

٧ – الصبر والاستقامة والشجاعة: إنّ هذه القيم الأخلاقية من الـــصبر والاســـتقامة والجرأة والشجاعة تمثّل عوامل مهمة في سبيل تقوية الحركة في خط المسؤولية، وتعدّ مـــن الامتيازات الفردية والاجتماعية للمسلمين تمنحهم القدرة على إيجاد الحلول لما يواجهونـــه من تحديات صعبة في واقع الحياة، فلولا ملكة الصبر والاستقامة والشجاعة لدى المسلمين في صدر الإسلام، لكان الإسلام في خبر كان ولم يصل إلينا هذا الدين السماوي.

٨ – التعاون في جميع الأمور: إنّ مسألة التعاون على الـــبر والتقـــوى في المجـــالات الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية على أساس قاعدة الاخوة الإسلامية تبعث على الوحدة بين المسلمين وتمنحهم الانسجام والتكاتف، وبذلك تمهد لخلق مستقبل مشرق للأجيـــال اللاحقة.

٩ – الاهتمام بطبقة المستضعفين: إنّ الاهتمام بأمور المستضعفين وتـــأمين حاجتـــهم المعيشية واقرار العدالة الاجتماعية تعتبر من العوامل المؤثرة في توطيد أركان الحكومة العالمية للمستضعفين.

١٠ – الاتحاد والانسجام بين المسلمين: فبلا شك أنّ الاتحاد له دور عظيم في تحقيـــق الأهداف والغايات السماوية في واقع المجتمع الإسلامي. فهذا الاتحاد بمثابة عامل مهم يزيل

كل أشكال الفرقة بين أفراد المجتمع الإسلامي ويكون منشأً للكثير من للبركات وأشـــكال التطور العلمي والثقافي والأخلاقي في العصر الحاضر.

و اخيراً نهدى هذه القصيدة الى ساحة سيدنا و مولانا المهدى(عج):

و انعش قلوباً في انتظارك قرحت

و اضجرها الاعداء أية اضجار

وخلص عبادالله من كل غاشم

وطهر بلاد الله من كل غاصب

الهوامش:

١) في انتظار فقنوس، السيد ثامر هاشم العميدي، ص ٢٦٩ – ٢٧٠.

٢) شمس المغرب، محمد رضا الحكيمي، ص ١٥٣ – ١٨٥.

٣) سورة القصص، الآية ٥ و ٦.

٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٥) سورة المائدة، الآية ٣.

٦) سورة التوبة، الآية ٣٢.

٧) سورة الفتح، الآية ٢٨.

٨) سورة الصف، الآية ٨.

٩) المحاضرات في تفسير القرآن، السيد اسماعيل الصدر. اعيان الشيعه ج ٢ السيد محسن الامين.

١٠) شمس المغرب، ص ٨١ – ٨٣.

١١) شمس المستور، السيد رضا الصدر و آخرين، ص ١٢٥ – ١٢٨.

١٢) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٤٤ (في ترجمة محمد بن خالد الجنـــدي). الغيبـــة للنعماني، ص ٧٥، الباب ٤، ح ٩.

١٣) نور الأبصار، ص ١٨٩.

١٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦.

١٥) الفتوحات الإسلامية، ج ٢،ص ٣٣٨.

١٦) نزهة الناظر، ص ١٢.

١٧) الفتوحات الإسلامية، ج ٢،ص ٢٥٠.

١٨) البيانات، ص ١٦١.

١٩) ثقافة الفرق الإسلامية، محمد جواد مشكور، ص ٢٧٩.

٢٠) تاريخ علم الكلام والمذاهب الإسلامية، علي محمد الولوي، ج ١، ص ٢٣٢.

٢١) في انتظار فقنوس، ص ١٤٥ – ١٦٦.

٢٢) التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشرعليه السلام، ص ٧٨ – ٨٩.

٢٣) في انتظار فقنوس، ص ١٥٧ – ١٦٠.

٢٤) المصدر السابق، ص ١٦١ – ١٦٦.

٢٥) النجم الثاقب، الميرزا حسين الطبرسي النوري، الباب السابع، ص ٢٠٧ – ٤١٢.

٢٦) تاريخ عصر الغيبة، السيد مجيدنور الطباطبائي، ص ١٧٦ – ١٨٠.

٢٧) التشيع في مسير التاريخ، ص ٣١٢ – ٣٢٩.

٢٨) التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر،ص ٦٧ – ٦٨.

٢٩) ثقافة الفرق الإسلامية، ص٤٧.

٣٠) التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص٦٩.

٣١) بغية البحاث عن زوائد مسند الحارث، ج ١، ص ٢٦٥، الرقم ١٤٤، وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجماعة، البساب ٢٦، ج٨، ص ٣٤٧، ومصادر أخرى من العامة والخاصة.

٣٢) صحيح البخاري، ج٤، ص ١٤٣، صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٤، مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٧٢، سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٦١٩، المصنف عبدالرزاق، ج٢، ص ٤٠٠، المصنف ابن أبي شيبة، ج، ص ٦٧٨، المعجم الاوسط، ج ٩، ص ٨٦، كنز العمال، ج ١٤، ص٣٣٤، تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٩٢، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٧، ص ٥٠٠، عقد الدرر، الباب ١٠ ومصادر أخرى عن العامة.

الغيبة للنعماني،ج ٩، ص ١٧٥، الباب ٤، عيون أخبار الرضاعليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٢، الباب ٤٦، ح١، روضة الواعظين، ص ٢٧٣، الاحتجاج، ج ١، ص ٥٤، الفضائل، ص ١٤٣، تفسير فرات الكوفي، ص ١٣٩، كمال الدين و تمام النعمة، ص ٣٣١، كشف الغمة، ج ١، ص ٥٢٦، بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٧٢ و مصادر أخرى عن الخاصة.

٣٣) البيان في أخبار صاحب الزمان(عج)، ص ٤٩٨.

٣٤) عقد الدرر، الباب ١، ص ٢٦.

٣٥) سورة النساء، الآية ١٦٤.

٣٦) سورة الاسراء، الآية ١٠١.

٣٧) سورة مريم، الآية ١٥٢.

٣٨) سورة الزمر، الآية ٦٩.

٣٩) سورة الحديد، الآية ١٧.

٤٠) سورة الاسراء، الآية ١٨.

٤١) سورة الحديد، الآية ٢٥.

٤٢) كمال الدين وتمام النعمـــة، ص ٣٣ و ٢٥٧ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٢٨٥ و ٢٨٨ وموارد أخرى من هذا الكتاب، الخصال، ص ٣٩٦، الامالي للـــصدوق، ص ٧٨، المجلس السابع، ج٣، ص ٤١٩، التوحيد، ص ٨٢، معاني الأخبـــار، ص ١٢٤، كفايـــة الأثر، ص ٤ و ٤٧ و ٦٠٠ و...، روضة الـــواعظين، ص ٣٢ و ١٠٠ و ٢٥٥ و ٣٩٢، مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام، ج ٢، ص ١١ و...، دلائل الامامة، ص ١٧٦ ومـــصادر أخرى عن الخاصة.

وورد قريب من هذا المعنى في البيان للكنجي الشافعي، ص ٥٠٥، صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٢٣٧، مسند أحمد، ج ٣، ص ٢٧ و ٢٨ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٢ و ٧٠، سنن ابن داود، ج٢، ص ٣٠٩ و ٣١٠، المستدرك على الـــصحيحين، ج ٤، ص ٥١٤، وفي التلخيص. كذلك و ص ٤٦٥ و ٥٥٧ و في تلخيص كذلك و ص ٥٥٨، مـــسند ابـــن يعلى، ج ٢، ص ٢٧٤، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٣١٣ و ٣١٧ و...، عـــون المعبـــود، ج١١، ص ٢٤٨، المعجم الأوسط، ج ٢، ص ١٥ و ج ٩، ص ١٧٦، الجامع الصغير، ج ٢، ص ٤٠٢ و ٦٧٢، كنز العمال، ج ١٤، ص ٢٦١ و ٢٦٤ و...، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٨٣٨، مسير أعلام النبلا، ج ١٥، ص ٢٥٣ ومصادر أخرى كثيرة عن العامة.

٤٣) كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٧٠، كفاية الأثر، ص ١٥١، كتاب الغيبة للنعمـــاني، ص ١٠ ومصادر أخرى عن الخاصة، المستدرك على الـــصحيحين، ج٤، ص ٤٦٤ و ص ٥٤، مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٧٧، مسند الشاميين، ج٢، ص ٧٢، سنن ابن ماجـــة، ج ٢، ص ١٣٦٧، نور الابصار، للشبلنجي، ص ١٨٨، عقد الـــدرر للـــسلمي، ص ١٢٥ ومصادر أخرى عن العامة.

٤٤) كفاية الأثر، ص ٢٧٨ باب ما جاء من النص عن الجوادعليه السلام، بحار الأنوار ج٥١، ص ١٥٧.

٤٥) الغيبة للنعماني، ص ٣١٤، الباب ٢٠، ح ٧، كمال الدين و تمـــام النعمـــة، ص ٢٦٨، كفاية الأثر، ص ٢٨٢، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٦.

٤٦) المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٥٥٤.

٤٧) سورة الواقعة، الآية ١١ – ١٠.

٤٨) كتاب الغيبة، الطوسي، ص ٤٥٧، الغيبة، النعماني، ص ١٦١.

٤٩) الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٤٩٥.

٥٠) كمال الدين، الصدوق، ج ١، ص ٢٨٧، بحار الانوار، المجلـــسي، ج ٣٦، ص ٣٠٩.

٥١) مصباح الكفعمي، ص ٥٥١، بحار الانوار، ج ٩١، ص ٤١.

٥٢) راجع: هذه المقاله، ص ٢–٤.

٥٣) راجع: هذه المقاله، ص ٨–١٠.

٥٤) سورة الأعراف، الآية ٩٦.

٥٥) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

٥٦) سورة النحل، الآية ١٢٥.

٥٧) الاحتجاج للعلامة الطبرسي، ج ١، من ص ١٦ إلى ٢٤.